الأزهية في أحكام الأدعية

للإمام العلامة بدر الدين محمد بن بهادر الزركشى

[٧٤٥ - ٧٩٤هـ = ١٣٤٤-١٣٩٢م]

تحقيق

أ.د حلمي عبد الحكيم الفقي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهية في أحكام الأدعية

للإمام العلامة بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى

تحقيق

أ.د حلمي عبد الحكيم الفقي

أستاذ الفقه والسياسة الشرعية المشارك بجامعة الأزهر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بك يا ربنا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وصل اللهم وسلم علي سيدنا محمد، وعلي آله، وصحبه، وعلي من تبع هداه إلي يوم الدين.

اللهم إنا نبرأ من الثقة إلا بك ومن الرجاء إلا منك، ومن الأمل إلا فيك، اللهم إنا نستعين بك فأعنا، ونستهديك فاهدنا، ونتقوي بك فقونا.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك. اللهم إنا نسألك المعافاة في الدنيا والآخرة. وبعد

فإن أمة الإسلام تملك تراثا فكريا، وثقافيا، ضخما، قل نظيره، وندر شبيهه، في كل أمم الأرض، وإن المخطوطات العربية تعج بها قارات الدنيا الست، في الدول الإسلامية وغير الإسلامية، ولقد استهدفت الهجمة الاستعمارية (الاستخرابية) الشرسة علي بلاد المسلمين هذا الإرث الثقافي الضخم فالتتار حين دخلوا بغداد في العام 656هـ =1258م قتلوا قرابة ملونين من البشر، وحرقوا ما يزيد علي نصف مليون كتاب، وأتوا علي الحضارة الإسلامية التي كانت تتبوأ قمة ركب الحضارة الإنسانية في ذلك الوقت، واليوم وبعد قرابة ثمانمائة عام من هذه الكارثة الكبرىٰ التي أهلكت الحرث والنسل، ودمرت الحجر والشجر، واستهدفت البنيان، ما تزال

أيدي أعداء الأمة تنهش في جسد الإسلام الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، وسائر أوجه الحياة.

ومن المشاهد المؤلمة في هذا الصدد، أن المخطوطات العربية في مكتبات الغرب، قد بلغت قرابة خمسة ملايين مخطوطة مسروقة، وذلك حسب تقرير أذيع علي قناة الميادين اللبنانية في 12/ 5/ 2016م.

وقد استمرت وتواصلت محاولات الغرب، وأعداء الأمة للنيل من تراثها، ومخطوطاتها بالسرقة، والحرق، والهدر، وكل محاولات التدمير بشتىٰ الطرق المعروفة، وغير المعروفة.

وعلي الرغم من هذه المحاولات والجهود الهائلة للنيل من تراث الأمة الثقافي، ما زالت مكتبات المسلمين تحمل علي رفوفها ملايين المخطوطات التي لم ترى النور حتىٰ الآن، وفي تقدير البعض أن ما تم تحقيقه من المخطوطات العربية الموجود في بلاد المسلمين لا يتجاوز 4٪ وما زالت 96٪ في المخطوطات حبيسة في أماكن سيئة التخزين لا ينتفع منها بشيء، وعلي الأمة وبالأخص باحثيها أن يشمروا عن ساعد الجد، وأن يضاعفوا الجهد لإخراج هذه الكنوز المعرفية الثمينة لتستفيد منها الإنسانية كلها، وهي بداهة كنوز في شتي المعارف الإنسانية، والعلمية، وليست لغوية أو دينية فقط.

وبين ثنايا هذه الكنوز التي تستحق أن ترى النور كتاب: " الأزهية في أحكام الأدعية " للإمام العلامة بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشىٰ [745 – 794هـ =1344-1392م]

، وقد قسمه المصنف إلي عشرة فصول، والكتاب ناقص الفصلين: التاسع، والعاشر، وقد بذلت قصارىٰ جهدي للوصول إلي هذين الفصلين، فلم أستطع إلي

ذلك سبيلا، وقد توفر بين يدي بعد جهد شديد، خمس نسخ للكتاب، ثلاث منها خطية، واثنتين مطبوعتين، إلا أنها لا توجد واحدة كاملة، ولا حتي مجموع الخمس يعطىٰ نسخة واحدة كاملة، والنسخ التي بين أيدينا:

الأولي: نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وهي برقم 1626 وهي مصورة من مكتبة ولي الدين بتركيا.

وهي أفضل، وأكمل النسخ الثلاث إلا أنها ناقصة الفصلين التاسع والعاشر

والثانية: نسخة دار الكتب المصرية وهي برقم 2095 تصوف

والثالثة: نسخة مكتبة الأزهر وهي برقم 1282.

والرابعة نسخة مطبوعة فىٰ العام 1408هـ

وكتاب الأزهية في أحكام الأدعية يتناول جانبا مهما من حياة المسلم، ألا وهو جانب الدعاء ومناجاة الرحمن، وقد أقدمت علي تحقيقه لأني وجدته مؤلفا قيما يستحق العناية، والرعاية وأن يظهر بالصورة التي يستحقها.

ولكن محقق النسخة التي ظهرت في العام 1408هـ = 1988م أساء إلي الكتاب وإلي مؤلفه العلامة بدر الدين الزركشي إساءة بالغة لم أرها في حياتي من محقق لمصنف، وكانت الإساءات بدون وجه حق، وكانت أحيانا باختلاق أخطاء لم يرتكبها المصنف وهذا ما سأوضحه في حينه عند الكلام علي نسخ الكتاب المخطوط منها والمطبوع

وأساء إلي الكتاب، لأنه حذف مواضع كثيرة من الكتاب عمدا، وأشار هو إلي ذلك، وحذف بعض المواضع ولم يشر إلي مواضع الحذف هذه، فكان لا بد من طبع هذا الكتاب طبعة تنصف العلامة المصنف، وتنصف الكتاب مما ناله من حذف وبتر وتشويه، فلذا استعنت بالله عز وجل وقمت بتحقيق هذا الكتاب.

ولقد قدمت القسم التحقيقىٰ بقسم دراسي تضمن فصلين: الأول: في التعريف بالكتاب، والثاني: في التعريف بالمصنف وعصره.

وقد اتبعت في القسم التحقيقي القواعد المتبعة والمتعارف عليها لدي المحققين.

وقد اعتمدت علي خمس نسخ في تحقيقي لهذا الكتاب

ثلاث منها خطية. واثنتان مطبوعتان.

وكانت نسخة ولي الدين هي الأصل بالنسبة لي، وقارنتها بالنسخ الأربع الأخرىٰ وأثبتت الاختلاف في الهامش وقمت بترقيم الآيات وعزوها

وتخريج الأحاديث وإحالة النصوص إلي قائلها، والترجمة للأعلام غير المشهورين، وشرح الكلمات الصعبة، والمصطلحات الغامضة وتوضيح ما يحتاج إلي توضيح.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسنات كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب بصورة طيبة تساعد علي الإفادة منه بالصورة المرجوة.

أ.د حلمي عبد الحكيم الفقي

المنصورة

الخميس 30 من ربيع الثاني 1444هـ

24 من نوفمبر 2022م

القسم الدراسي

وفيه فصلان

الفصل الأول: بين يدي هذا الكتاب

الفصل الثاني: التعريف بالمؤلف وعصره

الفصل الأول بين يدي هذا الكتاب

المبحث الأول التعريف بهذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب القيم كل ما يدور حول الدعاء، سواء كان يتعلق بالداعي وما ينبغي أن يكون عليه، وما يجب أن يتحلي به، و ما يستحب أن يتصف به، ويتناول كل ما يتعلق بالدعاء نفسه، وما يحرم منه، وما يستحب، وما يكره، والأحوال التي يستحب فيها، وأوقات الإجابة، وعلاماتها.

هو كتاب ماتع يدور في فلك الدعاء، وما يتعلق بمعانية ويكشف أسراره وخفاياه، ودقائقه، ويحمل في طياته إشارات لطيفة حول الدعاء، وبين ثناياه أفكارا مبتكرة، ونفحات طيبة جادت بها قريحة العالم الفذ، والإمام المتمكن بدر الدين الزركشي.

وجاء كتاب الدعاء للزركشي بديعا من حيث الشكل، ذا تقسيم رائق، وشكل فائق من حيث التقسيم والتبويب، فقد قسمه المصنف المتقن إلي مقدمة وعشرة فصول، تناول فيهم كل ما يتعلق بالدعاء والداعي.

وجاء الكتاب متقنا محكما من حيث المضمون، فقد بذل فيه المصنف جهدا محمودا ليدلل علي كل ما ذكره من أقوال، وكان يستدل بآيات الذكر، والسنة المطهرة، وحاول قدر المستطاع أن يستدل بالحديث الصحيح، وإن استدل بالضعيف أحيانا قليلة، ولكن الكتاب يتناول أحكام الدعاء، والاستدلال بالضعيف جائز في فضائل الأعمال، كما هو معروف عند أهل الفن.

وقد تناول المصنف في هذا الكتاب الرائع كل ما يتعلق بالدعاء والداعي والمدعو، وبين أن الدعاء والتضرع والتذلل إلي الله سبحانه وتعالي سبب للسعادة الأبدية، والحياة السرمدية لما في الدعاء من إظهار عز الربوبية وذل العبودية.

ونفع الدعاء يقع في الحياة والممات، فيدعو الوالد لولده حيا وميتا، وكذا الولد لوالده، والحبيب لحبيبه، والقريب للبعيد، والبعيد للقريب، وهو أقرب للإجابة لأن الملك يعقب بقوله: ولك مثله.

والدعاء واصل للمدعو له بالإجماع، وكذا الصدقة عن الميت، بخلاف غيره من العبادات ففي وصولها إليه خلاف

وروي الترمذي وغيره عن أنس قال: قال صلي الله عليه وسلم: { الدعاء مخ العبادة } . ووجه تخصيصه بذلك من دون ساتر العبادات، اشتماله علي حضور قلبي لا يوجد في غيره، فإن من تعبد بالصلاة أو الصوم أو الحج وغيره من العبادات يغلب عليه فيها الغفلة، فإذا دعا استدعي ذلك منه مزيد حضور في قلبه، ذلك الحضور هو روح العبادة، ويؤخذ منه تفضيل الداعي علي العابد، وذلك لما فيه مع حضور القلب، ومن التذلل، وإظهار الفاقة، وذل العبودية، وعز الربوبية، وكل داع عابد، ولا ينعكس.

والدعاء دأب الأنبياء عليهم السلام، ومفزعهم في الشدائد، كما في قوله تعالي: { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا } (الأنبياء 90)

فوضحت الآية سبب إجابة دعاء الأنبياء، وأنها ثواب لطاعتهم، وتعجيلها جزاء لمسارعتهم إلي ما كلفوا به، من امتثال أوامر واجتناب نواهيه.

ورتب المصنف كتابه علي عشرة فصول:

تناول في الفصل الأول: حقيقة الدعاء لغة وشرعا

فالدعاء لغة: يطلق علي عدة معان، والمراد منها هنا، السؤال والطلب.

والدعاء اصطلاحا: إظهار الافتقار إلي الله، والبراءة من الحول والقوة التي له، والتحقق بذل العبودية، وإظهار عز الربوبية.

وتناول في الفصل الثاني: أن الدعاء مطلوب شرعا، ويدل علي ذلك كثير من الآيات القرآنية، والآحاديث النبوية، فمن القرآن قوله تعالي { **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب** } (البقرة: 186) فلم يقل سبحانه وتعالي لنبيه: فقل إن الله قريب ولكن قال تبارك وتعالي: { فإني قريب } . وإضافة الرب جل في علاه العبد إليه بياء التشريف يدل علي أنه مشرف عند الله، وقوله: {**فإني قريب** } يدل علي أنه متفضل علي عبده.

وقال تعالي { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (غافر 60) وأخرج الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: { الدعاء هو العبادة }

وأخرج أبو داود عن سلمان قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إلي السماء أن يردهما صفرا }

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن ابن مسعود مرفوعا: { من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل }

وقد تكلم بعض الناس في الدعاء وقالوا: لا فائدة فيه لأن المدعو به إما أن يكون قد قضي بوقوعه أو لا، فإن كان الأول فهو حاصل وإن لم تدع

وإن كان الثاني: فالدعاء لا يرد القضاء، إذ القضاء لا مرد له، وأجاب العلماء عن ذلك بإجابات شافية، ومنها:

أن من القضاء رد البلاء بالدعاء فقد روي الحاكم عن ثوبان مرفوعا { لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر } وللدعاء فوائد كثيرة منها: حضور القلب وجذبه إلي الله بالتضرع لإظهار العبودية والاعتراف بالربوبية، والإثابة علي الدعاء وإن لم يستجب، وكرد البلاء، فهو سبب لرده، كما أن الماء سبب لخروج

النبات، والبذر سبب لخروج الزرع، وقد جرت عادة الله في خلقه برد المسببات بأسبابها

وليس أدل علي أن الدعاء مطلوب من العبد، وأنه يدفع البلاء من قول النبي صلي الله عليه وسلم { من لم يدع الله يغضب عليه } رواه الترمذي والحاكم وأحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولهذا قال الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

والفصل الثالث: أجاب فيه المصنف عن سؤال مهم، وهو هل الأفضل الدعاء، أم السكوت والرضا؟

فقالت طائفة الرضا بالقضاء أفضل من الدعاء، واحتجوا بما روي البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس مرفوعا { أن امرأة بها لمم سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يدعوا لها الله عز وجل فقال أو تصبرين ولا حساب عليك }

وبما روي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا في الحديث القدسي { من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين } رواه البزار في مسنده، والطبراني في الدعاء، والبيهقي في الشعب.

وقالت طائفة: يكون صاحب دعاء بلسانه، ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعا.

وقالت ثالثة: لا يدعو إلا لطاعة ينالها أو خوف سخط، فإن دعا سوي ذلك فقد خرج عن حد الرضا.

والصواب:

أن الدعاء أولي مطلقا، وهو ما عليه جماهير العلماء، فإنه نفسه عباده، والإتيان بالعبادة أولي من تركها، وقد سبقت أدلة الترغيب فيه، والحث عليه، بل والأمر به.

ولكن هل الأفضل الاشتغال بالذكر أم الدعاء؟

فحكي عن سفيان بن عينية أنه قال: الذكر أفضل من الدعاء للحديث القدسي { من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين } رواه الزار في مسنده والطبراني في الدعاء والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقال الطرطوشي: وفي قول يونس عليه الصلاة والسلام: { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له } (الأنبياء 87، 88) دلاله علي أن التهليل والإقرار بالذنب دعاء فيجب كون الثناء أفضل من الدعاء لتضمنه الأمرين.

وأما المواضع التي نص الشارع فيها علي الدعاء فهو أفضل من الذكر فيها قطعا.

وفي الفصل الرابع كنا علي موعد مع المصنف لتوضيح شروط الدعاء كما وعد في مقدمته، ووفي لنا هنا بوعده، فذكر للدعاء أحد عشر شرطا:

1- ألا يكون المسئول ممتنعا عقلا، ولا عادة، كإحياء الموتي، ورؤية الله تبارك وتعالي في الدنيا.

2- أن لا يكون علي السائل إثم فيما سأله، كسؤال الخمر يشربها أو امرأة يزني بها.

3- أن لا يكون فيما سأله غرض فاسد، كسؤال المال والجاه والولد للاستعانة بهم في قضاء الشهوات.

4- أن لا يكون الدعاء علي وجه الاختبار لربه تعالي، بل يكون سؤالا محضا إذ العبد ليس له أن يختبر ربه.

5- أن لا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة فيفوتها فيكون عاصيا.

6- أن لا يسأل الله سؤال مستعظم لحاجته، بل يسأله الصغير والكبير سؤالا واحدا، كما في حديث أبي هريرة في صحيح البخاري { إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس }

7- حسن الظن بالله تبارك وتعالي، وكون الإجابة أغلب علي قلبه من الرد، لأن الباعث علي الدعاء صدق الرجاء، وإذا لم تغلب الإجابة علي قلبه لم يصدق رجاؤه.

8- أن لا يستعجل ولا يضجر من تأخر الإجابة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دعوت فلم يستجب لىٰ }.

9- أن لا يدعو الله بكلمات يجهل معناها.

10- أن يصلح لسانه، ولا يلحن في الدعاء، فيجب أن يراعي الإعراب الذي هو عماد الكلام وبه يستقيم المعني.

11- أن يدعو الله بأسمائه الحسني الخالصة للثناء، فلا يقول يا ضار، يا خالق الحيات والعقارب، وما شابه.

وتناول العلامة الزركشي في الفصل الخامس آداب الدعاء، بالبيان والتوضيح، وعد منها تسعا وعشرون أدبا وهي باختصار:

1- تقديم التوبة أمامه

2- أن يكون طاهرا

3- أن يكون مستقبل القبلة

4- أن يقدم عليه الصلاة

5- أن يرفع يديه في الدعاء

6- أن يجعل بطون الكفين للوجه

7- وأن يكشفها

8- الافتتاح بالحمد لله رب العالمين والثناء عليه تبارك وتعالي

9- الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم بعد الدعاء

10- الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وسط الدعاء وآخره

11- أن يفتتح الدعاء باسم من أسمائه تعالي المناسبة لطلبه ويختم به

12- أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه

13- اجتناب السجع في الدعاء

4- بسط الدعاء بلا إطناب ولا اختصار

15- الاقتصار علي جوامع الدعاء

16- الجد في الطلب والإلحاح

17- أن يدعو ثلاثا

18- أن يعترف بالإساءة وأن لا يطلب الإجابة إلا من محض فضل الله تعالي

19- المحافظة علي الدعاء في الرخاء كما في الشدة

20- العزم في السؤال 21- تفريغ القلب للدعاء

22- خفض الصوت 23- الدعاء للمؤمنين

24- أن يبدأ بنفسه إذا دعي لغيره 25- التأمين عقب الدعاء

26- أن يمسح وجهه بيديه عقب الدعاء

27- أن يحمد الله إذا عرف الإجابة ويشكره

28- أن لا يخلي يوما وليلة من الدعاء

29- أن يتخير للدعاء الأوقات والأحوال والمواطن المرجو فيها الإجابة

وفي الفصل السادس من هذا السفر القيم أفصح المصنف عن أماكن وأزمنة وأحوال نص الشارع علي استحباب الدعاء فيها:

فأما الأماكن:

فمنها: مكة، ومنها: بيت المقدس.

وأما الأوقات:

فمنها: يوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، وليلتها، ووقت السحر، ويوم العيدين، وليلتاها. وفي ثلث الليل الأخير، وعند الأذان

وأما الأحوال:

فمنها: دبر الصلوات المكتوبات، وعند إقامتها، وعند الأذان وبينهما، وعند مجالس الذكر، وعند نزول المطر، ورؤية الكعبة، وعقب ختم القرآن الكريم، وعند احتضار الميت، وعند صياح الديك.

ومن الدعوات المستجابة:

دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب، والإمام العادل، والمظلوم، والوالد، والمسافر، والرجل الصالح، والولد البار، والمضطر، والمريض.

وفي الفصل السابع: وضح المصنف علامات إجابة الدعاء

فمنها: تيسير الدعاء علي الداعي بأن فتح به عليه، ومنها القشعريرة، والعطاس، واجتماع شروط الدعاء فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { ما من مسلم يدعو الله بدعوة، ليس فيها قطيعة رحم، ولا إثم، إلا أعطاه الله تعالي إحدي ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في

الآخرة، وإما أن يدفع عنها مثلها } رواه مسلم في صحيحة والبخاري في الأدب المفرد فبان بهذا الحديث أن الاستجابة ثلاثة أنواع:

أحدها: إعطاء السائل عين ما سأل

ثانيها: تعويضه عنه في الدنيا مثله: إما خيرا يعطيه أو شرا يصرفه عنه.

ثالثها: تعويضه في الآخرة.

وتأخير إجابة الدعاء ليس علامة الرد، لأن الله لا يخلف الميعاد، ولكن لتأخير الإجابة أسباب:

منها: عدم توافر شروط إجابة الدعاء

ومنها: عدم موافقة القضاء فيحصل التعويض حينئذ

ومنها: حب الله سماع صوت الداعي

وفي الفصل الثامن: وضح المصنف الحكم التكليفي للدعاء

وهو ينقسم للأحكام الخمسة:

فالواجب منه:

ما تضمنه الفاتحة في الصلاة، والدعاء للميت في صلاة الجنازة وأما المندوب إليه:

فكالقنوت في الصبح، وأدعية الصباح والمساء والأحوال العارضة.

وأما المحرم:

فكالدعاء للكفار بالمغفرة، أو اللهم أمت فلانا كافر، أو اللهم اسقه خمرا، أو يسر له الزنا.

وأما المكروه: فله أسباب:

أحدها: الأماكن كالدعاء في الكنائس والحمامات، ومواضع النجاسات، والقاذورات

وثانيها: الهيئات: كالدعاء مع النعاس وفرط الشبع، ومدافعة الأخبثين

وثالثها: الكرامة: كونه سببا لتوقع فساد القلوب، وحصول الكبرياء، والخيلاء

ورابعها: أن يكون متعلقة مكروها، كالدعاء بالإعانة علي اكتساب الرزق بالحجامة وغيرها من الحرف الدنيئة، مع القدرة علي الاكتساب بغيرها

وخامسها: كثرة السجع في الدعاء

سادسها: تخصيص نفسه بالدعاء إذا كان إماما أو داعيا لجماعة

سابعها: التحجر: ففي البخاري عن أبي هريرة أن أعرابيا قال وهو في الصلاة: اللهم ارحمني، ومحمدا ولا ترحم أحدا، فلما سلم النبي صلي الله عليه وسلم قال للأعرابي: { لقد حجرت واسعا } يريد رحمة الله عز وجل

ثامنها: دعاء الإنسان علي أهله وماله

وهنا فروع هامة:

- يجوز الدعاء للكافر بالهداية كما في حديث أبي هريرة عند مسلم في صحيحة والبخاري في الأدب المفرد { اللهم أهد دوسا }
- ويجوز الدعاء علي الكافرين كما في الصحيحين عن أبي هريرة { اللهم اشدد وطأتك علي مضر }
- ويجوز الدعاء علي من ظلم المسلمين، أو ظلمه وحده

وفي الفصل التاسع: جوامع الدعاء

وقد ذكر المصنف في هذا الفصل بعضا من الأدعية غير المأثورة ولو أنه اقتصر علي الأدعية المأثورة – وهي كثيرة جدا – لكان أولي وأجدر وأحسن فكان مما ذكره المصنف في هذا الفصل، قوله: ومما جربت إجابته تكرار هذه الأبيات، وهي:

وكم لله من لطف خفي .... يدق خفاه عن فهم الذكي

وكم يسر أتي من بعد عسر .... وفرّج كربة القلب الشجي

إذا ضاقت بك الأحوال يوما .... فثق بالواحد الفرد الغني

وكم أمر تساء به صباحا .... وتأتيك المسرة بالعشي

وفي الفصل العاشر: وضح المصنف ما ورد في اسم الله الأعظم، فقالت طائفة من العلماء: لا تفضيل بين أسماء الله تعالي، واستدلوا بقوله تعالي { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسني } (الإسراء 110)

وجمهور العلماء علي أنها متفاضلة، وقد اختلف هؤلاء في تحديد اسم الله الأعظم، فقيل هو يا حي يا قيوم

وقيل: يا ذا الجلال والإكرام

وقيل: هو في سورة الإخلاص

وقيل آية الكرسي

والراجح: أنه الله، لأن الأسماء كلها تضاف إليه، فتقول مثلا: اسم العزيز، من أسماء الله تعالي، ولا تقول: الله اسم من أسماء العزيز.

المبحث الثاني نسخ هذا الكتاب

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب علي خمس نسخ، ثلاث منها خطية، واثنتان مطبوعتان، وبيانهم كالتالي:

1- (ص) نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وهي مصورة من مكتبة ولي الدين بتركيا، ورقمها: "1626". وعدد أوراقها 61 ورقة، وهي أكمل النسخ التي بين أيدينا، إلا أنها ناقصة الفصلين التاسع والعاشر، وفي الفصل الخامس: آداب الدعاء انتقلت النسخة من الأدب العاشر إلي الثاني والعشرون مباشرة، فهي ناقصة من الحادي عشر، حتىٰ الحادي والعشرون وكتب بعد الأدب العاشر علي هامش الصفحة: " سقط هنا من أصل المؤلف ...ورقة "، ورمزنا لها بالرمز (ص) أي الأصل لأنها أفضل النسخ التي معنا

2- (خ) نسخة مكتبة الأزهر بالقاهرة، وهي برقم "310462"، أدعية وأوراد، وعدد أوراقها 33 ورقة، مكتوب عليها: وقف العالم العلامة عبد الرحمن حسناوي الزواوي علي طلبة العلم برواق المغاربة، بالجامع الأزهر، ورمزنا لها بالرمز (خ) وهي أكثر نقصا من الأولي، فهي إلي منتصف الفصل الخامس " آداب الدعاء " فقد انتهت عند الأدب العاشر من آداب الدعاء عند قوله: " وفي سنن أبي داود سألنا رسول الله صلي الله عليه وسلم: ما نقول في سجودنا؟ فقال: { ما اصطفاه الله لملائكته: سبحان الله وبحمده.

3- (ك) نسخة دار الكتب المصرية، وهي برقم "2095" تصوف، وعدد أوراقها: 21 ورقة، وهي أكثر نقصا من الاثنتين السابقتين، فهي إلي الفصل الرابع فقط، فقد انتهت عند الشرط العاشر من شروط الدعاء، وهو أن يصلح لسانه إذا دعا، ويحترز عما يعد إساءة في المخاطبات " ورمزنا لها بالرمز (ك)

4 – (ش) نسخة موجودة علي الشاملة الذهبية، بتحقيق الدكتور جميل عبد الله عويضة. 1431هـ=2010م، بدون دار نشر، وغير موافقة للمطبوع، وهي ناقصة فقد انتهت عند نفس النقطة التي انتهت عندها نسخة مكتبة الأزهر، ورمزنا لها بالرمز (ش)

5 – (ط) نسخة مطبوعة صادرة عن دار الفرقان بالقاهرة 1408هـ = 1998م بتحقيق أم عبد الله بنت محروس العسلي، وإشراف أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد.

وقد اعتمدت علي نسخة معهد المخطوطات كما أشار هو إلي ذلك إلا أنها أكثر نقصا منها، وهذا التحقيق من أسوأ التحقيقات التي رأتها عيني، وهذه بعضا من مساوئه وخطاياه:

1 – تعمد حذف نصوص كثيرة من أصل الكتاب، وأشار إلي هذا الحذف أحيانا وفي الأغلب لم يشر، وفي هذا مخالفة واضحة لأمانة الكلمة، وأمانة النقل التي سوف نحاسب عليها بين يدي الله يوم القيامة.

2 – أسقط لوحتين كاملتين من المخطوط ولم يشر إلي ذلك.

3 – هاجم العلامة الزركشي كثيرا واتهمه بأنه صاحب عقيدة فاسدة، وهذا الكلام غير صحيح ولا دليل عليه، بل الظاهر خلاف ذلك

4 – دعا علي الزركشي كثيرا دون وجه حق، وليس هذا من أدب العلماء ولا حتىٰ أدب العوام

5 – كان يتقول علي الزركشي ما لم يقله ويصفها بأسوأ الصفات خلافا للحقيقة. ومن أمثلة اختلاق الخطايا ونسبتها إلي المصنف، أن المصنف قال: " إذا كان الحق ليس في جهة فما معني رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء " فادعي المحقق في هامش

(102) تعقيبا علي هذا القول، أن المصنف يقول: الله ليس في السماء، ونص المصنف الذي حكاه المحقق لا يفيد هذا إطلاقا.

وبعد

فالخمس نسخ التي بين أيدينا ناقصة، ولا يوجد واحدة منها مكتملة، بل مجموع الخمس لا يعطي نسخة واحدة مكتملة، وأكثر النسخ تماما ناقصة الفصلين التاسع والعاشر. وناقصة من آداب الدعاء أحد عشر أدبا فالنسخة التي معنا انتقلت من أدب الدعاء العاشر إلي الحادي والعشرون، وبعد بحث شديد، وجهد جهيد، لم نستطع الوصول إلي هذا النقص لنكمل الكتاب، فاضطررنا لإ تمامه من كتاب تلخيص الأزهية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت. 926هـ =1520م).

حتي نعطي أقرب صورة ممكنه لما كتبه المؤلف. وإننا لنسعد أيما سعادة لكل من يتحفنا بهذا النقص لنكمل الكتاب في طبعات لاحقة إن شاء الله تعالي. وهذا الإيميل هو لتلقي رسائلكم بالنصح أو التوجيه أو الصفحات الناقصة من الكتاب

Dr.helmy.elfeqy@gmail.com

الفصل الثاني
مصنف الكتاب وعصره

الإمام الزركشي[1] [745 – 794هـ = 1344 – 1392م]

---

[1] انظر ترجمة الإمام الزركشي في:حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة 1/ 437 لجلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)،الناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة: الأولى 1387 هـ – 1967 م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. والدرر الكامنة 5/ 134. أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد/ الهند،الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م، تحقيق محمد عبد المعيد خان. وشذارات الذهب 8/ 573، لابن العماد الحنبلي، (المتوفى: 1089هـ)،الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت،الطبعة: الأولى، 1406 هـ – 1986 م، حققه: محمود الأرناؤوط. وطبقات المفسرين للداوودي 2/ 162، الناشر دار الكتب العلمية بيروت.وطبقات المفسرين للأدنه وي1/ 302، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر المحقق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، 1417هـ– 1997م. والأعلام للزركلي 6/ 60، خير الدين الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)،الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م. والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير 3/ 2189، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرون، الناشر: مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م. ومعجم المؤلفين 10/ 205، عمر رضا كحالة،الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت. وإنباء الغمر بأبناء العمر 1/ 446، أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: د حسن حبشي،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر،عام النشر:1389هـ، 1969م. وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 3/ 167، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: 851هـ)،المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، 1407 هـ. وكشف الظنون عن أسامي الفنون 1/ 226، حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، تاريخ النشر: 1941م. والوجازة في الأثبات والإجازة 1/ 328، أبو صفوان ذياب بن سعد الغامدي،الناشر: دار قرطبة

1- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

هو الإمام العلامة المتبحر: محمد بن عبد الله بن بهادر أبو عبد الله بدر الدين الزركشي الشافعي، القاهري مولدا ووفاة، الفقيه المبدع، والأصولي المتفنن، والأديب البارع، والمحدث المتمكن، صاحب المؤلفات القيمة، والفنون الرائعة البديعة

والزركشي نسبه إلي الزركش، وهي كلمة فارسية مركبة من "ذر" أي ذهب و "كش" أي ذو. والمقصود بها نسج الحرير بالذهب، ولقب به لأنه تعلم هذه الصنعة في بداية عمره، واشتغل بها فترة.

2- ولادته ونشأته وطلبه للعلم

ولد الإمام الزركشي في مصر سنة 745هـ=1344م من أسرة تركية، وكان أبوه مملوكا فتعلم صناعة الزركش، ثم وجهه الله تعالي نحو العلم، فحفظ المنهاج في الفقه للإمام النووي، وأقبل عليه مخلصا في طلبة، وجادا في الاشتغال به، وزاد حبه للحديث الشريف، فرحل إلي بلاد الشام، وسمع من علمائها أمثال ابن قدامة المقدسي [ت. 78هـ=1378م] والحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير [ت. 774هـ = 1372م] ونهل من كبار علماء عصره فلازم الشيخ جمال الدين الإسنوي

للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولىٰ، 1428 هـ. وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين 2/ 174، إسماعيل بن محمد أمين الباباني (المتوفىٰ: 1399هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.ومعجم المطبوعات العربية والمعربة 2/ 968، يوسف بن إليان بن موسىٰ سركيس (المتوفىٰ: 1351هـ)، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ – 1928 م.

[ت. 772هـ=1370م] والشيخ سراج الدين البلقيني [ت. 805هـ=1403م] كما تتلمذ في حلب علي الشيخ شهاب الدين الأذرعي [783هـ= 1381م]

وبعد أن أكمل مرحلة التحصيل العلمي، ونضج فكره استقر في مصر وانقطع إلي الله تعالي، واشتغل بالتدريس والتأليف والإفتاء، وولي مشيخة خانقاه كريم الدين بالقرافة الصغري، وذاع صيته، وأقبل عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب وكثر مريدوه، وتتلمذ عليه الكثيرون، فأفادوا منه الكثير، ووجدوا عنده ما قل نظيره، وندر شبيهه، من المعارف والعلوم في شتي الفنون، قال الحافظ بن حجر [ت. 852هـ =1449م]: " كان الزركشي منقطعا في منزله لا يتردد إلي أحد، إلا إلي سوق الكتب، وكان يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره، ومعه أوراق يعلق فيها ما يعجبه، ثم يرجع فينقله إلي تصانيفه " [2] وقال ابن العماد الحنبلي [1032 – 1089هـ =1623 –1679م] في شذرات الذهب[3]: " كان منقطعا إلي الاشتغال بالعلم، لا ينشغل عنه بشيء، وله أقارب يكفونه أمر دنياه "

فزهد رحمه الله في دنياه، وعف عنها، ولم يأخذه زخرفها، ولم يشغله بهرجها، ولم يلتفت إلي حكام الدنيا واتخذها سلما لآخرته، وانشغل بتزكية نفسه، وتنمية عقله، وتهذيب خلقه، وتقويم سلوكه، ومعرفة ربه، وتعلم دينه، فأخذ المولي جل في علاه بناصية الزركشي إلي مصاف العلماء الأتقياء، ولم يرحل عن دنيانا إلا وقد ترك ميراثا ثقافيا ضخما قياسا بقصر حياته، فقد مات وعمره تسع وأربعون سنة تقريبا، وترك أسفارا قيمة، وكتبا ماتعة، وإرثا ثقافيا كبيرا، في علوم شتي، ومعارف متباينة، جاوزت مؤلفاته الخمسين كتابا، نذكر الآن طرفا من هذه المؤلفات:

---

[2] الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 5/ 134، مرجع سابق.

[3] شذرات الذهب 8/ 573 لابن العماد الحنبلي، مرجع سابق.

3- مؤلفات الزركشي

ترك الإمام الزركشي إرثا ثقافيا كبيرا في علوم شتي ومن أهم هذه الكتب ما يلي:-

أولا: علم التفسير وعلوم القرآن

1- البرهان في علوم القرآن

2- تفسير القرآن الكريم وصل فيه إلي سورة مريم

3- رسالة بعنوان كشف المعاني في الكلام علي قوله تعالي: { ولما بلغ أشده }

ثانيا: علم الحديث

4- الذهب الإبريز في تخريج أحاديث الرافعي المسمي فتح العزيز

6- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر

7- الآليء المنثوره، في الأحاديث المشهورة، أو التذكرة في الأحاديث المشتهرة

8- شرح الجامع الصحيح وهو الشرح الكبير المسمي " الفصيح في شرح صحيح البخاري

9- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح

10- شرح الأربعين النووية

11- شرح عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي، ويسمي: النكت علي العمد في الأحكام.

12- النكت علي مقدمة ابن الصلاح

13- المختصر في الحديث أو الضوابط السنية في الروابط السنية

14- الإجابة لما استدركته عائشة علي الصحابة

15- نثر الدرر في أحاديث خير البشر

ثالثا: علم الفقه وأصوله وقواعده

16- خادم الرافعي والروضة في الفروع

17- بداية المحتاج شرح المنهاج

18- الدرر علي المنهاج

19- مختصر شرح المنهاج

20- الديباج شرح المنهاج وهو شرح علي منهاج الطالبين للنووي

21- تشنيف السامع بشرح جمع الجوامع

22- شرح التنبيه للشيرازي في فروع المذهب الشافعي

23- المنثور في القواعد

24- إعلام الساجد بأحكام المساجد

25- البحر المحيط في أصول الفقه

26- سلاسل الذهب في الأصول

27- شرح المعتبر للإسنوى في الفروع

28- الفوائد علي الحروف والأبواب

29- تحرير الخادم ويسمي كذلك لب الخادم

30- خبايا الزوايا في الفروع

31- شرح الوجيز في الفروع

32- الغرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر

33- فتاوى الزركشي

34- المنثور في القواعد، ويعرف بقواعد الزركشي في أصول الفقه

35- زهر العريش في أحكام الحشيش

36- رسالة في أحكام التمني

37- القواعد في الفروع

38- مالا يسع المكلف جهله

39- مجموعة الزركشي في فقه الشافعي

40- رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه

41- الأشباه والنظائر

رابعا: علم التوحيد

42- رسالة في كلمات التوحيد

43- معني لا إله إلا الله

خامسا: السيرة النبوية

44- شر قصيدة البردة الموسومة ب " الكواكب الدرية في مدح خير البشرية " الشهيرة بالبردة الميمية للإمام البوصيري [ت. 694هـ = 1295م]

سادسا: علم النحو والمنطق

45- التذكرة النحوية

46- لقطة العجلان وبلة الظمآن

سابعا: الأدب

47- تجلي الأفراح في شرح تلخيص المفتاح

48- ربيع الغزلان

49- خلاصة الفنون الأربعة

50- عمل من طب لمن حب

ثامنا: التاريخ

51- عقود الجمان في محاسن أبناء الزمان

وللإمام الزركشي مصنفات غير ما ذكرنا، وإن كان في هذه المصنفات دلالة واضحة عي سعة علمه، وتبحره في فنون كثيرة، وتمكنه من علوم متباينة، والجدير بالملاحظة هنا أن الإمام الزركشي توفي وعمره تسع وأربعون عاما، فكيف استطاع في هذا العمر القصير أن يخط كل هذه الآثار الضخمة، والأسفار الهائلة، غالب ظني أنه توفيق من رب الأرباب يتفضل به سبحانه وتعالي علي من أخذ بالأسباب، وبذل قصارىٰ جهده لتحصيل العلم، والعمل به.

4- عصر الإمام الزركشي [745 – 794هـ =1344 –1392م]

للعصر الذي يعيش فيه الإنسان، وللبيئة التي يحيا فيها أثر هام في تكوين أفكاره، وتوجيه سلوكه، وشحذ هممه، وتشكيل ثقافته، ولذا من الضروري أن نرسل شعاعا من الضوء، علي عصر المؤلف لنستكشف به الخطوط العريضة، والأبعاد الرئيسية لواقع الزمن الذي عاش فيه المصنف[4]

---

[4] يراجع في تفاصيل هذين القرنين

المختصر في أخبار البشر 3/ 195. ويعرف بتاريخ أبي الفداء. وتاريخ الإسلام للذهبي 14/ 795. والبداية والنهاية لابن كثير 17/ 356. وتاريخ ابن خلدون 5/ 424. وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 1/ 167 لبدر الدين العيني. وقصة الحضارة 13/ 277. وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي 3/ 527. ونزهة الأنام في تاريخ الإسلام 1/ 238. وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة 2/ 39 و 2/ 45.والنجوم الزاهرة 7/ 59. والسلوك لمعرفة دول الملوك 1/ 493 للمقريزي

أولا: أهم أحداث العالم الإسلامي في القرنين السابع والثامن

بعد هجرة المصطفي صلي الله عليه وسلم:-

في منتصف القرن السابع الهجري وتحديدا في عام 656هـ =1258م حلت بالمسلمين واحدة من أكبر النكبات والمصائب عبر تاريخهم كله، ألا وهي سقوط دار الخلافة وحاضرة العالم الإسلامي بغداد، في يد أعداء الحضارة الإنسانية التتار، وبدخولهم بغداد دمروا الحجر والشجر، وأهلكوا الحرث والنسل، وقتلوا العباد، ونشروا الفساد بكل أطيافه، وألوانه في كل أرجاء البلاد، وبلغ عدد القتلي من المسلمين في بغداد وحدها حسب تقديرات بعض المؤرخين ألفي ألف قتيل، 2 مليون قتيل من المسلمين، وأحرقوا أكثر من نصف مليون كتاب من مكتبات بغداد العامرة، وكانت بغداد في هذا الوقت تعد مركز القرار الدولي، وتتبوأ قمة ركب الحضارة الإنسانية إبان هذا العصر، وبالتالي فقد كانت جريمة المغول جريمة بشعة في حق الإنسانية كلها، وليس في حق المسلمين فحسب.

وامتدت أثار هذه الجريمة الهائلة عرضا في المكان، وطولا في الزمان، فأخرست الإنسان ودمرت البنيان، وكان طبيعيا أن تمتد جراحها إلي القرن الثامن الهجري الذي ولد وعاش فيه الإمام الزركشي [745 – 794هـ = 1344 – 1392م] وفي منتصف القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وفي قرابة العام 741هـ = 1340م حدثت مفاجأة قل نظيرها في تواريخ البشر، وندر مثيلها في تواريخ الأمم، ألا وهي دخول القبيلة الذهبية في الإسلام، وكانت هذه واحدة من أهم وأكبر قبائل المغول في وسط وشرق آسيا في تركستان، وظلت أراضي التركستان علي إسلامها حتىٰ يومنا هذا. وكانت هذه واحدة من أكبر مفاجآت التاريخ أن يدخل المنتصر في دين المنهزم، وليس العكس كما يحدث عادة، فعوض الله تبارك وتعالي المسلمين

بإسلام المغول عن الخسارات الكبرىٰ التي حلت بالمسلمين بسبب سقوط بغداد في أيدي التتار الهمج.

وكان من فتوحات الله عز وجل للمسلمين أن ولد عثمان بن أرطغرل، مؤسس الدولة العثمانية في نفس العام التي سقطت فيه بغداد في أيدي المغول 656هـ =1258م، وحكم الدولة العثمانية سلاطين أقوياء في بداية تأسيسها، وامتدت سيطرتها علي أكثر البلاد الإسلامية واتخذت من الأناضول مقرا لها، وقاعدة لانطلاقها شرقا وغربا، وبسطت ملك الإسلام إلي أقاليم جديدة، وفتحت شرق أوروبا ودول شبه جزيرة البلقان، وهزم سلاطين آل عثمان زعماء البلقان وحققوا عليهم انتصارات سهلة وسريعة، وهزموا جيوش الصليبين، القادمة من غرب أوربا لنجدة نصارىٰ البلقان. واستطاع آل عثمان أن يعزلوا بقايا البيزنطيين في القسطنطينية وفي عدد غير قليل من معاقل الدولة الرومانية الشرقية، وحاصروا القسطنطينية عدة مرات محاولين فتحها حتىٰ تمكنوا من فتحها في 21جماد أول 857هـ = 29 مايو 1453م

وكان من أسباب تأخير فتح القسطنطينية إلي هذا التاريخ هو ظهور تيمورلنك [736 –807هـ = 1336 – 1405م] من مسلمي ما وراء النهر، ويقال: إنه شيعي من أصل مغولي، ومن صلب مؤسس دولة التتار جنكيز خان [560 – 624هـ = 1165 –1227م]، وأقام تيمور لنك لنفسه ملكا، يمتد من الصين إلي روسيا، واكتسح فارس والعراق من غير أن يقف في طريقه شيء، وأنزل بأرواح المسلمين وأملاكهم الكثير من الخراب والدمار، وهزم الدولة العثمانية في معركة أنقرة الدموية الرهيبة 804هـ = 1402م

وقد وقعت في القرن السابع الهجري أحداث هامة، وكان العالم الإسلامي وقتها ممزقا ومقطعا إلي دويلات، وإمارات صغيرة، وكان من أهم أحداث هذا القرن:

في قارة آسيا:

كان الحجاز تحت حكم المماليك البحرية حتىٰ سنة 784هـ = 1382م، واليمن وحضرموت في حكم بني رسول بصنعاء، وبقية بلاد الجزيرة العربية تحت حكم المغول الإيلخانية حتىٰ سنة 737هـ =1336م، تنازعها الإيلخانية والجلائرية من سنة 737هـ = 1336م وحتىٰ عام 780هـ = 1378م، ثم تنازعها الجلائرية والتركمان من عام 780هـ وحتىٰ عام 796هـ = 1393م وفي حكم تيمورلنك بعد ذلك.

وأما الشام فكان في حكم المماليك البحرية حتىٰ سنة 784هـ =1382م، ما عدا حماة التي كانت في حكم فرع من الأيوبين الأكراد من سنة 710هـ = 1310م وحتىٰ سنة 742هـ = 1341م.

وأما بلاد فارس فقد تنازعها عدة دويلات منها: المغولية الإيلخانية، والمظفرية، وغيرهما.

وفي هراة وما حولها من أقاليم أفغانستان كان الكرت – وهم سلالة مسلمة سنية من أصل طاجيكي مرتبطة بالغوريين – يتولون أمورها حتىٰ سنة 791هـ = 1389م، حتىٰ بسط تيمورلنك سيطرته عليها، وبقيت تحت حكم المغول حتىٰ سنة 899هـ = 1494م

وكان يحكم بلاد ما وراء النهر المغول الجغتائية حتىٰ سنة 759هـ = 1358م، والذين دخلوا الإسلام في عام 741هـ = 1340م. وخضعت بلاد ما وراء النهر

لحكم المغول التيمورية المسلمين في عام 770هـ =1369م وكان انتشار الإسلام سريعا بين المغول والترك في أراضي شرق ووسط آسيا.

وفي قارة إفريقيا كانت مراكش تحت حكم المرينيون، وفي تلمسان من الجزائر الغربية كانت السيطرة لبني زيان. وكان الحفصيون في تونس حتىٰ فتحها المرينيون سنة 748هـ = 1347م واستغل ذلك الصليبيون وهاجموا تونس سنة 793هـ = 1390م. وكانت برقة الليبية تحت حكم المماليك، وصحراء ليبيا تحت حكم البدو المسلمين في الشمال. وكان الجنوب تحت إمرة زنوج مالي. وانتزع الوثنيون الصوماليون الحكم في ساحل شرق إفريقيا من المسلمين، وأعقب ذلك فتحا عظيما من المولي تبارك وتعالي للمسلمين حيث دخلت قبائل النيل الأعلي في الإسلام.

وأما في مصر فكان الحكم للمماليك البحرية حتىٰ سنة 784هـ =1382م، وبعدها المماليك البرجية حتىٰ سنة 791هـ 1389م وفي عام 766هـ =1365م قام الصليبيون باحتلال الإسكندرية ونهبها وسرقة خيراتها، وتدير عامرها.

وأما أوربا: فقد بدأت سيطرة القسطنطينية علي شرق أوروبا تتهاوي تحت مطارق الفتوحات العثمانية في شبه جزيرة البلقان والهزائم التوالية التي أنزلها العثمانيون بزعماء البلقان وفي غرب أوربا تقاسم المسيحيون السيطرة علي شبه الجزيرة الأيبيرية مع المسلمين.وفي أقصي الشرق حيث السهول السيبيرية والأراضي الروسية المترامية الأطراف، كانت منطقة درينـد في روسيا تحت حكم المغول الإيلخانية، والتيمورية، والسهوب في حكم المغول القبجاف من القبيلة الذهبية، والذين دخلوا الإسلام في عام 741هـ = 1340م.

كانت هذه أبرز ملامح الخريطة السياسية للعالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري – القرن الرابع عشر الميلادي فقد حلت الفرقة والإنقسام علي كيان الأمة

الإسلامية وتمزقت الخلافة الإسلامية، بعد أن كانت دولة واحدة موحدة تتصدر قمة ركب الحضارة الإنسانية الهادر لعدة قرون متعاقبة بفعل ضربات المغول من الشرق، وهجمات الصلبين من الغرب والخيانة الشيعية من القلب.

وأما داخل كيان الدولة الإسلامية فكان للفرق الضالة من الإسماعيلية والقرامطة والرافضة والحشاشين وغيرها، فكان لها أثرها السيء علي عقيدة المسلمين خاصة وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بصفة عامة، وكانوا معول هدم خطير للحضارة الإسلامية. ولكن كانت عناية الله للأمة الإسلامية في أحرج لحظات التاريخ تظهر واضحة للعيان قال تعالي { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا } (الطور 48) وقال جل في علاه { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } (الحجر 9) فقد أسلم كثير من المغول في أراضي التركستان وروسيا وسبيريا، في وسط وشرق آسيا، وحسن إسلامهم وظلوا علي إسلامهم حتىٰ اليوم، وأكرم الله سبحانه وتعالي الأمة الإسلامية بعلماء متقنين متمكنين في شتي أنواع المعارف الإنسانية فقاموا بواجبهم خير قيام في المحافظة علي كيان الدولة الإسلامية وترقيع ما تمزق جسدها المتهالك.

هذه أهم ملامح العالم الإسلامي في هذا الوقت، ولنلقي الآن شعاعا من النور علي واقع الشام ومصر والتي كان يعيش فيها الإمام الفاضل المتبحر بدر الدين الزركشي

ثانيا: أحداث مصر والشام

دخل القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي – والمماليك البحرية[5] يحكمون مصر والشام، وكان المماليك هم الحكام علي أرض الواقع في الحقيقة وقد أتوا بأحد رجالات البيت العباسي للإبقاء علي مظهر الخلافة من الناحية الشكلية، فانتقل مركز الخلافة من بغداد إلي القاهرة، عقب سقوط بغداد في أيدي التتار عام 656هـ = 1258م وكان أول خليفة عباسي في القاهرة. هو المستنصر بالله أحمد بن محمد الظاهر بن الناصر، بويع بالخلافة سنة 659هـ = 1261م وخرج بجيش من القاهرة لاسترداد بغداد من أيدي التتار، ودارت بينهم معركة في المحرم سنة 660هـ = ديسمبر 1261م قتل فيها الخليفة المستنصر بالله.

ثم جاء بعده أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمي البغدادي المصري الملقب بالحاكم بأمر الله [645 – 701هـ = 1247 –1302م]، وبويع بالخلافة في القاهرة في عام 661هـ = 1263م. واستمر رمزا للخلافة حتىٰ وفاته في سنة 701هـ =

---

[5] دولة المماليك: أسسها المعز لدين الله أيبك الصالحي سنة 648هـ = 1250م. والمماليك هم صنف من العبيد أصلهم أتراك وجراكسة استقدمهم الأيوبيين للخدمة العسكرية ثم برز منهم أقوياء، قامت دولتهم علي أنقاض الدولة الأيوبية. وهم نوعان: المماليك البحرية حكموا مابين 648هـ = 1250م وحتىٰ عام 792هـ = 1389م. ومماليك برجية، وحكموا ما بين عام 792هـ = 1389م وحتىٰ عام 922هـ = 1517م، وسميت المماليك البحرية بهذا الاسم: لكونهم يسكنون مع سيدهم النجم الصالح أيوب، في قلعة الروضة، حيث جعل من هؤلاء المملوكين الأتراك أمراء دولته، وبطانته، وسميت المماليك البرجية بهذا الاسم لأنهم كانوا يسكنون أبراج القلعة. يراجع في ذلك: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 7/ 5. ونزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار 1/ 418. وتاريخ الدولة العثمانية العلية ص 83. والمماليك البحرية وقضائهم علي الصليبين 134. وكنز الدرر وجامع الغرر 8/ 5.

1302م، ثم بويع بالخلافة لابنه سليمان الملقب بالمستكفي بالله، وكان السلطان المملوكي آنذاك هو الظاهر بيبرس [625- 676هـ = 1228 -1277م] كان يلقب بالملك الظاهر وكان أسيرا، ثم رقيقا، ثم أميرا، ثم سلطانا، تولي سلطنة مصر والشام في عام 658هـ = 1260م، وحقق انتصارات كبيرة علي المغول والصليبين، وفي عهده انتقلت الخلافة العباسية إلي القاهرة، وأحرز فتوحات واسعة، توفي في دمشق ودفن فيها في العام 676هـ = 1277م وأقيمت حول مرقده المكتبة الظاهرية.

وجاء بعد الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة حكم عامين بعد وفاة أبيه، ثم جاء بعده الملك العادل سلامش ابن الظاهر بيبرس حكم أقل من عام ولم يكن لا بني بيبرس آثار واضحة في الحكم، لصغر سنهما وضعف شخصيتهما، وقصر المدة التي مكثاها في الحكم. وجاء بعدهما واحد من أبرز سلاطين دولة المماليك البحرية وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح[6] [684 – 741هـ = 1285 – 1341م]، وكان حازما حكيما ذكيا صاحب سياسة حكيمة، ودهاء، وكان جوادا سخيا كريما، يحب العدل، ويعظم

---

[6] نشأ الناصر محمد بن قلاوون في دمشق، وقضي طفولته فيها، وولي سلطنة مصر والشام سنة 693هـ =1294م وعمره تسع سنوات، وخلع من السلطنة بعد عام واحد فقط، وعاد إلي الحكم في عام 698هـ = 1299م، واستمر في الحكم إلي عام 708هـ = 1208م وفي هذا العام عزل نفسه من الحكم، ثم عاد إلي السلطنة في عام 709هـ = 1209م وبقي فيها إلي موته في عام 741هـ = 1341م. وأحكم السيطرة علي مقاليد الحكم في سائر أرجاء السلطنة، وخطب له بمصر، والشام، والحجاز، والعراق، وديار بكر، والروم، وطرابلس، والغرب، وأتته الهدايا من ملوك الهند والصين والحبشة والإفرنج

يراجع في ذلك تاريخ أبي الفداء 4/ 54. ومرآة الجنان 4/ 189. والبداية والنهاية 17/ 672. والنجوم الزاهرة 8/ 41. وتاريخ الخلفاء 1/ 341.

الشرع الحنيف، وقافا عند حدود الله، ونجح في تثبيت ملكه، وتوطيد أركانه، وتوسيع دائراته، فكانت دولته بحق أقوي دولة في العالم الإسلامي في وقته، ولا سيما بعد أن اهتم بالإصلاحات الداخلية، والتنمية العمرانية، وشق الترع، وتمهيد الطرق، وملأ بلاده عمرانا ورخاء، ومع ذلك لم يأل جهدا في الدفاع عن الإسلام، وصد العدوان القادم من الشرق، ورد العدوان الزاحف من الغرب، من التتار، ومن الصليبين وفي عام 699هـ = 1300م، وصلت الأخبار إلي السلطان محمد بن قلاوون بزحف التتار إلي بلاد الشام، فلم يتباطأ ولم يتكاسل في رد عدوان المغول، وقام بتجهيز جيش وزحف إلي دمشق لمواجهة التتار هناك، قبل أن يأتوا إلي مصر، واستقبله الناس في دمشق وما حولها بالدعاء، وكان وقتا شديدا، وحالا صعبا، والتتار بكامل عتادهم وعددهم، فخرج السلطان بجيش المسلمين إلي وادئ الخزندار، عند وادي سليمة، والتقي الجيشان ودارت بينهما معركة طاحنة كسر فيها المسلمون، وكر السلطان هاربا.

لكن المؤمن لا يعرف اليأس أبدا، ولم تثني هذه الهزيمة عزيمة السلطان المسلم من الكره مرة ثانية علي التتار، فعاد وقد حرض العلماء علي أن يغرسوا في قلوب الجند حب الشهادة، وأن يحببوا إليهم روح التضحية والفداء، وأن يبذلوا قصاري جهدهم لرفع الروح المعنوية للجنود، وأن ذروة سنام الإسلام هو الجهاد في سبيل الله، وأن الشعوب التي تحب الجهاد، وتعشق الاستشهاد في سبيل الله توهب لها الحياة الكريمة، وإذا كان ربنا سبحانه وتعالي يقول في كتابه الحكيم { وما النصر إلا من عند الله } (آل عمران 126) فما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وطاعة رب العزة تبارك وتعالي في ميدان الجهاد، هي الآخذ بالأسباب، وإعداد العدة، امتثالا لقوله تبارك وتعالي { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله

وعدوكم } (الأنفال 60) فعاد جند المسلمين، وقد تزودوا بزاد التقوي والإيمان، وأحبوا لقاء الله، والآخرة، وتركوا الوهن الذي حذرهم منه رسولهم صلي الله عليه وسلم، وهو: { حب الدنيا، وكراهية الموت } فعادوا متماسكين أقوياء لا ضعفاء، ولا غثاء كغثاء السيل، وبعد الهزيمة بثلاث أعوام فقط التقي الجيشان: جند المسلمين – جند الرحمن – مع جند الشيطان –جند التتار في عام 702هـ = 1303م و نصر الله عبده وأعز جنده، وانتصر المسلمون علي التتار، انتصارا حاسما، وأوقعوا بالتتار هزيمة ساحقة، ولم ينج منهم إلا القليل. وفي عام 714هـ =1314م فتح المسلمون بقيادة الناصر محمد بن قلاوون ملطية.

وهكذا قام ابن قلاوون بأعمال عظيمة في الداخل والخارج، وحتىٰ وفاته في عام 741هـ 1341م، وتولي الحكم بعده ابنه سيف أبوبكر بعهد من أبيه ولقب بالملك المنصور.

ثم حصل الشقاق والخلاف بين أبناء الناصر محمد بن قلاوون، وبويع بعضهم بالحكم صغيرا دون سن الرشد، فدب الضعف في أركان الحكم، وتهاوت دعائمه، التي تركها الناصر بن قلاوون محكمة قوية، واستمر هذا الضعف يسري في كيان الدولة، وانتشر الظلم والفساد والرشاوىٰ، حتىٰ سقطت دولة المماليك البحرية في عام 792هـ =1389م. وذلك بخلع آخر أمرائهم وهو الملك الصالح زين الدين حاجي[7] [773 –814هـ = 1371 – 1412م] والذي تولي مقاليد الحكم لأقل من عام وخلع في عام 792هـ = 1389م

---

[7] جدير بالذكر أن الملك الصالح حاجي، ولي السلطنة مرتين: الأولي عام 783هـ = 1381م، لمدة عام،ثم خلع، وكان عمره عشر سنوات، وتولي السلطنة الظاهر برقوق لمدة ثمان سنوات من عام 784هـ، ثم خلع.

وآلت أمور الحكم إلي المماليك البرجية " الجراكسة " من عام 792هـ = 1389م إلي عام 923هـ = 1517م وكان أول من ولي السلطنة من المماليك البرجية " الجراكسة " هو الظاهر برقوق [738 -801هـ =1338 – 1398م] وتميز عهد برقوق بالمعارضة الشديدة، وكثرة الفتن، والفوضىٰ فاهتم اهتماما شديدا بالقضاء علي هذه المعارضة، والفتن، والفوضىٰ، ثم توجه إلي الإصلاحات الداخلية، واهتم بالعمران وظل علي ذلك حتىٰ استقرت الأمور في نهاية عهده، ومات الظاهر برقوق في 801هـ = 1398م بعد أن عهد بالحكم بالأمر من بعده لابنه فرج [801 – 815هـ =1398 – 1412م] وكان عمره يوم تولي السلطنة ثلاث عشرة سنة.

وعلي العموم فقد كان عصر المماليك – بجزيئه المماليك البحرية والمماليك الجراكسة – عصر يسوده الفساد السياسي، والاضطرابات الكثيرة، وظلم الحكام وفسادهم، وتناحرهم، وكان لذلك الأثر البالغ في نزول الويلات والمصائب علي الأمة، بسبب عدم تمسك الحكام بحبل الله المتين، ودينه القويم، وعلي الرغم من كل ذلك فقد كانت رحمة الله تبارك وتعالي، وعنايته وحفظه تدرك هذه الأمة بين الحين والآخر، فيظهر فيها حكام مخلصون لدينهم محبون للخير، يمتثلون أمر ربهم، ويجتنبون نواهيه، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويعلون راية الجهاد في سبيل الله ضد أعداء الأمة، الذين يتربصون بهم الدوائر، من أمثال: الملك الناصر قلاوون [620 – 689هـ = 1223 – 1290م] والذي حكم مصر عام 678هـ وحتىٰ وفاته، وفي عهده أغار التتار علي بلاده، فردهم، وقاتلهم، وظفر بهم، ومن

والثانية: والأخيرة للملك الصالح حاجي كانت في عام 791هـ، ولمدة عام أيضا، ثم خلع.

يراجع في ذلك: المنهل الصافي 3/ 287، 3/ 308. ومورد اللطافة 2/ 109. والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع 1/ 163، والضوء اللامع 3/ 11. وإنباء الغمر بأبناء العمر 1/ 257.

أمثال ابنه الملك الأشرف بن قلاوون [666- 693هـ = 1268 -1294م] والذي حكم مصر أربعة أعوام فقط بعد وفاة أبيه، فاستفتح الملك بالجهاد في سبيل الله فقصد بلاد الشام وقاتل الصليبين، واسترد منهم عكا، وصور، وصيدا، وبيروت، وقلعة الروم، وبيسان، وجميع الساحل، وتوغل في الداخل، وكان شجاعا مهيبا، جوادا، عالي الهمة، رغم صغر سنه، وبالرغم من ذلك كله، كان له آثار عمرانية، وإصلاحات داخلية، وقتله بعض المماليك غيلة وهو في السابعة والعشرين من عمره.

وامتاز عهد المماليك عموما بحركة تعمير، وبناء نشطة، وبلغ الفن المعماري الإسلامي أوج عظمته، وشهد أيضا العصر المملوكي نهضة علمية كبيرة، وكانت المدارس ودور العلم منتشرة في أماكن كثيرة.

وللحاكم في النظام السياسي الإسلامي مهمتان أساسيتان: الأولي هي حراسة الدين، وتزكية النفوس، وتربية الأمة، وتثقيف الشعب لينهض بدوره الهام في محاربة الاستبداد السياسي، والمساهمة في صناعة الحضارة الإنسانية، والمهمة الثانية للحاكم هي: سياسة الدنيا، وتحقيق الرخاء، والرفاهية للأمة في كل مجالات الحياة، ومهمة العلماء هي إعادة الحاكم إلي جادة الصواب، وهذا ما كان يفعله ثلة من علماء الأمة علي مدىٰ العصور وكان من هؤلاء في العصر المملوكي شيخ الإسلام العز بن عبد السلام [577 – 660هـ = 1181 – 1262م].

فعندما تولي سيف الدين قطز الحكم، وأراد تجميع قوي الأمة، لمواجهة التتار بعد سقوط بغداد، فسعي لفرض ضرائب جديدة، وطلب من شيخ الإسلام العز بن عبد السلام فتوي يستعين بها علي جمع الضرائب لمحاربة التتار، فكان موقف العز بن عبد السلام واضحا شجاعا لا يخشي في الله لومة لائم، حيث رفض إعطاء

السلطان هذه الفتوىٰ، وقال: يجب علي السلطان أن يجمع كل الذهب والفضة والمجوهرات الموجودة عند إمراء المماليك، ليجهز بها الجيش وبالفعل امتثل السلطان قطز لفتوىٰ العز بن عبد السلام. وجمع من خزائن أمراء المماليك الذهب والمجوهرات، والتي جهزت الجيش بكل ما يحتاجه من مال وعتاد وسلاح، بل وفاضت، وقام الشيخ العز بن عبد السلام بتحريض الشعب علي الجهاد ضد المغول أعداء الإنسانية وكان النتيجة نصرا ساحقا للمسلمين علي التتار في معركة عين جالوت 658هـ = 1260م والتي أوقفت زحف التتار علي بلاد الإسلام.

وجاء من بعده تلميذه شيخ الإسلام ابن تيمية [661 – 728هـ = 1263 – 1328م] فقام بواجبه خير قيام، في نصح الأئمة والحكام، وحثهم علي مجاهدة الطغيان، ومحاربة التتار، والدفاع عن ديار المسلمين في الشام، حتىٰ قال للسلطان الناصر ناصحا ومرشدا ومهددا: " إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقمنا له سلطانا يحوطه،ويحميه ويستغله في زمن الأمن " ولم يزل شيخ الإسلام ابن تيمية يستحث السلطان، في الدفاع عن الشام، حتىٰ أرسل جنوده وعساكره لنصرة إخوانهم في الشام أمام زحف التتار، وقال لهم أيضا: " لو قدر أنكم لستم حكام الشام، ولا ملوكه، واستنصركم أهله وجب عليكم النصرة، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه، وهم رعاياكم وأنتم مسئولون عنهم "[8] ولم يتوقف ابن تيمية عن نصح الحكام، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان جزاءه السجن مرات، ومرات عديدة في مصر، والشام حتي مات رحمه الله مسجونا، في قلعة دمشق عام 728هـ = 1328م، وعلي مدار التاريخ كان الابتلاء والسجن من نصيب الدعاة الصادقين، والعلماء

---

[8] البداية والنهاية لابن كثير 17/ 738 الناشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولي 1418هـ =1997م تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي

المخلصين فقد حبس الأئمة الأربعة وأوذوا في دينهم ودنياهم، وحبس شيخ الإسلام العز بن عبد السلام وعلي دربهم حبس وأوذي الكثير من العلماء، والغريب في الأمر أن هذا الإيذاء كان يقع من حكام يدعون أنهم مسلمون.

وفي المقابل كان هناك مجموعة من علماء الدين يفخرون بأنهم من علماء السلطان كتموا ما علمهم الله من البينات والهدي، ونقضوا العهد الذي قطعه الله عليهم: من أن يبينوا للناس الحق ولا يكتمونه فاتبعوا هواهم، وأيدوا هوي السلطان، وأصدروا الفتاوىٰ المؤيدة للسلطان ابتغاء المال والجاه، وباعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، وهؤلاء كسابقيهم موجودون في كل مكان، وعلماء السلطان هؤلاء يفسدون ما يصلح علماء الآخرة، وهؤلاء أحد أهم الأسباب في ضياع روح الإسلام في كثير من العصور، فعلماء الدين مسئوليتهم كبيرة، وأمانتهم ثقيلة نسأل الله العافية، فعلماء الدين إن اقتدوا برسول الله صلي الله عليه وسلم يكون لهم مثل أجر من اقتدىٰ بهم إلي يوم القيامة، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وإن كتموا وأعرضوا وبدلوا كان عليهم وزر من تأثر بهم { كبر مقتا أن تقولوا علي الله مالا تعلمون } (الصف 3)

هذا وقد كان المجتمع في القرن الثامن الهجري، يعاني من أوضاع بالغة السوء في كثير من جوانب الحياة، فقد انتشر الظلم والتعسف، وعاني المجتمع في كثير من الأحيان من الفقر والأمراض والأوبئة الخطيرة، ومن الغش والنهب والسرقات، ولاسيما عندما ينشغل السلاطين بعروشهم، ولذاتهم، ويتناحرون علي السلطة، وينشغلون بجمع الضرائب لتأمين رفاهيتهم علي حساب رفاهية الشعوب.

وفي المقابل كان يعم الرخاء، والعدل، والأمن، والرفاهية حينما يكون هم الحكام إرضاء ربهم، وخدمة شعبهم، وتعمير بلدهم، قال تعالي: { ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } (الأعراف 96) وقال تبارك

وتعالي: { ولو أنهم أقاموا التوارة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم } (المائدة 66) وقال تعالي: { وأن لو استقاموا علي الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا } (الجن 16)

ومع كل هذه المصائب السياسية، والاجتماعية كانت الحالة العلمية متقدمة جدا في علوم كثيرة، حيث ظهر في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي – علماء مسلمون أفذاذ، منهم علي سبيل المثال الفيلسوف والمؤرخ وعالم الاجتماع ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون [732 – 808هـ = 1332 – 1406م] وهو كاتب مقدمة ابن خلدون ويعد مؤسس علم الاجتماع، وهو واحد ممن قدموا إضافات واضحة لمسيرة الحضارة الإنسانية. ومحمد بن عبد الله بن محمد الشهير بابن بطوطة [703 – 779هـ = 1304 – 1377م] وهو الرحالة الشهير صاحب رحلات ابن بطوطة والتي ترجمت إلي عدة لغات

ومحمد بن عبد الله بن سعيد الشهير ب لسان الدين بن الخطيب [713 – 776هـ = 1313 – 1374م] وكان يلقب بذي الوزارتين القلم والسيف، فكان وزيرا مؤرخا أديبا. ومن علماء الإسلام الأفذاذ أيضا في القرن الثامن الهجري، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر الشهير بابن كثير [700 – 774هـ = 1300 – 1372م] فكان من نوابغ التفسير والتاريخ والحديث

وشيخ الإسلام ابن تيمية [661– 728هـ = 1263 – 1328م]، وتلميذه النابغة ابن القيم الجوزية [691 – 751هـ = 1292 – 1350م] والعلامة محمد بن أحمد بن عثمان الشهير ب شمس الدين الذهبي [673 – 748هـ = 1274 – 1348م] صاحب تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وله سواهما مصنفات تقارب المائة كتاب. والعلامة الكبير أحمد بن محمد بن عبد الوهاب الشهير ب شهاب الدين

النويري [677 – 733هـ - 1278 – 1333م]، ويكفيه أنه مؤلف نهاية الأرب في فنون الأدب، 33مجلد، وهو أشبه بدائرة معارف لما وصل إليه العلم عند العرب في عصره، كما وصفه خير الدين الزركلي في الأعلام. والعلامة المؤرخ أحمد بن علي بن عبد القادر الشهير ب تقي الدين المقريزي [766 – 845هـ - 1365 – 1441م] صاحب كتاب: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف ب خطط المقريزي، وله موسوعة بديعة ضخمة في سيرة المصطفي صلي الله عليه وسلم في مطبوعة في خمسة عشر مجلدا كبيرا تسمي ب " إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ". وفقيه الشافعية الكبير أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشهير بابن الرفعة [645 – 710هـ = 1247 – 1310م]، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، ومن أشهرها كفاية النبية، في الفقه، مطبوع في 21 مجلدا. وكثير غير هؤلاء كالصفدي، واليافعي، وابن الدردي، وزين الدين العراقي، وابن تغري بردي، وجلال الدين البلقيني، وابن بنت الأعز

وكان هذا التقدم الرائع والمذهل لأمة الإسلام في مختلف العلوم التي عرفتها الإنسانية حتىٰ هذا العصر، أمرا لافتا للأنظار، ومبهرا للعقول، خصوصا أنه جاء بعد أن حل بالأمة الإسلامية واحدة من أكبر النكبات التي نزلت بها عبر التاريخ، ألا وهي سقوط بغداد في أيدي التتار، وتعمد حرق الكتب، وتدمير المكتبات، والمدارس المنتشرة في بغداد، وكان هذا من حفظ الله ورعايته لهذه الأمة.

وفاته:

وفي 3رجب 794هـ الموافق 2/ 6/ 1392م أسلم الإمام بدر الدين الزركشي الروح إلي بارئها عن عمر يناهز 49عاما، قضاها في تحصيل العلم بجد، واجتهاد، وبذل أقصي جهد ممكن في تحصيل العلم، والبخل بالوقت عن أن يضيع منه دقيقة واحدة في غير فائدة، فكان هذا الإنتاج العلمي الكبير، في هذا العمر القصير، قال ابن قاضي شهبة (ت. 851هـ) في كتابه طبقات الشافعية 3/ 168: " وحكي لي الشيخ شمس الدين البرماوي أنه كان منقطعا إلي الاشتغال بالعلم، ولا يشتغل عنه بشيء، وله أقارب يكفونه أمر دنياه، توفي في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ودفن بالقرافة الصغري، بالقرب من تربة الأمير بكتمر الساقي "[9] وهكذا كان الإمام محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي إماما يحتذي، ومثلا يقتدي، في بذل النفس والنفيس والغالي والرخيص، من أجل تحصيل العلم، وإحسان التصنيف، فندعو الله سبحانه وتعالي أن يرزقنا الإخلاص والصواب والقبول في كل حركاتنا وسكناتنا، وفي خلجات نفوسنا، وخواطر قلوبنا وأن يجعل عملنا هذا، وكل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

[9] يراجع طبقات المفسرين للداودي 2/ 163. والدرر الكامنة 5/ 133

بسم الله الرحمن الرحيم

عونك يا كريم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد[10]

الحمد لله المدعو بكل لسان، المرجو للعفو والإحسان والصلاة والتسليم الأثمان الاكملان علىٰ سيدنا محمد نبي الرضوان وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وبعد..

فإن الطاعات التي[11] تعبدنا بها الرحمن هي الوصلة إلي الجنان والنظر والرضوان[12]، وبها تحصل السعادة الأبدية، والحياة السرمدية، ومن جملتها الدعاء

---

[10] علقت أم عبد الله في تحقيقها بقولها: " وهو بدعة نهي عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم – قال له بعض الوفود: أنت سيدنا، فقال { السيد الله، أنا محمد عبد الله ورسوله، فقولوا: عبد الله ورسوله } رواه أبو داود والنسائي، وليس هو من هدي السلف. انتهي.

ولكن هذا القول تسرع في الحكم بالبدعة، والأمر يحتاج إلي تدبر أعمق، وفقه واعي، وإعمال كل النصوص الواردة، وليس إعمال بعضها، وإهمال الآخر. فقولك سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ليس بدعة لأن قوله صلي الله عليه وسلم: { السيد الله } يريد أن السؤد وحقيقة لله عز وجل، وأن الخلق كلهم عبيد له، وإنما منعهم فيما نري أن يدعوه سيدا، مع قوله: { أنا سيد ولد آدم }، وقوله لبني قريظة: { قوموا إلي سيدكم } يريد سعد بن معاذ من أجل أنهم قوم حديث عهد بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي بأسباب الدنيا وكان لهم رؤساء يعظمونهم، وينقادون لأمرهم، ويسمونهم السادات، فعلمهم الثناء عليه، وأرشدهم إلي الأدب في ذلك، فقال: قولوا بقولكم. يريد: قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله عز وجل في كتابه، فقال { يا أيها النبي } { يا أيها الرسول }، ولا تسموني سيدا كما تسمون رؤساءكم، وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم، فإني لست كأحدهم، إذ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبيا ورسولا.

انظر الخطابي في معالم السنن شرح سنن أبي داود 4\112 المطبعة العلمية – حلب 1351هـ =1932م. ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 7\3074، وما بعدها، ط دار الفكر بيروت 1422هـ=2002م. وفيض القدير 4/ 152. ط المكتبة التجارية مصر 1356هـ.

والتضرع، والالتجاء لما فيه من إظهار عز الربوبية، من ذل العبودية، وهو طلب ثواب الله من غير سبب، ويحصل للداعي ما لا يحصل بغيره من العبادات، لأن انتفاعه بفعله العبادات، ونفع الدعاء يقع في الحياة والممات، فيدعو الوالد لولده حيا وميتا، وكذا الولد لوالده[13]، والحبيب لحبيبه، والقريب للبعيد، والبعيد للقريب، وهو مظنة الإجابة بدليل: تأمين الملك، وقوله: و لك مثلة[14]، مع من هو له الدعاء، وعدم تقييده بمكان، ولا زمان، والدعاء واصل للمدعو بإجماع، وكذا الصدقة عن الميت[15]، بخلاف غيره من العبادات[16]، في وصولها إليه خلاف[17]،

---

[11] في (خ) اللتىٰ

[12] غاية كل مسلم هي إرضاء المولي عز وجل ودخول الجنة والنظر إلي وجه هي قمة نعيم أهل الجنة كما في حديث أبي سعيد الخدري في صحيح البخاري 6\44 ومسلم 4\2176. وكما في حديث صهيب بن سنان في صحيح مسلم 1\163 (297).

[13] وهذا مستفاد من حديث أبي هريرة مرفوعا { إذا مات الإنسان انقطع عمله إل من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة تجري له، أو ولد صالح يدعو له } وقد أخرجه النسائي في سننه 6\251 برقم [3651] ط مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب. 1406هـ=1986م. والترمذي في سننه 3| 652 رقم [1376] ط مصطفي البابىٰ الحلبي – مصر 1395هـ = 1975م والدارمي في سننه 1/ 462 برقم [578] دار المغني للنشر والتوزيع 1412هـ = 2000م وابن خزيمة في صحيحه 4\122 برقم [2494] ط المكتب الإسلامي بيروت.

[14] حديث أم الدرداء مرفوعا { من دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به آمين، ولك بمثل } أخرجه مسلم في صحيحه 4/ 2094 [2732] ط إحياء التراث العربي بيروت. وأبو داود في سننه 2/ 89 [1534] = = ط المكتبة العصرية صيدا. وابن ماجه في سننه 2\966 [2895] ط دار إحياء الكتب العربية. وأحمد في مسنده 45\ 539 [27558] مؤسسة الرسالة 1421هـ= 2001م وابن شيبة في مصنفة 6\21 [29161] مكتبة الرشد الرياض 1409هـ.

[15] في (ش) البيت

[16] في (ط) ففي

(17) قال ابن القيم في كتابه الماتع الروح ص 117:

"هَل تنْتَفع أَرْوَاح الْمَوْتَىٰ بِشَيْء من سعىٰ الْأَحْيَاء أم لَا

فَالْجَوَاب أَنَّهَا تنْتَفع من سعىٰ الْأَحْيَاء بأمرين مجمع عَلَيْهِمَا بَين أهل السّنة من الْفُقَهَاء وَأهل الحَدِيث وَالتَّفْسِير أَحدهمَا مَا تسبب إِلَيْهِ الْمَيِّت فِي حَيَاته

وَالثَّانِي دُعَاء الْمُسلمين لَهُ واستغفارهم لَهُ وَالصَّدَقَة وَالْحج علىٰ نزاع مَا الَّذِي يصل من ثَوَابه هَل ثَوَاب الْإِنْفَاق أَو ثَوَاب الْعَمَل فَعِنْدَ الْجُمْهُور يصل ثَوَاب الْعَمَل نَفسه وَعند بعض الْحَنَفِيَّة إِنَّمَا يصل ثَوَاب الْإِنْفَاق وَاخْتلفُوا فِي الْعِبَادَة الْبَدَنِيَّة كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاة وَقِرَاءَة الْقُرْآن وَالذكر

فمذهب الإِمَام أَحْمد وَجُمْهُور السّلف: وصولها، وَهُوَ قَول بعض أَصْحَاب أَبىٰ حنيفَة، نَص علىٰ هَذَا الإِمَام أَحْمد فِي رِوَايَة مُحَمَّد بن يحيىٰ الكحال قَالَ قيل لأبىٰ عبد الله الرجل يعْمل الشَّيْء من الْخَيْر من صَلَاة أَو صَدَقَة أَو غير ذَلِك فَيجْعَل نصفه لِأَبِيهِ أَو لأمه قَالَ أَرْجُو أَو قَالَ الْمَيِّت يصل إِلَيْهِ كل شَيْء من صَدَقَة أَو غَيرهَا وَقَالَ أَيْضا اقْرَأ آيَة الْكُرْسِيّ ثَلَاث مَرَّات وَقل هُوَ الله أحد وَقل اللَّهُمَّ إِن فَضله لأهل الْمَقَابِر

وَالْمَشْهُور من مَذْهَب الشَّافِعِي وَمَالك أَن ذَلِك لَا يصل

وَذهب بعض أهل الْبدع من أهل الْكَلَام أَنه لَا يصل إِلَىٰ الْمَيِّت شَيْء الْبَتَّةَ لادعاء وَلَا غَيره

فالدليل علىٰ انتفاعه بِمَا تسبب إِلَيْهِ فِي حَيَاته مَا رَوَاهُ مُسلم فِي صَحِيحه من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رضىٰ الله عَنهُ أَن رَسُول الله قَالَ إِذا مَاتَ الْإِنْسَان انْقَطع عَنهُ عمله إِلَّا من ثَلَاث صَدَقَة جَارِيَة أَو علم ينْتَفع بِهِ أَو ولد صَالح يَدْعُو لَهُ فاستثناء هَذِه الثَّلَاث من عمله يدل علىٰ أَنَّهَا مِنْهُ فانه هُوَ الَّذِي تسبب إِلَيْهَا

وَفِي سنَن ابْن مَاجَه من حَدِيث أَبىٰ هُرَيْرَة رضىٰ الله عَنهُ قَالَ قَالَ رَسُول الله إِنَّمَا يلْحق الْمُؤمن من عمله وحسناته بعد مَوته علما علمه ونشره أَو ولدا صَالحا تَركه أَو مُصحفا وَرثهُ أَو مَسْجِدا بناه أَو بَيْتا لِابْنِ السَّبِيل بناه أَو نَهرا إِكْرَاه أَو صَدَقَة أخرجهَا من مَاله فِي صِحَّته وحياته تلْحقهُ من بعد مَوته

وَفِي صَحِيح مُسلم أَيْضا من حَدِيث جرير بن عبد الله قَالَ قَالَ رَسُول الله من سنّ فِي الْإِسْلَام سنة حَسَنَة فَلهُ أجرهَا وَأجر من عمل بهَا من بعده من غير أَن ينقص من أُجُورهم شَيْء وَمن سنّ فِي الْإِسْلَام سنة سَيِّئَة كَانَ عَلَيْهِ وزرها ووزر من عمل بهَا من بعده من غير أَن ينقص من أوزارهم شَيْء وَهَذَا الْمَعْنىٰ روىٰ عَن النَّبِي من عدَّة وُجُوه صِحَاح وَحسان

والدليل علىٰ انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة والإجماع وقواعد الشرع:

أما القرآن فقوله تعالىٰ {والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} فأثنىٰ الله سبحانه عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل علىٰ انتفاعهم باستغفار الأحياء

وقد يمكن أن يقال إنما انتفعوا باستغفارهم لأنهم سنوا لهم الإيمان بسبقهم إليه فلما اتبعوهم فيه كانوا كالمستنين في حصوله لهم لكن قد دل علىٰ انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة علىٰ الدعاء له في صلاة الجنازة

وفي السنن من حديث أبىٰ هريرة رضىٰ الله عنه قال قال رسول الله إذا صليتم علىٰ الميت فأخلصوا له الدعاء

وفي صحيح مسلم مد حديث عوف بن مالك قال علىٰ جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار

وفي السنن عن وائلة بن الأسقع قال علىٰ رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم إن فلانا ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك الغفور الرحيم

وهذا كثير في الأحاديث بل هو المقصود بالصلاة علىٰ الميت وكذلك الدعاء له بعد الدفن

وفي السنن من حديث عثمان بن عفان رضىٰ الله عنه قال كان النبي إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الخصيب قال كان رسول الله يعلمهم إذا خرجوا إلىٰ المقابر أن يقولوا السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية

وفي صحيح مسلم أن عائشة رضىٰ الله عنها سألت النبي كيف نقول إذا استغفرت لأهل القبور قال قولي السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون=

وفي قوله صلي الله عليه وسلم: { الدعاء مخ العبادة }[18] ولم يرد ذلك في غيره من العبادات[19].

لطيفة:

(وهو أنه)[20] لما كان المخ في أعضاء الحيوان هو المغذي لها والمقوم لاستدامة بقائها يعمل هذا العمل، ووجه تخصيصه بذلك من دون سائر العبادات، اشتماله علي حضور قلبي، لا يوجد في غيره فإن من تعبد بالصلاة أو الصوم أو الحج أو غيرها يغلب عليه فيها الغفلة، فإذا دعا استدعي ذلك منه مزيد حضور في قلبه [21]، ذلك الحضور هو روح العبادة[22]، فلذلك جاء التخصيص، ويؤخذ منه تفضيل

= وفي صحيحه عنها أيضا أن رسول الله خرج في ليلتها من آخر الليل إلىٰ البقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وانا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد

ودعاء النبي للأموات فعلا وتعليما ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصرا بعد عصر أكثر من أن يذكر وأشهر من أن ينكر وقد جاء ان الله يرفع درجة العبد في الجنة فيقول أنىٰ لىٰ هذا فيقال بدعاء ولدك لك

[18] أخرجه الترمذي عن أنس مرفوعا 5/ 456 [3371] والطبراني في الأوسط 3/ 293 [3196] ط دار الحرمين القاهرة

[19]جاء في التمهيد شرح الموطأ 10/ 300 " وقال يحيي بن أبي كثير: أفضل العبادة كلها الدعاء"

وجاء في التمهيد أيضا 12\185: " قال أبو عمر كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلم أصحابه الدعاء فيحضهم عليه، ويأمرهم به، ويقول: " { إن الدعاء هو العبادة } ويتلو: { وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }

[20] ساقط من النسخة (ش)

[21] في (ط) فإذا دعا استند عن ذلك من مزيد حضور في قلبه 0

[22] للدعاء منزلة سامية في الإسلام قال تعالي: { ادعوني استجب لكم } (غافر 60) وورد في ذلك أحاديث كثيرة منها ما روي أبو هريرة مرفوعا: { ليس شيء أكرم علي الله من الدعاء} رواه

الداعي علي العابد، وذلك لما فيه من الحضور من التذلل، وإظهار الفاقة، وذل العبودية، وعز الربوبية فكل[23] داع عابد، ولا ينعكس، والدعاء دأب الأنبياء عليهم السلام، ومفزعهم[24] في الشدائد علي ما أخبر تعالي في سورة الأنبياء وغيرهم بقوله[25] { أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا } (الأنبياء 21)

فنبه علي علة الإجابة لدعائهم، وأنها ثواب لهم بطاعتهم، وتعجيلها جزاء لمسارعتهم إلي ما كلفوا به، وفي ذلك حث علي الطاعة، وقد تكلم العلماء علي أحكامه كالحليمي[26]، والغزالي[27]، ومنهم من أفرده[28] كالطرطوش[29] والقرافي[30]

الترمذي 5/ 455 [3370]، وأحمد 14/ 360 [8748]، وابن ماجه 2/ 1258 [3829]، وغيرهم

[23] في (ط) وكل

[24] في (ش) ومعذبهم

[25] في (ط) وقوله

[26] هو الحسين بن الحسن البخاري الجرجاني الحليمىٰ (338-403هـ = 950-1012م) له مصنفات منها المنهاج في شعب الإيمان قال الإسنوي جمع فيه أحكاما كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره تاريخ جرجان 1/ 198 والمؤتلف والمختلف 1/ 169 وفيات الأعيان 2/ 137

[27] هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي (450-505هـ =1058-1111م) هو حجة الإسلام وأحد عباقرة الإسلام القلائل له كتب كثيرة منها إحياء علوم الدين من أفضل الكتب التي صنفها أهل العلم تاريخ بغداد 21/ 27، والمنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيابو 1/ 76 وفيات الأعيان 4/ 216

[28] وعن أفراد الدعاء بتصنيف منفرد بالدعاء عبد الغني المقدس (ت – 600هـ) في كتابه الترغيب في الدعاء والضبي (ت – 195هـ) والطبراني(ت -360هـ) والمحاملي(ت -330هـ)والبيهقي(ت – 458هـ) في كتابه الدعوات الكبير والخطابي (ت – 388هـ) وكثير وغيرهم

وقد وقعت لي مهمات وتكملات، فاستخرت الله في جمع ذلك في كتاب يسهل مقاصده، ويحرر معاقده، ورتبته علي عشرة فصول:

الأول: في حقيقته

الثاني: في مطلوبيته

الثالث: في أفضليته

الرابع: في شروطه

الخامس: في آدابه

السادس: في أرجاه للإجابة[31]

السابع: في علامات الإجابة، وأسباب الرد

الثامن: في بيان حكمة التكليفي

التاسع: في جوامع الدعاء

العاشر: في بيان الأسم الأعظم

---

[29]) هو محمد بن الوليد بن محمد الأندلس أبو بكر الطرطوش (451-520هـ =1059-1126م) ولد بطرطوشه بشرق الأندلس وأقام بالأسكندرية وتوفي فيها بغية الملتمس 1/ 135 وفيات الأعيان 4/ 262 تاريخ الإسلام 11/ 325

[30]) هو أحمد بن إدريس القرافي (626-684هـ= 1229-1285م) من علماء المالكية وأصله من برابرة المغرب ومولده ونشأته ووفاته بمصر وينسب ألي القرافة المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي له مصنفات جليلة منها: الذخيرة والفروق وشرح تنقيح الفصول الوافي بالوفيات 6/ 146 والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب 1/ 236 والنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي 1/ 234، والأعلام للزركلي 1/ 94 وسلم الوصول إلي طبقات الفحول 1/ 124

[31])في (ط) إرجاء الإجابة

والله أسأل بأسمائه الحسني، وصفاته العلي، أن يجعلني من الداخليين إلي الجنة بغير حسابي، ولاعقاب، بمنه وكرمه، إنه علي ذلك قدير، وبالإجابة جدير، آمين،آمين.

الفصل الأول: في حقيقته

الدعاء لغة وشرعا:-

أما لغة فأصل هذه الكلمة مصدر من دعوت الفتي أدعوه، أقاموا المصدر مقام الاسم، تقول: سمعت دعاء، كما تقول سمعت صوتا، ويطلق [32] ويراد به التوحيد، ومنه قوله تعالي {وأنه لما قام عبد الله يدعوه} (الجن 19) وقوله { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم } (الأعراف194)، ويطلق ويراد به الاستغاثه ومنه: { وادعوا شهدائكم من دون الله } (البقرة 23)أي استغيثوا، ويراد به النداء ومنه:{ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده} (الإسراء 52) ومنه { إن أبي يدعوك } (القصص25) ومنع الفراء[33] من كونه هنا بعني الطلب، لاستحالته، وليس كما قال، لصحة يطلبك ليجزيك، ويطلق ويراد به السؤال والطلب، وهو المراد هنا، قال تعالي: { ادعوني استجب لكم } (غافر 60) وهو في الأصل مصدر[34]

---

[32]) في (ش) أو

[33] الفراء هو يحيي بن زياد بن عبد الله الديلمىٰ (144-207هـ=761-822م) وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وكان ثعلب يقول لولا الفراء ما كانت اللغة ومن مؤلفاته: معانىٰ القرآن، واللغات، وما تلحن فيه العامة.

تاريخ بغداد 16/ 224. وإنباه الرواه علي أنباه النحاة 4/ 7، وفيات الأعيان 6/ 176، وسير أعلام النبلاء 10/ 118، بغية الوعاة 2/ 333 والأعلام 8/ 145

[34] دعا الله: رجا منه الخير، ودعا لفلان طلب الخير له، ودعا علي فلان طلب له الشر، ودعا علي فلان طلب له الشر، ودعا الله استعان به، ورغب اليه، وابتهل، ودعا الله رغبا ورهبا، ورغبة ورهبة

وأما حقيقته اصطلاحا: فمعني[35] قائم بالنفس، وهو نوع من أنواع الكلام النفسي، وله صيغ تخصه في الإيجاب (افعل) وفي النهي (لا تفعل)، وقد اجتمعا في قوله تعالي { ربنا لا تؤخذانا إن نسينا } (البقرة 286) وقال الخطابي:[36] حقيقة الدعاء: استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إياه، المعونه، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية، وإظهار[37] الذلة البشرية، وفيه معني الثناء علي الله، وإضافة الجود والكرم[38] إليه[39].

أي خوفا وطمعا، فالدعاء هو: الرغبة إلي الله عز وجل، والطلب منه، والاستعانه به، والتوكل عليه، والتوجه إليه.

المحكم والمحيط الأعظم 2/ 325 وما بعده ط دار الكتب والعلمية بيروت 1421هـ -2000م والعين 2/ 221 للخليل بن أحمد ط دار مكتبة الهلال. ولسان العرب 14/ 257 وما بعدها دار صادر بيروت 1414هـ.

[35] في (ط) بمعني

[36] انظر شأن الدعاء للخطابىٰ 1/ 4 الناشر دار الثقافة العربية الطبعة الأولي(1404هـ - 1984م) تحقيق أحمد يوسف الدقاق. والخطابي هو: الشيخ الإمام أبو سليمان حمد بن محمد ابراهيم الخطابي (319-388هـ = 931 -998م) فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل من نسل زيد بن الخطاب من تصانيفه: معالم السنن، وبيان أعجاز القران، وغريب الحديث، وشأن الدعاء.

إرشاد الأديب إلي معرفة الأديب 3/ 1205 والتقيد لمعرفة رواة السنن والمساند 1/ 254 وفيات الأعيان 2/ 214 والسلوك في صفات العلماء والملوك 1/ 301.

[37] في (ش): وبإظهار

[38] في (ش): والكرامة

[39] جاء في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 3/ 953 ومعني الدعاء: " يا الله إنا نطلب منك العون علي الطاعة، وترك المعصية، ونطلب منك المغفرة للذنوب "

وقال الخطابي: معني الدعاء: " استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة "

الفصل الثاني

" في أنه مطلوب شرعا والرد علي من قال: لا فائدة فيه مع مع سبق القدر "

قال تعالي { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان }(البقرة 186) { وقال ربكم ادعوني استجب لكم} (غافر60) و{ ادعوا ربكم تضرعا وخفية } (الفرقان77) { واسألوا الله من فضله } (النساء 32) { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم } (الأنفال 9)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف مايضره، ودفعه "

وعرف الشيخ حسين مهدي الدعاء فقال: " إن الدعاء عند المتشرعه والإسلاميين: طبع وهيئة لازمة طلب العاجز للقادر وسؤاله منه " وقيل: الدعاء هو السؤال والطلب رغبة ورهبة أو مجموعهما.

وقال الخطابي: الدعاء هو إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة: وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معني الثناء علي الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه.

ولعل التعريف الشامل أن يقال: الدعاء هو الرغبة إلي الله تعالي والتوجه إليه في تحقيق مطلوب، أو دفع مكروه، والابتهال إليه في ذلك إما بالسؤال، أو بالخضوع والتذلل، والرجاء والخوف والطمع.

وانظر في تعريف الدعاء:الشرك في القديم والحديث 2/ 1150 وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري1/ 411 للشنقيطي ط مؤسسة الرسالة بيروت 1415هـ. وبذل المجهود في حل سنن أبي داود 4/ 350 للسهارتفوري. الناشر مركز أبي الحسن النووي للدراسات الهند 1427هـ. وشأن الدعاء 1/ 4 للخطابي مرجع سابق.

وفي الآية الأولي [40] لطائف منها:

_ أنه جرت عادة القرآن حيث ورد لفظ السؤال، جاء عقبه قل، كقوله تعالي: { ويسئلونك عن المحيض قل هو أذي } (البقرة 222) { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال } (الأنفال 1) وترك في هذا الموضع لفظ { قل }، للإشارة إلي رفع الواسطة بين العبد والرب في مقام الدعاء، وفيه إشعار بالاستجابة السريعة[41].

ثانيها: إضافة العبد بياء التشريف، يدل علي أن العبد له، وقوله { فإني قريب } يدل علي أن الرب للعبد.

ثالثها: لم يقل العبد قريب مني، بل قال أنا منه قريب[42]، لأن العبد ممكن الوجود، فهو من حيث هو هو، لا بد وأن يكون من العدم، وحضيض الفناء فكيف يكون

---

[40] روي الطبري في تفسيره 3/ 480 في سبب نزول هذه الآية: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون }: نزلت في سائل سأل النبي صلي الله عليه وسلم فقال: يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب.....الآية وقيل سأل أصحاب السول صلي الله عليه وسلم: أين ربنا فأنزل الله تعالي ذكره: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب.....الآية وقيل لما نزلت { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (غافر 60) قالوا في أي ساعة ؟ قال فنزلت: { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب..... الآية تفسير الطبري ط مؤسسة الرسالة 1420هـ

[41] في (ط) البشرية. وفي (خ) الشريفة وكذلك في (ش) " الشريفة "

[42] ذكر هذه اللطائف الثلاثة الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب 5/ 264 ط دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثالثة 1420هـ وقال الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن 2/ 75: " الإجابة من الله تعالي للإعطاء ومن العبد الطاعة { وليؤمنوا بىٰ لعلهم يرشدون } لكي يهتدوا، فإن قيل: ما وجه قوله: { أجيب دعوة الداع } وقوله { ادعوني أستجب لكم } وقد يدعي كثيرا فلا يستجيب. قلنا اختلف العلماء في وجه الآيتين وتأويلهما فقال بعضهم: معني الدعاء ها هنا الطاعة، ومعني الإجابة الثواب كأنه قال: أجيب دعوة الداع بالثواب إذا أطاعني.

قريبا، بل القريب هو الحق، فالعبد لا يمكنه القرب من الحق، ففضله وكرمه يقرب إحسانه منه، فلهذا قال: { فإني قريب } ومعني القرب أنه إذا أخلص في الدعاء، واستغرق في معرفة الله، امتنع أن تبقي بينه وبين الحق واسطة، وذلك هو القرب[43].

وقال بعضهم: معني الآيتين خاص، وإن كان لفظهما عاما، تقديرها: أجيب دعوة الداع إن شئت، وأجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء، وأجيب دعوة الداع إذا لم يسأل محالا، وأجيب دعوة الداعي إذا كانت الإجابة له خيرا، يدل عليه ما روي أبو المتوكل عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: {ما من مسلم دعا الله عز وجل بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدىٰ خصال ثلاث: إما أن تعجل دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن تدفع عنها من السوء مثلها } قالوا: يا رسول الله إذا نكثر، قال: الله أكثر}.فلإجابة كائنه لا محالة عند حصول الدعوة،روي نافع عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: { من فتح له باب في الدعاء فتحت له أبواب الإجابة، وأوحي الله تعالي إلي داود صلي الله عليه وسلم: قل للظلمة لا تدعوني فإني أوجبت عل نفسي أن أجيب من دعاني، وإني إذا أجبت الظالمين لعنتهم }

وقيل: إن الله يجيب دعاء المؤمن في الوقت إلا أنه يؤخر إعطاء مراده، ليدعوه فيسمع صوته فعن جابر مرفوعا { إن العبد ليدعوا الله وهو يحبه فيقول يا جبرئيل: اقضي لعبدي هذا حاجته وأخرها فإني أحب أن أسمع = = صوته، وإن العبد ليدعوا الله وهو ببغضه فيقول لجبريل: اقضي لعبدي حاجته وعجلها فإني أكره أن أسمع صوته }

انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن 2/ 75 والمسمي بتفسير الثعلبي بتصرف يسير.

[43] ما بين القوسين أسقطه المحقق من (ط) وقال معللا ما قام به: ها هنا ستة أسطر حذفتها إذ ساق المصنف بكلام _ ليس هو كلام أهل السنة في الألفاظ والمعاني _ ما عرض لذهنه في المعني القرب.

ولا يصح إثبات مثل هذا الكلام في مثل هذا الكتاب إذ الكلام الفاسد في الاعتقاد لا ينبغي نقله، ولهذا تفصيلة في كتاب أبي عبد الله: " إزالة الفكر " والله عز وجل يقرب من عباده كيف يشاء "

ولنا هنا ملاحظتان:

وجاءت الأحاديث الصحيحة بالحث عليه، ففي الصحيح: { ينزل ربنا كل ليلة إلي سماء الدنيا، فيقول: من يسألني فأعطيه[44].....} الحديث

وهذا غاية في الترغيب في الدعاء. ونهاية في استعطاف قلوب الخلائق إليه.

وأخرج الأربعة عن النعمان بن بشير عن النبي صلي الله عليه وسلم – أنه قال: { الدعاء هو العبادة }[45] ثم قرأ {وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } (غافر 60) قال الترمذي[46]: حسن صحيح وأخرجه ابن حيان والحاكم في صحيحهما[47] وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال

الأولي: أن حذف جزء من كلام المصنف عمدا لا يتفق مع قواعد التحقيق المتعارف عليها. وكان ينبغي علي المحقق أن يثبت كلام المصنف كما هو ثم يعلق عليه بما يشاء.

الثانية:ما ذكره المحقق من مخالفة كلام المصنف لمذهب أهل السنة في معني القرب. كلام غير صحيح ولم يأتي عليه بدليل. فهو ادعاء مرفوض

[44] حديث أبي هريرة ينزل ربنا كل ليلة إلي سماء الدنيا أخرجه أبو داود في سننه 2/ 34 (1315) و4/ 234 (4733) وأحمد في مسنده 16/ 440 (10756) وابن حيان في صحيحه 3/ 198أ199 (919) و(920) صحيح ابن حيان ط مؤسسة الرسالة بيروت 1408 هـ ،تحقيق البيهقي في الكبري 3/ 3 (4652) ط دار الكتب العلمية، بيروت 1424 هـ =2003م

[45] حديث النعمان بن بشير أخرجه أبو داود في سننه 2/ 76 (1479) و الترمذي في سننه 5/ 211 (2969) وقال: هذا حديث حن صحيح والنسائي في السنن الكبرئ 10/ 244 (11400) وابن ماجه في سننه 2/ 1258 (3828) وأحمد في مسنده 30/ 297 (18352)

[46] سنن الترمذي 5/ 211

[47] أخرجه ابن حيان في صحيحه 3/ 172 (889) والحاكم في المستدرك 1/ 667 (1802) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

البزار[48] لا يروي إلا عن النعمان بن بشير مرفوعا، وفي رواية الترمذي[49] عن أنس مرفوعا:{ الدعاء مخ العبادة }[50] ومخ الشيء خالصة، وإنما كان مخا لتضمنه التوحيد، إذ الداعي لا يدعو الله إلا وهو يوحده ويعتقد أنه لا معطي غيره[51]

---

[48] مسند البزار 8/ 204 حديث رقم (3243) والمسمي بالبحر الزخار ط مكتبة العلوم والحكم المدنية المنورة تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون الطبعة الأولي 1988م

[49] في (ط) للترمذي

[50] سبق تخريجه، وهو عند الترمذي 5/ 456 وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وأخرجه الطبراني في الأوسط 3/ 293

[51] قال أبو منصور الماتريدي في تفسيره 4/ 461: " الدعاء مخ العبادة لأن العبادة قد تكون بالتقليد، والدعاء لا يحتمل التقليد، ولكن إنما يكون عند الحاجة لما رأي في نفسه من الحاجة والعجز عن القيام بذلك، فعند ذلك يفزع إلي ربه، فهو مخ العبادة من هذا الوجه " ط دار الكتب العلمية بيروت 1426هـ - 2005م. وقال الرازي في تفسيره 7/ 119: " الدعاء مخ العبادة لأن الداعي يشاهد نفسه في مقام الفقر والحاجة والذلة والمسكنة، ويشاهد جلال الله تعالي وكرمه وعزته وعظمته بنعمت الاستغناء والتعالي، وهو المقصود من جميع العبادات والطاعات"لماذا كان الدعاء مخ العبادة ؟ يقول صاحب تفسير المنار: " وإنما روح العبادة الفطرية ومخها هو دعاء ذي السلطان العلوي والقدرة الغيبية التي هي فوق ما يعرفه الإنسان ويعقله في عالم الأسباب، ولا سيما الدعاء عند العجز والشدائد. قال صلي الله عليه وسلم { الدعاء هو العبادة } هكذا بصيغة الحصر، أي هو الركن المعنوي الأعظم فيها، لأنه روحها المفسر برواية { الدعاء مخ العبادة } وكل تعظيم وتقرب قولي أو عملي لصاحب هذه القدرة والسلطان فهو عبادة له تفسير المنار 11/ 201 بشيخ رشيد رضا. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990م =

=وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير 2/ 11: " الدعاء مخ العبادة " أي خالصها لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص، ولا عبادة فوقهما، قال ابن العربي: وبالمخ تكون القوة للأعضاء، فكذا الدعاء مخ العبادة به فتقوي عبادة العابدين، فإنه روح العبادة، قال بعض المفسرين في قوله تعالي، { إن الذين يستكبرون عن عبادتي } أي عن دعائي التيسير شرح الجامع الصغير للمناوى ط مكتبة الإمام الشافعي الرياض 1408هـ

قال الخطابي[52] وقوله في الرواية الأولي: الدعاء هي العبادة أنثه علي: هي الدعوة[53]، أو المسألة، والمعني أنه معظم العبادة، أو أفضلها، ومنه { الحج عرفة }[54] و{ الندم توبة }[55]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إن الله يقول: { أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني }[56]

=1988م وقال ابن الأثير في النهاية 4/ 305: " الدعاء مخ العبادة، مخ الشيء خالصه، وإنما كان مخها لأمرين: أحدهما: أنه امتثال أمر الله تعالي حيث قال: { ادعوني استجب لكم } فهو محض العبادة، وخالصها. والثاني أنه إذا رأي نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه، ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء " النهاية في الغريب الحديث ط المكتبة العلمية بيروت 1399هـ

[52] قال الخطابي في شأن الدعاء 1/ 5: " قال في رواية { إن الدعاء هي العبادة }. وإنما أنت علي نية الدعوة، أو المسألة أو الكلمة، أو نحوها، وقوله: { الدعاء هو العبادة } معناه أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة "

[53] في (ط) أنت علي معني الدعوة، بدل أنثه علي هي الدعوة.

[54])) حديث عبد الرحمن بن يعمر { الحج عرفة } وأخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 3/ 288 (889) والنسائي في الكبرئ 4/ 159 (3997) وابن ماجه في سننه 2/ 1003 (3015) وأحمد في المسند 31/ 64 (18774)

[55] حديث عبد الله بن مسعود أخرجه مرفوعا ابن حيان في صحيحه 2/ 377 (612) وأحمد في مسنده 6/ 37 (3568) وابن أبي شيبة في مسنده 15/ 135 (179) والحاكم في المستدرك 4/ 271 (7612) وقال الذهبي في تعليقه صحيح

[56] حديث أبي هريرة أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 9/ 121 (7405) ومسلم في صحيحة 4/ 2061 (2675) وابن حيان في صحيحة 2/ 405 (639) وجاء في تفسير السمرقندي 3/ 224: " وقال الحسن: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل " قال قتادة فإن الظن اثنان: ظن ينجي، وظن يردي. فالمنج قوله { إني ظننت أني

وأخرج أبو داود عن سلمان قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده، إذا رفع يديه إلي السماء أن يرده صفرا }[57] رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وقال[58]: صحيح علي شرط الشيخين، ولفظ الترمذي { أن يردهما خائبتين[59] }[60]

وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { ليس شيء أكرم علي الله من الدعاء }[61]وأخرجه ابن حيان والحاكم[62]، وقال: صحيح الإسناد وعنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { من لم يسأل

ملاق حسابية } وأما الظن المردي فهو قوله { وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين }

[57] حديث سلمان أخرجه أبو داود في سننه 2/ 78 (1488) وقال الألباني صحيح: وأخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 675 (1831)، وابن ماجه في سننه 2/ 1271 (3865) وابن حيان في صحيحة 3/ 160 (876).

[58] المستدرك 1/ 675

[59] في (خ) خائبتين وما أثبتناه هو ما في (ط) وفي (ش)، وهو نص الترمذي في سننه

[60] سنن الترمذي 5/ 556 (3556)

[61] حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي في سننه 5/ 455 (3370) وابن ماجه في سننه 2/ 1258 (3829) وأحمد في مسنده 14/ 360 (8748)

[62] أخرجه ابن حبان في صحيحة 3/ 152 (870) والحاكم في المستدرك 1/ 666 (1801)

الله يغضب عليه }[63] رواه الترمذي والحاكم وأحمد في مسنده، ولفظه: { من لم يدع الله غضب الله عليه }[64]

قال بعض الأئمة: وهو يدل علي أن السؤال لله واجب[65] وعنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { الدعاء سلاح المؤمن }، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض }[66] رواه الحاكم أيضا وصححه.

---

[63] أخرجه الترمذي في سننه 5/ 456(3373) والحاكم في المستدرك 1/ 667 (1806)، ولفظه: { من لا يدعو الله يغضب عليه } وأخرجه أيضا أبو يعلي الموصلي في مسنده 12/ 10 (6655).

[64] أخرجه أحمد في مسنده 15/ 448 (9719) باللفظ الذي ذكره الصنف. ورواه أيضا أحمد في مسنده 15/ 438 (9701) عن أبي هريرة أيضا بلفظ { من لا يسأله يغضب عليه } وقال ابن العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ص 466: " والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم. أن الدعاء من أقوي الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالي عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه أو قاعدا أو قائما، وإجابة الله لدعاء العبد، مسلما كان أو كافر وإعطاءه سؤله من جنسي رزقه لهم، ونصره لهم وهو مما توجبه العقيدة الطحاوية ص 466 ط الأوقاف السعودية تحقيق أحمد شاكر

[65] ويدل علي وجوب الدعاء آيات كثيرة منها قوله تعالي { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (غافر 60) فقوله { ادعوني} فعل أمر والأمر للوجوب عند الأصوليين إذا لم يصرفه صارف، ولا صارف هنا. وقوله تعالي { واسألوا الله من فضله } (النساء 32) قال ابن المبارك: " الرحمن إذا سئل أعطي، والرحيم إذا لم يسأل بغضب. وقال تعالي { ادعو ربكم تضرعا وخفية } (الأعراف 55) وقال تبارك اسمه { وادعوه خوفا وطمعا } (الأعراف 56) وبين ربنا في آية أخري أنه إذا لم يسأل غضب قال تعالي: { فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون } (الأنعام 43)

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { من فتح له في الدعاء منكم فتحت [67] له أبواب الجنة } [68]

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقه فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل } [69] رواه داود والترمذي والحاكم وصححاه.

ومعني يوشك: يسرع، ويقرب

والأحاديث في هذا كثير [70]

---

[66]) رواه الحاكم في المستدرك عن علي بن أبي طالب 1/ 669 (1802) وقال: هذا حديث صحيح. رواه أيضا أبو يعلي الموصلي في مسنده 3/ 346 (1812) ومن المصادفة الغريبة أن الحديث بنفس الرقم عند الحاكم

[67] في (ط) فتح

[68] حديث ابن عمر أخرجه الترمذي في سننه 5/ 552 (3548) وأخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 675 (1833) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أيضا ابن شيبة في مصنفه 6/ 22 (29168)

[69] حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه الترمذي في سننه 4/ 563 (2326) وقال هذا حديث حن غريب والحاكم في المستدرك 1/ 566 (1482) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو داود في سننه 2/ 122 (1645) وأحمد في مسنده 6/ 415 (3869).

[70] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { من أحب أن يكون أقوي الناس فليتوكل علي الله، ومن أحب أن يكون أغني الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله } الدر المنثور في تفسير بالمأثور للسيوطي 8/ 200

وأخرج أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وأبو داود الطيالسي في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { أريت الأمم بالموسم، فرأيت أمتي قد ملئوا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وهيأتهم فقيل لي: أرضيت ؟ قلت نعم قال: ومع هؤلاء

_ وقد تكلم بعض الناس في الدعاء: وقال: لا فائدة فيه، لأن المدعو به: إما أن يكون قد قضي الله بوقوعه، أو لا، فإن كان الأول، فهو حاصل وإن لم يدع[71]

وإن كان الثاني فالدعاء لا يرد القضاء إذ القضاء لا مرد له [72]

وأيضا فهو سبحانه { يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور } (غافر 19)

فأي حاجة للدعاء ؟

وأيضا فالمطلوب بالدعاء إن كان من مصالح الداعي فالحق لا يتركه، وإن لم يكن يجز قطعا.

وأيضا في الحديث: { جف[73] القلم بما أنت لاق }[74]

سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلي ربهم يتوكلون}

وروي الطبراني في الأوسط والصغير عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { من جاع أو احتاج فكتمه الناس، وأفضي به إلي الله تعالي كان حقا علي الله أن يفتح له قوت سنة من حلال}

وقال أبو إسحاق الثعلبي:

وإني لأدعو الله والأمر في ضيق.... علي فما ينفك أن يتفرجا

ورب فتي سدت عليه وجوهه ..... أحباب له في دعوة الله مخرجا

وقال آخر:

أيها السائل العباد ليعطي .... إن لله ما بأيدي العباد

فأسأل الله ما طلبت إليهم ..... وارج فضل المقسم الجواد

[71] في (ط) تدع

[72] في هذا المعني سلاح المؤمن في الدعاء لابن الإمام 1/ 43 ط دار ابن كثير دمشق 1414هـ والترغيب والترهيب للمنذرئ 2/ 316 ط دار الكتب العلمية بيروت 1417هـ

[73] في (ط) جري

وقال: { أربع فرغ منها: العمر، والرزق، والخلق، والخلق }[75]

وحينئذ فأي فائدة للدعاء.

وأيضا: فأجل مقامات الصديقين: الرضا بقضاء الله، والدعاء ينافي ذلك[76]

---

[74] حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في صحيحة 7/ 4 (5076) والنسائي في سننه 6/ 59 (3215) والبيهقي في السنن الكبرىٰ 13/ 591 (13594)

[75] حديث عبد الله بن مسعود أخرجه الدار قطني في سننه 5/ 323 (4390) و 5/ 356 (4448) والطبراني في الكبير 9/ 193 (8952) و(8953) والطبراني أيضا في الأوسط 7/ 220 (7325) والبيهقي في الكبرىٰ 6/ 267 (11903) وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود وفيه { ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وآجله وعمله وشقي أو سعيد } أخرجه البخاري 9/ 135 (7454) ومسلم في صحيحة 4/ 2036 (2643) وأبو داود في سننه 4/ 228 (4708) والترمذي في سننه 4/ 446 (2137)

[76] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابة أمراض القلوب وشفاؤها 1/ 45: " وأما قولهم الأمور قد فرغ منها فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء أنه لا حاجة إليه لأن المطلوب إن كان مقدرا فلا حاجة إليه وإن لم يكن مقدرا لم ينفع وهذا القول من أفسد الأقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وإنما هو عبادة محضة وإن حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض وهذا وإن كان قاله طائفة من المشايخ فهو غلط أيضا وكذلك قول من قال الدعاء إنما هو عبادة محضة فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا أن كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف علىٰ أسباب مقدرة أيضا تكون من العبد ولم يعلموا أن الله سبحانه يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم يوجب تعطيل العمال بالكلية وقد سئل النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) عن هذا مرات فأجاب عنه كما أخرجاه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال قيل لرسول الله (صلىٰ الله عليه وسلم) أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قالوا ففيم العمل قال كل ميسر لما خلق له وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة فيها رسول الله (صلىٰ الله عليه وسلم) فجلس ومعه مخصرة فجعل ينكت بالمخصرة في الأرض ثم

وأجاب العلماء رضي الله عنهم بأجوبة منها:

أن من القضاء رد البلاء بالدعاء[77]، بمعني (أن الله) تعالي قدر علي من يوقع البلاء به عدم الدعاء، وقدر علي من يوقع عليه البلاء وجود الدعاء، ويشهد لذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن خزامة عن أبية أن رجلا أتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال: { يا رسول الله، أرأيت رقي نسترقي بها، ودواء نتداوي به، و تقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال هي من قدر الله }[78]

رفع رأسه وقال ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل من القوم يا نبي الله أفلا نمكث علىٰ كتابنا وندع العمل فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلىٰ السعادة ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلىٰ الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون للسعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبي الله (صلىٰ الله عليه وسلم) الليل فأما من أعطىٰ واتقىٰ وصدق بالحسنىٰ فسنيسره لليسرىٰ وأما من بخل واستغنىٰ وكذب بالحسنىٰ فسنيسره للعسرىٰ أخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد وروىٰ الترمذي أن النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) سئل فقيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوىٰ بها ورقىٰ نسترقي بها وتقىٰ نتقيها أترد من قدر الله شيئا فقال: {هي من قدر الله } وقد جاء هذا المعنىٰ عن النبي (صلىٰ الله عليه وسلم) في عدة أحاديث فبين صلىٰ الله عله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة فإنه سبحانه يعلم الأمور علىٰ ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقي يشقىٰ بالأعمال السيئة فمن كان سعيدا ييسر للأعمال الصالحة والشقي يشقىٰ بالأعمال السيئة فمن كان للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة كلاهما ميسر لما خلق له وهو ما يصير إليه "

[77] أخرج الترمذي في سننه عن سلمان قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { لا يرد القضاء إلا بالدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر } سنن الترمذي 4/ 448 (2139) وأخرجه البزار في سنده 6/ 501 (2540) والطبراني في الكبير 6/ 251 (6128)

[78] أخرجه الترمذي عن الزهري عن ابي خزامة عن أبيه في سننه 4/ 399 (2065) وأخرجه الترمذي في سننه أيضا عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه في سنن الترمذي 4/ 453 (2148) وأحمد

قال الحافظ عبد الغني[79] في درر الأثر: حديث حسن، ولا يعرف لأبي خزامة سواه[80]

وقال الدار قطني[81] في علله الكبير: رواه الزهري عن أبي خزامة بن معمر عن أبيه عن النبي صلي الله عليه وسلم – وهو الصواب. وقال ابن عيينة[82] عن الزهري[83] عن أبي خزامة عن أبيه، ولم يتابع عليه[84].

في مسنده 24/ 217 (15472)وابن ماجة في سننه 2/ 1137 (3437) ورواه ابن حيان في صحيحة عن كعب بن مالك مرفوعا. صحيح ابن حيان 13/ 465 (6100)

[79] هو الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعليىٰ الدمشقي [541–600هـ = 1146–1203م] من علماء الحديث ولد بجماعيل قرب نابلس بفلسطين وانتقل صغيرا إلي دمشق وتوفي بمصر ترك كتب كثيرة منها: عمدة الأحكام من كلام خير الأنام، والنصيحة في الأدعية الصحيحة. وأشراط الساعة. الأعلام 4/ 34. وتذكرة الحفاظ 1/ 155. وتسهيل السابلة 2/ 702

[80] قال الترمذي في سننه 4/ 399: " وقد روي غير ابن عيينة هذا الحديث عن الزهري عن أبي خزامة، عن أبيه، وهذا أصح، ولا نعرف لأبي خزامة غير هذا الحديث "

[81] وهو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي [306–385هـ = 918–995م] الإمام الحافظ المجود شيخ الإسلام من أهل محلة دار القطن ببغداد له تصانيف كثيرة جدا من أشهرها: العلل، والسنن، و الأفراد والغرائب، والضعفاء والمتروكون، والإلزامات علي صحيحي البخاري ومسلم. تاريخ بغداد 13/ 487 وتاريخ دمشق 43/ 93 والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد 1/ 410 وفيات الأعيان 3/ 297

[82] هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي [107–198هـ = 725–814م] كان حافظا عالما ثقة كبير القدر قال الشافعي لولا مالك وسفيان لضاع علم الحجاز تاريخ اربل 2/ 125 ديوان الإسلام 3/ 7 والأعلام 3/ 105 سلم الوصول إلي طبقات الفحول 2/ 135

قلت: وأخرجه الحاكم في مستدركه من جهة معمر عن الزهري عن عروة عن حكيم بن حزام قال: قلت يا رسول الله: رقي نسترقي، وأدوية كنا نتداوي بها، هل ترد قدر الله شيئا ؟ قال: { هي من قدر الله } ثم قال: حديث صحيح علي شرط الشيخين، ولم يخرجاه[85].

وقال مسلم في تصنيفه فيما أخطأ معمر بالبصرة: إن معمرا حدث به مرتين، فقال مرة: عن الزهري، عن ابن أبي خزامة، عن أبيه[86] وقال الحاكم: وعندي هذا لا يعلل، فقد تابع صالح بن أبي الأخضر، معمر بن راشد في حديثه عن الزهري، عن عروة، وصالح، وإن كان في الطبقة الثالثة من أصحاب الزهري[87] فقد استشهد بمثله ثم ساقه – ونحو من هذا

---

[83] هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف [109-184هـ = 727-800م] من علماء الحديث الثقات ولي قضاء بغداد وتوفي بها تاريخ بغداد 6/ 621 والعلام 1/ 140 الطبقات الكبرى 7/ 234 والثقات لابن حيان 6/ 7

[84] علل الدار قطني =العلل الواردة في الأحاديث النبوية 2/ 251 ط دار طيبة في الرياض 1405هـ = 1985م تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي.

[85] حديث حكيم بن حزام أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 85 (87) وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضا الطبراني في الكبير 3/ 193 حديث رقم (3090)

[86] علل الحديث لابن أبي حاتم 6/ 294 ط مطابع الحميضي الطبعة الأولي 1427هـ = 2006م والمنتخب من علل الخلال 1/ 243 لابن قدامة المقدسي ط دار الراية تحقيق طارق عوض الله.

[87] المستدرك علي الصحيحين 1/ 85

الجواب ما ورد في أن: { صلة الرخم زيادة في العمر }[88] من أن الزيادة مشروطة في الأزل بالصلة وعدمها بعدمها[89].

الثاني: إنا لا نسلم أن الدعاء لا يرد البلاء، بل هو سبب في رده، كما أن الترس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات، وقد جرت عادة الله في خلقه بربط

---

[88] روي البخاري في صحيحة 8/ 5 (5986) عن أنس بن مالك رضي عنه قال: سمعت رسول الله صلي عليه وسلم يقول: { من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه } وأخرجه مسلم في صحيحة 4/ 1982 (2557)

[89] قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري 10/ 416 " قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالي: { فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون } (الأعراف 34) والجمع بينهما من الوجهين: أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلي الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضيعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبي صلي الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضي من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصلة أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقي بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده والصدقة الجارية عليه والخلف الصالح.

ثانيهما: أن الزيادة علي حقيقتها، وذلك بالنسبة إلي علم الملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية، فبالنسبة إلي علم الله تعالي كأن يقال للملك مثلا إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالي { يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب } فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالي، فلا محو فيه ألبته، ويقال له القضاء والمبرم، ويقال للأول القضاء العلق.

ورجح الوجه الأول الحافظ ابن حجر، ثم قال: ويجوز أن يكون المعني أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلا، فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم " ا.هـ

الأسباب بمسبباتها، فالله سبحانه قدر لخير بسبب، وقدر الشر بسبب وقدر لرفعة سببا، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله وقدره طرح النظر إلي الأسباب، بل لا بد من ملاحظتها، وكما أن الترس يدفع السهم، ويتدافعان، كذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وقد أخرج الترمذي عن سلمان قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر }[90]. وقال (حسن غريب)[91]، وأخرجه ابم ماجة والحاكم وابن حيان من حديث ثوبان أيضا، وصحح الحاكم إسناده[92] ، ولم أخرجه أبو موسي المديني [93] في الترغيب قال: قال أستاذنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل[94] فيما قرأته عليه إن الله تبارك وتعالي[95] إذا أراد أن

---

[90] أخرجه الترمذي في سننه 4/ 448 (2139)

[91] ما بين القوسين سقط من (ط).

[92] أخرجه ابن ماجة في سننه 1/ 35 (90) والحاكم في المستدرك 3/ 548 (6038) وابن حيان في صحيحة 3/ 153 (872)

[93] ابوموسي المديني [501-581هـ = 1107-1185م] هو أبو موسي محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسي المديني الأصبهاني له تصانيف كثيرة منها: الطوالات، وذيل معرفة الصحابة، والقنوت، والمغيث في غريب القرآن والحديث والمسمي بالغربيين.

المؤتلف والمختلف لابن القيسراني 1/ 149. ووفيات الأعيان 4/ 286. وتاريخ الإسلام12/ 738. وسير أعلام النبلاء 15/ 345. وطبقات علماء الحديث 4/ 112

[94] هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الملقب قوام السنة [457-535هـ =1065-1141م] كان إماما في التفسير والحديث واللغة، من كتبه الجامع في التفسير في ثلاثون مجلدا، والإيضاح في التفسير أربع مجلدات، والترغيب والترهيب، وشرح الصحيحين، وغير ذلك الكثير من المؤلفات القيمة. سير النبلاء 20/ 80. وتاريخ اربل 2/ 357. وتاريخ الإسلام 11/ 623. وتذكرة الحفاظ 4/ 50 ومعجم الآداب في معجم الألقاب 3/ 481

[95] في (ش) إذ جاء الله تبارك وتعالي

يخلق النسمة[96] قال: إن كان فيها الدعاء رد عنها كذا وكذا، وإن لم يكن فيها الدعاء نزل كذا وكذا[97]، وكذلك أحدنا[98] إن برت والديها، ويكون ذلك فيما يكتب في الصحيفة[99] وأخرج الحاكم أيضا من حديث عائشة مرفوعا: { لا يغني حذر من قدر، والدعاء مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلي يوم القيامة }[100] قال الحاكم صحيح الإسناد. وهذا لا ينافي الحديث السابق في الجواب الأول، لأن معني الذي قبله: أن الرقي والدواء لا يستقل برد القضاء، لكن الله تعالي إذا أراد رد قضائه بحسب سابق علمه قدر التسبب إلي استعمال الرقي والأدوية، فكان هو في الحقيقة القاضي(و)[101] الراء.

وقد صحت السنة بمشروعية التداوي و الأسترقاء [102] ومعني الثاني نفي استقلال الدواء كم سبق، وكذلك الدعاء والرقي في الحقيقة[103] لا يستقلان بشيء، بل هما من

---

[96] في (ط) نسمة

[97] في (ط) وإن لم يكن الدعاء ترك فيها كذلك

[98] في (ط) أجلها

[99] الترغيب والترهيب 1/ 275 لقوام السنة. ط دار الحديث القاهرة 1414هـ =1993م تحقيق أحمد بن صالح بن شعبان. التوضيح لشرح الجامع الصغير 28/ 275 لابن الملقن الشافعي ط دار النوادر دمشق 1429هـ

[100] حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 669 (1813). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأخرجه البزار في مسنده 18/ 119 (72) وأخرجه أيضا الطبراني في الدعاء 1/ 31 (33) وله شاهد عند أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل 36/ 370 (22044) والطبراني في الدعاء 1/ 31 (32)

[101] ما بين القوسين سقط من (ط)

[102] قال أبو سعيد الخادمي الحنفي 1156هـ في كتابه بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية 1/ 188: " اعلم أن الدعاء يسهل القضاء المبرم ويدفع نفس القضاء العلق

قدر الله وقد روي جعفر الفريابي[104] في كتابه فضل الذكر عن علي رضي الله عنه أنه قال: { الدعاء يدفع[105] الأمر المبرم }[106]، وعن ابن عباس: { الدعاء يدفع القدر}[107] وقال: إن الأمر ليقضي فيرده الدعاء بعدما قضي، ثم قرأ: { فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها } (يونس 98) (وهو مؤول علي ما سبق)[108]

نزل أو تهيأ للنزول، فإن قيل: إن تغيير قضائه تعالي ممتنع فالسعي لدفعه بنحو الدعاء من عدم اعتراف قضائه تعالي. وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { لا يغني حذر من قدر }.

قلت: إن الدعاء أيضا من قضائه تعالي فيكون المسبب مع سببه من قضائه تعالي، فالله تعالي قضي يكون الدعاء سببا مزيلا، وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { لا يرد القضاء إلا الدعاء } وقال منادي في شرح ذلك الحديث: فيستعمل العبد الحذر المأمور به من الأسباب، وأدوية الأمراض إلي آخره. فإن قيل إن كان المدعو به خلاف قضائه وعلمه أو كان قضاء مبرما فلا ينفع. قلنا: يجوز أن يكون نفعه مؤخرا إلي الآخرة، ويجوز أن أن يمنعه تعالي عن الدعاء المرعي شرائطه، والمنفي موانعه، ويلزم الجبر علي قاعدة أفعال العباد.

[103] في (ط) والبر في الحقيقة.

[104] هوجعفر بن محمد بن الحس أبو بكر الفريابي [207-301هـ =822-913م] تركي الأصل استوطن بغداد، له كتب كثيرة منها: صفة النفاق وذم المنافقين، والقدر، ودلائل النبوة وفضائل القرآن تاريخ بغداد 8/ 102وتاريخ اربل 2/ 180 تذكرة الحفاظ 2/ 190 وسير أعلام النبلاء 14/ 96 والوافي بالوفيات 11/ 112

[105] في (ط) يتبع

[106] لم أقف عليه بهذا اللفظ. وروي ابن شاهين (ت: 385هـ) في كتابه الترغيب في فضائل الأعمال 1/ 54 عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { يا بني أكثر من الدعاء، فإن الدعاء يرد القضاء المبرم } الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ط دار الكتب العلمية بيروت 1424هـ = 2004م تحقيق محمد حسن إسماعيل.

[107] أخرجه جعفر الفريابي عن ابن عباس موقوفا في كتاب القدر 1/ 224 (307) ط أضواء السلف السعودية 1418هـ تحقيق عبد الله بن حمد المنصور. وأخرجه الآجري عن ابن عباس أيضا

الثالث: إن في الدعاء فوائد غير ما سبق، منها حضور القلب، وجذبه إلي الله بالتضرع والإستكانة، وإظهار العبودية، والإقرار بالفقر والحاجة، والاعتراف بالربوبية، وذلك من أعظم العبادة[109]، ثم هو قد يكون شرطا لوجود المصلحة، ومنها أن الله سبحانه يثيب علي الدعاء، وإن لم تقع الإجابة، لأنه عبادة، وفي الحديث: { الدعاء مخ العبادة }[110]

ومنها: أن الدعاء إشغال المرء بذكر الحق سبحانه، وذلك يوجب مقام الهيبة في القلوب، والإنابة في الطاعة، والإنقطاع عن المعاصي[111] ولزوم الباب يستدعي الإذن

موقوفا في كتاب الشريعة 2/ 871 (450) ط دار الوطن الرياض 1420هـ 1999م تحقيق عبد الله الدميجي.

[108] ما بين القوسين سقط من (ط)

[109] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الزهد والورع والعبادة 1/ 34: " إذا دعا العبد ربه بإعطاء المطلوب ودفع المرهوب عل له من الإيمان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستنارته نور الإيمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب إن كان عرضا من الدنيا، وأما إذا طلب منه أن يعينه علي ذكره وشكره وحسن عبادته، وما يتبع ذلك وهنا المطلوب قد يكون أنفع من الطلب وهو الدعاء، والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة علي أحسن الوجوه " ا. ص الزهد والورع والعبادة لابن تيمية 1/ 34 ط مكتبة المنار الأردن 1407هـ تحقيق حماد سلامة

[110] سبق تخريجه وهو عند الترمذي 5/ 456 والطبراني في الأوسط 3/ 293

[111] في قوله تعالي { فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له } المخلوقين انتفاعا بهم عملا لأجلهم ويجعل همته ربه تعالي وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من كل فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك، والعمل لله بكل محبوب " الزهد والورع والعبادة 1/ 92، 91 لابن تيمية.

في الدخول، ولهذا قيل " من أدمن قرع الباب ولج "[112] وكان يقال: الإذن في الدعاء خير من العطاء قيل لبعضهم: ادع الله لي، فقال كفاك الله[113] من الأجنبية

أن يجعل بينك وبينه واسطة[114]. وأصل[115] شقاوة أهل النار في النار حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم: { وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب } (غافر 49) ثم قولهم لمالك: { يا مالك ليقض علينا ربك } (الزخرف 77)فالحجاب ملازم لهم، ثم لما (لم)[116] يغنهم ذلك { قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا }(المؤمنون 106). والكمال الأنساني ليس إلا في إحصاء أسماء الله الحسني علي ذكر المحققون في معني قوله صلي الله عليه وسلم { إن لله تسعة

---

[112] روي ابن أبي شيبة في مصنفة عن أبي الدرداء موقوفا: { جدوا بالدعاء، فإن من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له } مصنف ابن أبي شيبة 6/ 22 (29175). وأبو داود في كتاب الزهد 1/ 207 (225) ط دار المشكاة للنشر والتوزيع القاهرة 1414هـ =1993م والبيهقي في شعب الإيمان 2/ 384 (1102) و(1103) ورواه الطبراني في الكبير موقوفا علي عبد الله بن مسعود 9/ 204 (8996)

[113] في المطبوعة كفاك الله تعالي من الأجنبية

[114] جاء في قوت القلوب لأبي طالب المكي 1/ 343: " من الشكر أن يشكر الله تعالي علي اليسير لأن القليل من الحبيب كثير، ولأن الله تعالي حكيم فمنعه حكمه وقدرة، فإذا عرف وجه الحكمة في المنع مع القدرة علي العطاء علم أنه منعه ليعطيه، فثم صار المنع عطاء واليسير منه كثير، ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم وأن الطمع والتذلل إليهم والاستشراف إلي عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحس الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل كقبح الذل للعدو "

[115] في (ط) تأمل

[116] ما بين القوسين ساقط من (ط)

وتسعين اسما ن أحصاها دخل الجنة }[117] فقالوا: قيل: أحصاها حفظها، كما في رواية البخاري[118] وقيل: فهم معناها واعتقدها كما وردت، وأن الباري سبحانه متصف بها[119]

وقال المحققون: معناه اعتقدها وأطاقها بحسن الرعاية لها ،والتخلق بما يمكن أن يتخلق به منها.

---

[117] حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – أخرجه البخاري في صحيحة 3/ 198 (2736) مسلم في صحيحة 4/ 2063 (2677)

[118] رواية البخاري في صحيحة 3/ 198 (2736) { من أحصاها دخل الجنة } لكن في رواية عند البخاري في صحيحة 9/ 118 (7392) عن أبي هريرة أن رسول الله –صلي الله عليه وسلم قال { إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، ومن أحصاها دخل الجنة } أحصيناه حفظناه.

لكن رواية أخري عند مسلم 4/ 2062 { من حفظها دخل الجنة } وفي رواية مسلم 4/ 2063 { من أحصاها دخل الجنة }

[119] قال النووي في شرحه علي صحيح مسلم 17/ 5 " قوله صلىٰ الله عليه وسلم: { إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر } وفي رواية: { من حفظها دخل الجنة } قال الإمام أبو القاسم القشيري: فيه دليل علىٰ أن الاسم هو المسمىٰ إذ لو كان غيره لكانت الأسماء لغيره، لقوله تعالىٰ: { ولله الأسماء الحسنىٰ } قال الخطابي وغيره: وفيه دليل علىٰ أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالىٰ الله لإضافة هذه الأسماء إليه وقد روي: { أن الله هو اسمه الأعظم }، قال أبو القاسم الطبري: وإليه ينسب كل اسم له فيقال: الرؤوف والكريم، من أسماء الله تعالىٰ، ولا يقال من أسماء الرؤف أو الكريم الله، واتفق العلماء علىٰ: أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالىٰ، فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث: أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: { أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أواستأثرت به في علم الغيب عندك } وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي، عن بعضهم أنه قال: "لله تعالىٰ ألف اسم" قال ابن العربي "وهذا قليل فيها، والله أعلم".

ومنها: أن ملازمة الدعاء دافعة للبلاء والشقاء، كما قال تعالي حاكيا عن خليلة إبراهيم صلي الله عليه وسلم: { وأدعوا ربي عسي ألا أكون بدعاء ربي شقيا } (مريم 48) وعن زكريا عليه السلام: { أكن بدعائك رب شقيا } (مريم 4) واختار الخطابي في كتاب الدعاء: أن الدعاء لا يستجاب منه إلا ما وافق القدر، وقال: إنه المذهب الصحيح، وقول أهل السنة والجماعة[120]، وكذلك قال الطرطوشي. قال الخطابي: وفائدته حينئذ كون المعاملة فيه علي معني الترجي والتعلق بالطبع، الباعثين علي الطلب دون اليقين الذي تقع منه الطمأنينة، فيفضي بصاحبه إلي ترك العمل، والإخلاد إلي دعة العطلة[121]. وقد قالت الصحابة: أرأيت أعمالنا هذه شيء قد فرغ منه، أم أمر نستأنفه[122]، فقال: صلي الله عليه وسلم { بل هو أمر قد فرغ سنه} فقالوا: ففيم العمل إذا ؟ قال: { اعملوا فكل ميسر لما خلق له }[123]

---

[120] شأن الدعاء للخطابي 1/ 8

[121] قال الخطابي في كتابه شأن الدعاء ص 8: " فأما من ذهب إلي إبطال الدعاء فمذهبه فاسد، وذلك أن الله أمر بالدعاء وحض عليه، فقال:{ ادعوني استجب لكم } (غافر60) وقال عز وجل: { ادعو ربكم تضرعا وخفية } (الأعراف 55) وقال تعالي: { قل ما يعبئو بكم ربي لولا دعاؤكم } (الفرقان 77). في آي ذوات عدد في القرآن. ومن أبطل الدعاء فقد أنكر القرآن، ورده، ولا خفاء بفساد قوله " وسقوط مذهبه "

[122] في (ط) يستأنفه

[123] أخرجه أحمد في مسنده عن خلفية رسول الله صلي الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه 1/ 200 (19) والبزار في مسنده 1/ 83 (28) والطبراني في الكبير 1/ 64 (47)

ورواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر، وذي اللحية الكلابي، وأبي الدرداء. ورواه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال وفي الباب عن ابن عمر، وهذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضا الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(فعلهم)[124] صلي الله عليه وسلم الأمرين[125] سابق القدر المفروغ منه، ثم ألزمهم العمل الذي هو بدرجة[126] التعبد، لتكون تلك الأفعال يسرا، يريد أنه ييسر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القدر به قبل وجوده[127]

---

[124] مابين القوسين ساقط من (ط)

[125] هنا بياض فى الأصل، وكتب علي الحاشية: " لم تعرف هذه اللفظة من خط المؤلف بعد الفحص الشديد بياض في الأصل ممن له الإلمام بخط الشيخ وغيرهم من الأماثل

[126] في نسخة (ط) مدرجة

[127] قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري 10/ 300 " { اعملوا، فكل ميسر لما خلق له}. ولم يقل: فكل مجبر علىٰ ما خلق له، وإنما أراد لما خلق له من عمله للخير أو للشر. وقيل: إنما أراد بقوله: لما خلق له الإنسان من جنة أو نار، فقد أخبر أنه ميسر لأعمالها ومختار لا مجبر؛ لأن الخبر لا يكون باختيار، وإنما هو بإكراه.

وقوله: { اعملوا فكل ميسر لما خلق له }. فيه دليل علىٰ إبطال قول أهل الجبر؛ لأن التيسير غير الجبر، واليسري العمل بالطاعة، والعسرىٰ العمل بالمعصية. قال الطبري: في حديث علىٰ أن الله لم يزل عالما بمن يطيعه فيدخله الجنة، وبمن يعصيه فيدخله النار، ولم يكن استحقاق من يستحق الجنة منهم بعلمه السابق فيهم، ولا استحقاقه النار لعلمه السابق فيهم، ولا اضطر أحدا منهم علمه السابق إلىٰ طاعة أو معصية، ولكنه تعالىٰ نفذ علمه فيهم قبل أن يخلقهم، وما هم عاملون وإلىٰ ما هم صائرون، إذ كان لا تخفىٰ عليه خافية قبل أن يخلقهم، ولا بعد ما خلقهم، ولذلك وصف أهل الجنة فقال: { ثلة من الأولين وقليل من الآخرين } (الواقعة: 13، 14)، إلىٰ قوله: { وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون } (الواقعة: 22 – 24)، وقال تعالىٰ: (فلا تعلم نفس ما أخفىٰ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) [السجدة: 17]. وكذلك قال في أهل النار: (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) [فصلت: 28]، فأخبر أنه أثاب أهل طاعته جنته بطاعته، وجازىٰ أهل معصيته النار بمعصيتهم إياه، ولم يخبرنا أنه أدخل من أدخل منهم النار والجنة لسابق علمه فيهم، ولكنه سبق فى علمه أن هذا من أهل السعادة والجنة وأنه يعمل بطاعته. وفى هذا أنه من أهل الشقاء وأنه يعمل بعمل أهل النار

قال: وهكذا القول في الرزق مع التسبب إليه بالتكسب، وفي العمر والأجل، والتسيب إليه بالطب والعلاج، وفي هذا لطف عظيم بالعباد، فإنه سبحانه يملك طباعهم البشرية، فوضع هذه الأسباب ليأنسوا بها، فتخفف[128] (عنهم)[129] ثقل الامتحان الذي يفسدهم[130] وليتصرفوا بذلك بين الخوف والرجاء، ليستخرج منهم وظيفتي الشكر والصبر.

الفصل الثالث

في أنه الأفضل الدعاء أو السكوت والرضا ؟

وقد اختلفوا في ذلك فقالت طائفة: السكوت أفضل، والجمود تحت جريان الحكم أتم، وسئل الواسطيٰ أن يدعو، فقال: أخشي إن دعوت أن يقال لي: إن سألتنا مالك فقد اتهمنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا، فقد أسأت إلينا، إن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور[131].

وحكي الطرطوشي عن عبد الله بن المبارك[132] أنه قال: ما دعوت الله منذ خمسين سنة، ولا أريد أن يدعو لي أحد.

فيدخلها بمعصيته؛ فلذلك أمر تعالىٰ ونهىٰ؛ ليطيعه المطيع منهم فيستوجب بطاعته الجنة ويستحق العقاب منهم بمعصيته العاصي فيدخل بها النار، ولتتم حجة الله علىٰ خلقه

[128] في (ط) ويخفف

[129] ما بين القوسين ساقط من(ط)

[130] في (ط) تعبدهم

[131] الرسالة القشيرية 2/ 426 لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت465هـ)، ط دار المعارف القاهرة، تحقيق د. عبد الحليم محمود

[132] هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي [118-181هـ =736-797م] كان عالما عابدا زاهدا مجاهد تاجرا وجمع الحديث والفقه والعربية له كتاب في الجهاد وهو أول من صنف

واحتج القائلون بهذا المذهب بأن امرأة بها لمم سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم. أن يدعو، لها الله عز وجل، فقال: { أو تصبرين ولا حساب عليك }[133]. وسأله الأنصار أن يدعو الله سبحانه أن يكشف الحمي عنهم، فقال: { أو تصبرون وتكون لكم طهرا }[134]. وقال حكاية عن الله عز وجل: { من شغله ذكري عن مسألني أعطيته أفضل ما أعطي السائلين }[135] وفي هذا المعني قيل:

فيه. الكامل في ضعفاء الرجال 1/ 189. وتاريخ دمشق لابن عساكر 32/ 396. تاريخ اربل 2/ 147. وتهذيب الكمال في أسماء الرجال 16/ 5. وسير أعلام النبلاء 8/ 378

[133] من حديث ابن عباس أخرجه البخاري في صحيحة 7/ 116 (5652)، ومسلم في صحيحة 4/ 1994 (2576)، ومن حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه أحمد في مسنده 15/ 431 (9689)، والبزار في مسنده 14/ 323 (7980) وابن حيان في صحيحة 7/ 169 (2909) والبغوى في شرح السنة 5/ 236 (1424)وقال الألباني صحيح.

[134] أخرجه أحمد في مسنده 22/ 287 (14393) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: استأذنت الحمي علي النبي صلي الله عليه وسلم، فقال: من هذه ؟ قالت: أم رملدم، قال: فأمر بها إلي أهل فياء، فلقوا منها ما يعلم الله، فأتوه فشكو ذلك إليه، فقال: { ما شئتم ؟ إن شئتم أن أدعو الله لكم فيكشفها عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهور} قالوا: يا رسول الله، أو تفعل ؟ قال: { نعم }، قالوا: فدعها ". وأخرجه أيضا عبد بن حميد في مسنده 2/ 138 (1021) ط دار بلنسية للنشر والتوزيع 1423هـ تحقيق مصطفي العدوي. وأخرجه أبو يعلي الموصلي في مسنده 3/ 408 (1892) وقال حسين سليم أسد رجاله رجال الصحيح وابن حيان في صحيحة 7/ 197 (2935) والحاكم في المستدرك 1/ 497 (1280). وقال: هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه.

[135] عن أبي سعيد الخدري أخرجه الترمذي في سننه 5/ 184 (2926) وقال: هذا حديث حسن غريب. والدرامي في الرد علي الجهمية 1/ 159 (286) والطبراني في الدعاء 1/ 519 (1851) والبيهقي في الاعتقاد 1/ 101.

وتمنعني الشكوي إلي الناس أنني .... عليل ومن أشكو إليه عليل

وتمنعني الشكوي إلي الله أنه .... عليم بما ألقاه قبل أقول[136]

وقالت[137] طائفة: يكون صاحب دعاء بلسانه، ورضي بقلبه ليأتي بالأمرين جميعا، وقيل: لا يدعو إلا لطاعة ينالها، أو خوف سخط ،فإن دعا سوي ذلك فقد خرج من حد الرضا.

وقال القشيري[138]: الأولي أن يقال إذا وجد في قلبه إشارة إلي الدعاء فالدعاء أولي له، وإذا وجد في قلبه إشارة إلي السكوت، فالسكوت أثم[139] والصواب:

أن الدعاء أولي مطلقا، وعليه الجمهور، فإن نفسه عباده، ولا تبان بالعبادة أولي من تركها، وقد سبقت أدلة الترغيب فيه، وقد دعا – صلي الله عليه وسلم – بكشف

وعن عمر بن الخطاب أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد 1/ 109 والبزار في مسنده 15/ 247 (137) والطبراني في الدعاء 1/ 519 (1850) والبيهقي في شعب الأيمان 2/ 93 (567).

[136] البيتان للأمير تميم بن المعز من قصيدة له مطلعها: =

= وذي عجب من طول صبري علي الذي 000 ألالقي من الأرزاء وهو جليل

زهر الآداب وثمر الألباب 2/ 482 لأبي اسحاق الحصري القيرواني (ت: 453هـ) الناشر دار الجبل بيروت تحقيق زكي مبارك

[137] في (ط) وقال

[138] هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري أبو القاسم النيسابوري [376-465هـ = 986-1072م] قيل عنه: لو ربط إبليس في مجلسة لتاب، ولو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، له مؤلفات كثيرة منها: التفسير الكبير، ولطائف الاشارات،والرسالة القيشرية

تاريخ الإسلام للذهبي 10/ 217 ط دار الغرب الإسلامي 2003 تحقيق بشار عواد معروف وسير أعلام النبلاء للذهبي 18/ 227 ط مؤسسة الرسالة 1405هـ وطبقات الشافعية الكبري للسبكي 5/ 153 ط دار هجر القاهرة 1413هـ تحقيق د. عبد الفتاح الحلو

[139] الرسالة القشيرية 2/ 422 والأذكار للنووي 1/ 442 مكتبة الصفا القاهرة 1422هـ

البلاء والشدائد، وإن كان فيها فضل كبير[140] وقال لعائشة: { إن وافقت ليلة القدر فسلي[141] الله تعالي العقود والعافية }[142] وعلمها لعمه العباس[143]، ولما كانت ليلة الإسراء، وانتهي إلي مقام قاب قوسين عظم سؤاله في (ليلته، فلولا أن السؤال من أجل العبادات ما تلبس به[144]، ولا أمر)[145] أمته به ؟ فكيف يسوع لأحد أن يقول:

---

[140] الآداب الشرعية والمنح المرعية 2/ 276 لابن مفلح المقدسي الحنبلي. ط عالم الكتب. وقال النووي في الأذكار ص 441: " اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف: أن الدعاء مستحب، قال الله تعالي: { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (غافر 60) وقال تعالي: { ادعوا ربكم تضرعا وخفية } (الأعراف 55) و الآيات في ذلك كثيرة مشهورة، وأما الأحاديث الصحيحة فهي أشهر من أن تشهر، وأظهر من أن تذكر "

[141] في (ط) فاسألي

[142] حديث عائشة – رضي الله عنها – أخرجه الترمذي في سننه 5/ 534 (3513) وابن ماجه في سننه 2/ 1265 (3850) وأخرجه أحمد في مسنده 42/ 236 (25384) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 24 (29187) والنسائي في الكبري 7/ 146 (7665)

[143] عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به، فقال: { يا عباس سل العفو والعافية } فقال: يا رسول الله علمني دعاء أدعوا به، فقال: { يا عباس يا عم رسول الله سل الله العفو والعافية } فقال: يارسول الله علمني دعاء أدعو به، فقال: { يا عباس يا عم رسول الله، سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة } أخرجه البخاري في الأدب المفرد 1/ 253 (726) وأحمد في مسنده 3/ 290 (1766) والحميدىٰ في مسنده 1/ 422 (466) والطبراني في الدعاء 1/ 386 (1295)وقال الشيخ الألباني صحيح.

[144] ومن جزء طويل عن حادث الإسراء والمعراج روي البخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ

الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ= = قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: 57]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ = صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَىٰ السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ "، قَالَ: " فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَىٰ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "، قَالَ: " فَرَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَىٰ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، قَالَ: " فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَبَيْنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ

عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "، قَالَ: " فَنَزَلْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَىٰ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ

الحديث في أعلي درجات الصحة فقد رواه – البخاري في صحيحة 9/ 149 (7517) و 5/ 52 (3887) وفي مواضع غير ذلك من صحيحة ورواه مسلم في صحيحة 1/ 145 (162) و 1/ 148 (163) ورواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم.

هنا نتعلم درس عظيم من دروس الإسراء والمعراج من خلال هذا الحديث الصحيح ألا وهو الدعاء.

فالدعاء سبب تخفيف الصلاة من خمسين إلي خمس، وقد فرضت الصلاة في بداية الأمر خمسين صلاة وبنصيحة طيبة من موسي عليه السلام لأخيه محمد صلي الله عليه وسلم دعا ربه فاستجاب، ورفع خمس صلوات فصارت خمس وأربعين، ثم دعا ربه ثانية، فصارت أربعين، ثم دعا ربه ثالثة، وأربعة، وخامسة، وسادسة، وسابعة، وثامنة، و تاسعة، فاستجاب له ربه كل هذه الدعوات، وخفف عنه في كل مرة خمس صلوات إلي أن صارت خمس صلوات في اليوم والليلة بدل خمسين صلاة، واستجاب الله تبارك وتعالي، دعوات محمد صلي الله عليه وسلم التسع أو العشر دعوات في ليلة الإسراء والمعراج ولم يرده خائبا في دعوة واحدة منهن إلي أن استحي نبينا صلي الله عليه وسلم أن يسأل ربه مرة أخري، وذلك بسبب كرم الله عز وجل واستجابته لدعواته كلها، فالدعاء سبب للتحول من الهم والغم والحزن إلي القوة والصحة والعافية وسبب للتحول من الأسوأ إلي الأحسن، ومن الهبوط إلي الصعود.

والدعاء يرد القضاء كما روي أبو هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قوله: { اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء } والحديث رواه البخاري في صحيحة 8/ 75 (6347) ومسلم في صحيحة 4/ 2082 (2707) وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما مرفوعا { الهم اهدني فيمن هديت وعافني في من عافيت، وتولني فيمن توليت وقني واصرف عني شر ما قضيت } والحديث رواه أبو داود في سننه 2/ 63 (1425) والترمذي في سننه 2/ 328 (464) والنسائي في سننه 3/ 248 (1745) فالدعاء ينفع مما نزل ومما ينزل وحتي في القضاء نفسه يجوز للمسلم أن يدعو ربه بأن يدفع عنه شر القضاء، وذلك لأن الله أمرنا بالدعاء في كتابه

اللهم أغننىٰ بك عن السؤال منك، نعم يمكن أن يريد أن يغنيه الله باختياره، عن اختياره لنفسك، فإن اختيار الله للعبد كامل، واختيار العبد لنفسه معلوم، بوجود علة الأدناس[146] بما خرج عن السؤال[147]

وأما قوله صلي الله عليه وسلم للأنصار: أو تصبرون، فهو سؤال كشف وتعليم، فأوحي الله إليه، أنه لا يكشف عنهم في ذلك الوقت، أخر الدعاء، ويحتمل أنه رأي بهم جزعا، وقلة صبر، فأمرهم به.

واختلفوا أيضا في أنه هل الأفضل الاشتغال بالدعاء أو بالذكر ؟ فذهب جماعة إلي أن الذكر أفضل، وإن كان قضاء الحاجة من الدعاء بها[148]، وحكاه الطرطوشي

الكريم ووعدنا بالاستجابة قال تعالي { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (غافر 60) فإذا كان الدعاء لا يفيد شيئا لكان أمره سبحانه وتعالي بالدعاء لغوا لا فائدة فيه، وكذلك وعده بالإجابة للعباد الداعين، وكذلك تكون استعاذة النبي صلي الله عليه وسلم لغو لا فائدة فيه وهذا وذاك لا يقول به عاقل قال تعالي: { وما أصابكم من مصيبة فما كسبت أيدكم ويعفو عن كثير } (الشوري: 30) والدعاء من أسباب العفو وعده العلماء من أسباب الخير الموجبة بحسن القضاء، واندفاع شره.

[145] ما بين القوسين سقط من(ط)

[146] في (ط) الالباس

[147] قال الأمير الصنعاني في كتابه التحبير لإيضاح معاني التفسير 6/ 623 " اختلف السلف في المبتلي بمرض أو مصيبة: هل الأفضل له الدعاء أو السكوت والرضا ؟ قال الأكثرون: الدعاء أفضل، وقال آخرون: الأفضل أن يكون داعيا بلسانه راضيا بقلبه.

قلت: أما الرضا فإنه لا ينافي الدعاء، بل الدعاء من الرضا، لانه ليس من الرضا أن لا تحب العافية، وزوال ما نزل به، بل القلب متسع للأمرين: للرضا بالقضاء والدعاء والألتجاء إلي كاشف كل بلوي والدعاء هو سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم لنفسه وللناس " التحبير لإيضاح معاني التيسير للإمام الصنعاني ط مكتبة الرشد الرياض 1433هـ تحقيق محمد صبحي حسن

(148) قال ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 89 تحت عنوان الذكر أفضل من الدعاء:
" الذكر ثناء علي الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فإين هذا من هذا ؟

ولهذا جاء في الحديث «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته.

كما في حديث فضالة بن عبيد «أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالىٰ ولم يصل علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { عجل هذا } ثم دعاه فقال له أو لغيره: { إذا صلىٰ أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يدعو بعد بما يشاء » رواه الإمام أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم في صحيحة.

وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته: {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} » وفي الترمذي «دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت {لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين} فإنه لم يدع بها مسلم قط إلا استجاب له».

وهكذا عامة الأدعية النبوية علىٰ قائلها أفضل الصلاة والسلام، ومنه قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء الكرب «لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»

ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ»

وروىٰ أبو داود والنسائي من حديث أنس «أنه كان مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسًا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، ولا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطىٰ» فأخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الدعاء يستجاب

عن سفيان بن عيينه، قال: واختاره الفقيه أبو نصر بن الصباغ[149] الشافعي، وأصبحوا عليه بحديث: { من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين }[150]. وقد اختلف في معني هذا الحديث، فقيل أراد أن ذكره لي هو الذي أعطيه، كما قال تعالي: {فاذكروني أذكركم } (البقرة 152) فلما كان ذكر الله أفضل منطوق، فإن أفضل موهوب فكان[151] ثوابه أفضل، ويحتمل أعطيته مجالستي لأن الله تعالي جليس من ذكره[152]، قال الطرطوشي: وفي قول يونس { لا إله إلا أنت سبحانك إني

إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

وهذه فائدة أخرىٰ من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجاباً.فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلىٰ الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلىٰ ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضىٰ منه، وأوصاف المسئول مقتضىٰ من الله، فاجتمع المقتضي من السائل والمقتضىٰ من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً وأتم معرفة وعبودية.

[149] أبو نصر بن الصباغ [400-477هـ = 1010-1184م] = هو عبد السيد بن محمد بن الواحد أبو النصر بن الصباغ، من كبار فقهاء الشافعية، ولد ببغداد، ومات بها وله تصانيف منها الشامل وتذكرة العالم والعدة في أصول الفقه تاريخ بغداد 21/ 122 وفيات الأعيان 3/ 217 تاريخ الإسلام 10/ 409

[150] سبق تخريجه وهو البخارىٰ فىٰ خلق افعال العباد1/ 109 عن عمر بن الخطاب وفىٰ مسند البزار 1/ 247. والبيهقىٰ فىٰ الشعب 2/ 93

[151] في نسخة الشاملة كان

[152] جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 13/ 7: " قال البخاري في كتابه خلق أفعال العباد بين بهذه الآية – قوله تعالي: { فاذكروني أذكركم } – أن ذكر العبد غير ذكر الله تعالي عبده، لأن ذكر العبد الدعاء والتضرع والثناء، وذكر الله الإجابة، ثم ذكر حديث عمر رفعه،

كنت من الظالمين. فاستجبنا له }(الأنبياء 87، 88) دلالة علي أن التهليل والإقرار بالذنب دعاء، فيجب كون الثناء أفضل من الدعاء لتضمنه الأمرين، وقوله صلي الله عليه وسلم: { أفضل الدعاء (دعاء)[153] يوم عرفة لا إله إلا أنت }[154]

وقال بعض الأئمة: لا حجة في حديث { من شغله ذكري عن مسألتي }[155] لأن المراد به المستغرق في الذكر، المتلذذ به، لا لأن يجعل[156] الذاكر الذكر وسيلة في بلوغ القاصد المنافية للذكر، فأما[157] من جعل الذكر وسيلة لذلك، كان السائل أفضل

يقول الله تعالي: { من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين } قال ابن بطال: معني قوله باب ذكر الله بالأمر ذكر الله عباده بأن أمرهم بطاعته ويكون من رحمته لهم وإنعامه عليهم إذا أطاعوه، أو بعذابه إذا عصوه وذكر العباد لربهم: أ ن يدعوه ويتضرعوا إليه، ويبلغوا رسالاته إلي الخلق، قال ابن عباس في قوله تعالي: { فاذكروني أذكركم } إذا ذكر العبد ربه وهو علي طاعته، ذكره برحمته، وإذا ذكره وهو علي معصيته، ذكره بلعنته، قال: ومعني قوله اذكروني أذكركم، اذكروني بالطاعة، وأذكركم بالمعونة، وعن سعيد بن جبير: اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة. وذكر الثعلبي في تفسير هذه الآية نحو أربعين عبارة أكثرها عن أهل الزهد، ومرجعها إلي معني التوحيد والثواب أو المحبة والوصل، أو الدعاء والإجابة. انتهي

[153] مابين القوسين سقط من المخطوطة ومن نسخة الشاملة وأثبته في المطبوعة وهو مثبت في نص الحديث عند مالك في الموطأ وغيره

[154] من حديث طلحة بن عبيد الله أخرجه مالك في الموطأ 2/ 300 (726) وعبد الرازق في مصنفه 4/ 378 (8125) والبيهقي في السنن الصغير 2/ 188 (1677) ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه الترمذي في سننه 5/ 572 (3585). وأحمد في مسنده 11/ 548 (6961)

[155] في (ش) فإن

[156] في (ش) غفل

[157] وجاء في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 7/ 304: " قال السندي: أحاديث أفضل الأعمال مختلفة، وقد ذكر العلماء في توفيقها وجوها من جملتها أن الاختلاف بالنظر إلىٰ اختلاف أحوال المخاطبين، فمنهم من يكون الأفضل له الاشتغال بعمل، ومنهم من يكون الأفضل له

منه[158]، والحق أن الأختيار باختلاف الأحوال والدواعي، فإن خفت[159] الحاجة فالتضرع بالسؤال، كما فعل النبي صلي الله عليه وسلم في الأستسقاء وغيره، وكان

الاشتغال بأخر يعني فمن كان مطيقاً للجهاد قوىٰ الأثر فيه شجاعاً باسلاً يحصل به نفع الإسلام، فأفضل أعماله الجهاد، ومن كان كثير المال غنياً ينتفع الفقراء بماله فأفضل أعماله الصدقة، ومن كان غير متصف بأحد الصفتين المذكورتين فأفضل أعماله الذكر ونحوه. وقال الحافظ: المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنىٰ واستحضار عظمة الله تعالىٰ، وإن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار لذلك، وإن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلىٰ ذكر اللسان المجرد، فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً فهو بلغ= = الغاية القصوىٰ والعلم عند الله تعالىٰ. وأجاب القاضي أبوبكر بن العربي بأنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله عند صدقته أو صيامه مثلاً فليس عمله كاملاً فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية، ويشير إلىٰ ذلك حديث نية المؤمن أبلغ من عمله. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعده: هذا الحديث يدل علىٰ أن الثواب لا يترتب علىٰ قدر النصب في جميع العبادات بل قد يأجر الله تعالىٰ علىٰ قليل الأعمال أكثر مما يأجر علىٰ كثيرها فإذا الثواب يترتب علىٰ تفاوت الرتب في الشرف – انتهىٰ. وقيل: لعل الخيرية والأرفعية في الذكر لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم إنما هي وسائل ووسائط تتقرب العباد بها إلىٰ الله تعالىٰ. والذكر إنما هو المقصود الأسنىٰ والمطلوب الأعلىٰ كما قال الله تعالىٰ: {وأقم الصلاة لذكرىٰ} [طه:14] وقال {ولذكر الله أكبر} [العنكبوت: 45] فالذكر لب العبادات. وقال في حجة الله: " الأفضلية تختلف بالاعتبار ولا أفضل من الذكر باعتبار تطلع النفس إلىٰ الجبروت ولا سيما في نفوس زكية لا تحتاج إلىٰ الرياضات وإنما تحتاج إلىٰ مداومة التوجه هذا."

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 7/ 403 404 لأبي الحسن الرحماني المباركفوري الناشر: الجامعة السلفية بنارس الهند 1404هـ.

[158] ذهب بعض العلماء إلي أن الذكر أفضل من الجهاد، واستدلوا علي ذلك بحديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند ملكيكم،

الخلاف في الاستكثار، أما المواضع التي نص عليها الشارع فيها علي الدعاء، فهو أفضل من الذكر فيها قطعا، وقد أطلق النبي – صلي الله عليه وسلم – علي الذكر والثناء دعاء، فقال: { دعاء الكرب لا إله إلا الله الحليم الكريم }[160]

قال محمد بن جرير[161]: كان السلف يدعون بهذا الدعاء، ويسمونه بدعاء الفرج[162]

وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم } قالوا: وما ذاك يا رسول الله ؟ قال: { ذكر الله }.

رواه الترمذي في سننه 5/ 459 (3377) وابن ماجة في سننه 2/ 1245 (3790) وأحمد في مسنده 36/ 33 (21702) وقال الألباني صحيح

[159] في (ط) حقت

[160] البخاري في صحيحة 8/ 75 (6345)و(6346) ومسلم في صحيحة 4/ 2092 (2730) والترمذي في سننه 5/ 495 (3435) وقال: وفي الباب عن علي، وهذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضا ابن ماجة في سننه 2/ 1278 (3883)

قلت: وعن علي بن أبي طالب رواه أحمد في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنفة، والترمذي في سننه، والبزار في مسنده، والنسائي في الكبرىٰ، وابن حبان في صحيحة، والطبراني في الأوسط والصغير والحاكم في المستدرك. وعن عبد الله بن جعفر رواه أحمد في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنفه، والنسائي في الكبرىٰ والطبراني في الكبير ورواه أحمد في مسنده 5/ 357 (3354) عن ابن عباس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: { لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم } والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 20 (29155)

[161] الطبري [224–310هـ = 839–923م] هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر المؤرخ الإمام المفسر، ولد بطبرستان، واستوطن ببغداد، وتوفي بها، له تصانيف ضخمة وكبيرة، منها: تفسير الطبري، وتاريخ الطبري، وغيرهما الكثير

ويحتمل أنه سماه دعاء بمعني أنه يستفتح به الدعاء، ثم يدعوا، ولهذا جاء في رواية: { ثم يدعوا } وإما لأن الثناء دعاء، كما قال الشاعر:

إذا أثني عليك المرء يوما .... كفاه من تعرضه الدعاء[163]

واعلم أن الذكر[164] إما أن يكون باللسان أو بالقلب أو بالجوارح، (والذكر باللسان هو الألفاظ الدالة علي التحميد والتمجيد، والتسبيح)[165] والذكر بالقلب

---

[162] قال القرطبي في تفسيره 8/ 314: " التسبيح والحمد والتهليل قد يسمىٰ دعاء، روىٰ مسلم والبخاري عن ابن عباس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم). قال الطبري: كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الكرب. وقال ابن عيينة وقد سئل عن هذا فقال: أما علمت أن الله تعالىٰ يقول (إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين). والذي يقطع النزاع وأن هذا يسمىٰ دعاء وإن لم يكن فيه من معنىٰ الدعاء شي وإنما هو تعظيم لله تعالىٰ وثناء عليه ما رواه النسائي عن سعد ابن أبي وقاص قال قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (دعوة ذي النون إذا دعا بها في بطن الحوت لا إله إلا أنت = سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لن يدعو بها مسلم في شي إلا استجيب له (. الثالثة- من السنة لمن بدأ بالأكل أن يسمي الله عند أكله وشربه ويحمده عند فراغه اقتداء بأهل الجنة، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (إن الله ليرضىٰ عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها). الرابعة- يستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنة: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وحسن أن يقرأ آخر" والصافات" فإنها جمعت تنزيه البارئ تعالىٰ عما نسب إليه، والتسليم علىٰ المرسلين، والختم بالحمد لله رب العالمين.

[163] البيت من قصيدة لأمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان ومطلعها.

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثني عليك المرء يوما .... كفاه من تعرضه الثناء

عيون الأخبار لابن قتيبه الدينوري 3/ 168 ط دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ

التفكر في دلائل الذات، والصفات، ودلائل التكاليف، وأسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح أن تصير الجوارح مستغرقة في الطاعات[166]، قال تعالي: { فاذكروني اذكركم } (البقرة: 152) وحسبك بهذا الجزاء[167]، وقال: {فاذكروا الله كذكركم

---

[164] الذكر يذكر ويراد به ذكر اللسان فاذكروا الله كذكركم آباءكم

ويراد به الحفظ فاذكروا ما فيه

ويراد به الطاعة فاذكرونيا

ويراد به الصلوات الخمس فإذا أمنتم فاذكروا الله

ويراد به ذكر القلب ذكروا الله فاستغفروا

ويراد به البيان أو عجبتم إن جاءكم ذكر

ويراد به الخير قل سأتلو عليكم منه ذكرا

ويراد به التوحيد ومن أعرض عن ذكري

ويراد به القرآن ما يأتيهم من ذكر

ويراد به الشرف فيه ذكركم وأنه لذكر لك

ويراد به العيب أهذا الذي يذكر آلهتكم،ويراد به صلاة العصر عن ذكر ربي، ويراد به صلاة الجمعة فاسعوا إلىٰ ذكر الله. " المدهش لابن الجوزي 1/ 28،29.

[165] ما بين القوسين ساقط من (ط)

[166] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوىٰ 10/ 566: " الناس في الذكر أربع طبقات: إحداها: الذكر بالقلب واللسان، وهو مأمور به، الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان، إن كان مع قدرته فنزل للأفضل. الثالث: الذكر باللسان فقط وهو كون لسانه رطبا بذكر الله، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيرا إلا حركة لسان بذكر الله. ويقول الله تعالي { أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه }. الرابع: عدم الأمرين، وهو حال الخاسرين.

[167] أي اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة، وأذكرونىٰ في الرخاء أذكركم في الشدة، قال ابن حجر في فتح الباري 13/ 286: " قوله تعالي { فاذكروني أذكركم } معناه: اذكروني بالتعظيم، أذكركم بالأنعام. وقال تعالي: { ولذكر الله أكبر } أي أكبر العبادات، فمن ذكره وهو خائف آمنه، أو مستوحش، آنسه. قال تعالي: { ألا بذكر الله تطمئن القلوب " انتهي عن أبي هريرة رضي الله عنه

أباءكم } (البقرة: 200) ولم يقل أبناءكم، لأن ذكر الإنسان أباه إنما يكون بالتعظيم، وذكر ابنه بالشفقة، واللائق بحضرة الله التعظيم، وفية إشارة لاستحضار الوحدانية، لأن الابن لو انتسب إلي غير أبيه لا ستنكف، ومن فوائد الذكر[168] إزالة الظلمة عن

قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة } رواه البخاري في صحيحة 9/ 121 (7405) ومسلم في صحيحة 4/ 2061 (2675) وابن حبان في صحيحة 3/ 95 (812).

[168] لذكر الله تبارك وتعالي فوائد جمة، ومنافع عظيمة، وفوائد جليلة ذكرها ابن القيم الجوزية في الوابل الصيب من الكلم الطيب ص 41 وما بعدها فقال: للذكر أكثر من مائة فائدة، ونقتصر هنا علي بعضها فنذكر منها:

1 – أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

2 – أنه يرضي الرحمن عز وجل.

3 – أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

4 – أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

5 – أنه يقوي القلب والبدن.

6 – أنه ينور الوجه والقلب.

7 – أنه يجلب الرزق.

8 – أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

9 – أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحىٰ الدين ومدار السعادة والنجاة.

10 – أنه يورثه المراقبة حتىٰ يدخل في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

11 – أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلىٰ الله عز وجل.

12 – أنه يورثه القرب منه سبحانه.

13 – أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

14 – أنه يورث الهيبة لربه عز وجل، وإجلاله لشدة استيلائه علىٰ قلبه، وحضوره مع الله تعالىٰ.

15 – أنه يورث ذكر الله تعالىٰ له، كما قال تعالىٰ: {فاذكروني أذكركم} [البقرة: 152].

16 – أنه يورث حياة القلب

17 – أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

18 – أنه يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب. وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر.

19 – أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

20 – أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالىٰ.

21 – أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة.

22 – أن العبد إذا تعرف إلىٰ الله تعالىٰ بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

23 – أنه ينجي من عذاب الله تعالىٰ.

24 – أنه سبب لتنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر.

25 – أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل واللغو.

26 – أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين.

27 – أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه.

28 – أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

29 – أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالىٰ يوم الحر الأكبر في ظل عرشه.

30، 31 – أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

32 – أن العطاء والفضل الذي رتب عليه ما لم يرتب علىٰ غيره من الأعمال.

33 – أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالىٰ يوجب الأمان من نسيانه، الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده. قال تعالىٰ: {ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون} [الحشر: 19].

34 – أن الذكر يسير العبد وهو في فراشه وفي سوقه، وفي حالتي صحته وسقمه، وفي حالتي نعيمه ولذته.

35 – أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور في قبره، ونور له في معاده، يسعىٰ بين يديه علىٰ الصراط.

36 – أن الذكر رأس الأصول، وطريق عامة الطائفة، ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول علىٰ الله عز وجل.

37 – أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل.

38 – أن الذكر يجمع المتفرق (من القلب والإرادة، والهموم) ويفرق المجتمع (من الذنوب وجند الشيطان).

39 – أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته، وهو أيضا يقرب البعيد (الآخرة) (1) ويبعد القريب (الدنيا). =

= 40 – أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلىٰ التوحيد.

41 – أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، فهي معية بالقرب والولاية والتوفيق.

42 – أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل علىٰ الخيل في سبيل الله عز وجل ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

43 – أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله من لم يذكره.

44 – أن أكرم الخلق علىٰ الله تعالىٰ من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره.

45 – أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالىٰ.

46 – أن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه ،

47 – أن الذكر أصل موالاته عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها.

48 – أنه ما استجلبت نعم الله تعالىٰ واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالىٰ.

49 – أن الذكر يوجب صلاة الله تعالىٰ وملائكته علىٰ الذاكر {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور} [الأحزاب: 43].

50– أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر.

51 – أن مجالس الذكر مجالس الملائكة.

52 – أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته.

53 – أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك.

54 – أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالىٰ.

55 – أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرا لله تعالىٰ في صومه.

56 – أن إدامته تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها، سواء كانت بدنية أو مالية أو بدنية مالية كحج التطوع.

57 – أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون علىٰ طاعته، فإنه يحببها إلىٰ العبد ويسهلها عليه، ويلذذها، ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل.

58 – أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق.

59 – أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.

60 – أن عمال الآخرة في مضمار السباق، والذاكرين هم أسبقهم في ذلك المضمار.

61 – أن الذكر يعطي للذاكرة قوة، حتىٰ إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه.

62 – أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده.

63 – أن دور الجنة تبنىٰ بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء.

64 – أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم.

65 – أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

66 – أن الجبال والقفار تتباهىٰ وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها، قال مجاهد: إن الجبل ينادي الجبل باسمه: يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل؟ فمن قائل: لا، ومن قائل: نعم.

67 – أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، قال عز وجل في المنافقين: {ولا يذكرون الله إلا قليلا} [النساء: 142].

68 – أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، ولهذا سميت مجالس الذكر: رياض الجنة.

69 – أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة.

70 – أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرا لشهود العبد يوم القيامة، قال تعالىٰ: {يومئذ تحدث أخبارها} [الزلزلة: 4].

71 – الذكر ثناء علىٰ الله، والدعاء سؤال حاجة، فالذكر أفضل من الدعاء.

72 – الذكر والثناء يجعل الدعاء مستجابا.

القلب، كما قال تعالي: { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } (الأعراف 201) والإعراض عن الذكر يوجب الفساد، وكما قال: { ومن أعرض[169] عن ذكري فإن له معيشة ضنكا } (طه 124)

فائدة:-

قال الشيخ أبو طالب المكي[170] في القوت[171]: " ليكن للعبد في كل يوم وليلة ورد من الذكر والتسبيح، وأقل ذلك بسبع مائة مرة من أنواع الأذكار التي وردت بها الأخبار، فليقل: { لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو علي كل شيء قدير[172] مائة مرة } فإن قالها مائتي

---

73 – قراءة القرآن أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، هذا من حيث النظر لكل منهما مجردا، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولىٰ من الفاضل بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلىٰ الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة. انتهي

[169] في (خ) يعرض، وهو خطأ وقد صححها الناسخ في الهامش في نفس الصفحة

[170] هو محمد بن علي بن عطية الحارثىٰ أبو طالب [ت: 386هـ = 996م] قال أبو بكر الخطيب: صنف كتابا سماه قوت القلوب علي لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة في الصفات.
تاريخ بغداد 4/ 151 وفيات الأعيان 4/ 303 والمغني في الضعفاء 2/ 618 وسير أعلام النبلاء 16/ 536

[171] قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلي مقام التوحيد 1/ 77 لأبي طالب المكي [386هـ] الناشر دار الكتب العلمية بيروت 1426هـ تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيلانىٰ.

[172] روي الترمذي في سننه 5/ 491(3428) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: { من دخل سوقا من هذه الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو علي كل شيء قدير، كتب الله عز وجل له ألف ألف حسنه، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة }، وابن ماجه

مرة لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله، بأثر فيه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، وليقل: { سبحان الله وبحمده مائة مرة }[173]، وليقل: { سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله مائة مرة }[174] وليقل: { لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة }[175]، وليقل: { اللهم صل علي محمد عبدك ورسولك النبي الأمي مائة مرة }[176] وليقل: { استغفر الله الحي القيوم، وأسأله التوبة مائة مرة }[177]،

في سننه 2/ 752 (2235) وقال الألباني حسن. وأحمد في مسنده 1/ 410(327) والحديث رواه الداري في سننه 3/ 1762 (2734)

[173] عن أبي هريرة –رضي الله عنه – أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { من قال: سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر } والحديث رواه البخاري في صحيحة 8/ 86 (6405). ومسلم في صحيحة 4/ 2071 (2691) والترمذي في سننه 5/ 11 (3466) وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه 2/ 1253 (3812) وابن خزيمه في صحيحة 1/ 369 (750).

[174] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 54 (29421) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، موقوفا قال: { لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي من أن أتصدق بعددها دنانير}. وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/ 461 (3589) والطبراني في الكبير 9/ 233 (9144)، والبيهقي في شعب الإيمان 2/ 139 (616)

[175] أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء 8/ 280 عن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: { من قال في يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أنيسا في وحشة القبر، واستجلب الغني واستقرع باب الجنة }، وأخرجه أيضا في صفة الجنة 2/ 32 (185).

[176] أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري 8/ 77 (6358). والنسائي في سننه 3/ 49 (1293). وابن أبي شيبة في مصنفه 2/ 246 (8633)

[177] روي الترمذي في سننه 5/ 470 (3397) عن أبي سعيد الخدري عن النبي صل الله عليه وسلم قال: { من قال حين يأوي إلي فراشة: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث

وليقل: { ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله مائة مرة }، ويقول هذا في كل يوم وليله، فإن رزق مزيدا عليها فهو أفضل، وإلا كان هذا معلومة، والله الموفق.

قلت: وفي كتاب فضل الذكر لجعفر الغريابي بإسناد عن عكرمة، أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحه، ويقول اسبح عدد ديني[178].

مرات، غفر الله ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت مثل عدد أيام الدنيا }

وأخرجه أحمد في مسنده أيضا 17/ 130 (11074) وابن أبي شيبة في مصنفه 6/ 57 (29447) وأبو يعلي الموصلي في مسنده 2/ 495 (1339) والطبراني في الدعاء 1/ 505 (1784)

[178] حكي هذا الأثر ابن كثير في البداية 11/ 379 وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان 7/ 422 وفيه: "ذنبي" بدل "ديني".

الفصل الرابع في شروطه[179]

وقد عدها الحليمي في المنهاج[180] أحد عشر:

الأول:

أن لا يكون السؤال بالدعاء ممتنعا عقلا، ولا عادة كإحياء الموتىٰ، ورؤية الله تعالي في الدنيا، وإنزال مائدة من السماء، أو ملك يخبره بأخبارها، وغير ذلك من الخوارق التي كانت للأنبياء[181]، إلا أن يكون السائل نبيا، لأن نقض العادات إنما

---

[179] جاء في تفسير القرطبي 2/ 311: " وقال سهل بن عبد الله التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال. وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة علىٰ محمد صلىٰ الله عليه وسلم.

[180] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 522 لأبي عبد الله الحليمي (ت 4030هـ) الناشر دار الفكر 1399هـ = 1379م تحقيق حلمي محمد فوده.

[181] قال في المنهاج 1/ 524 ليس لأحد أن يتشبه بإبراهيم صلوات الله عليه وسلم، فيدعو الله جل ثناؤه أن يريه كيف يحيي الموتىٰ. ولا أن يتشبه بموسىٰ صلوات الله عليه فيقول: {رب أرني أنظر إليك} ولا أن يتشبه بعيسىٰ صلوات الله عليه فيقول: {ربنا أنزل علينا مائدة من السماء}.

ولا لأحد أن يسأل الله جل ثناؤه إنزال ملك عليه فيسله عن خبر من أخبار السماء، إحياء أبوية وإحياء ولده، لأن بعض العادات إنما تكون من أمر الله تعالىٰ، التأييد من يدعو إلىٰ ذنبه لشهوات العبادات ومناهم إلا أن يكون السائل نبيا، فيجمع إجابته أثناء نبوته وتأييده بما يصدق دعوته، ولكنه إن دعا كما دعا نوح صلىٰ الله عليه وسلم فقال: {رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارا} جاز لأن الله عز وجل إنما فرض الجهاد ليقاتل المشركين. فإما أن يسلموا وإما أن يستأصلوا، فمن دعا بهذا الدعاء فإنما يسأل تيسير ما أمر الجهاد لأجله، وليس ذلك من شهوات النفوس وأمانيها، وإنما يبعث عليه نقص من الله تعالىٰ، فكان دعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم وغير النبي واحد والله أعلم.

يكون من الله تعالي لتأييد من يدعو إلي دينه، ولك أن تبني ذلك علي أن ما كان معجزة النبي، هل يجوز أن يكون كرامة لولي؟

قال: ويجوز أن يسأل الله العبد سؤالا مطلقا أن يكشف عنه ضرورة وقعت له، فينقض الله له عادة، كما إذا حدث له في بادية جوع، أو عطش، أو برد شديد، وهو

وليس لأحد أن يدعو فيقول: اللهم اجعل لي الصفا ذهبا، أو احبس لي الشمس، أو برد لي النار، لأن هذه أشياء خص الله لكل شيء منها نبيا، ليظهر بذلك محله وقدره عند عباده. فكان تحويل الصفا ذهبا مما ورد الخبر، بأن جبريل صلىٰ الله عليه وسلم نزل علىٰ بينا صلىٰ الله عليه وسلم يخبره عن الله تعالىٰ في ذلك. فقال: "بل أكون عبدا نبيا". وحبس ليوشع بن نون صلىٰ الله عليه الشمس، وتبريد النار إبراهيم الخليل صلوات الله عليه. فمن سأل الله تعالىٰ لنفسه شيئا من (هذا) فإنما يسأل الله أن يسوي بينهم وبينه ويلحقه فيما أهلهم له من ذلك بهم، فلا فرق بينه وبين من يقول: رب اسجد لي ملائكتك، كما أسجدتهم لك، أو رب كلمني كما كملت موسىٰ، أو أسر بي هذه الليلة إلىٰ المسجد الأقصىٰ كما أسريت بمحمد صلىٰ الله عليه وسلم.فإذا كانت هذه الدعوات مما لا يجوز الاجتراء علىٰ الله بها، فالأولىٰ أمثالها والله أعلم.

وقد يجوز أن تحدث للعبد حاجة وضرورة فيسأل الله عز وجل كشفها عنه سؤالا مطلقا، إلا أن الله عز وجل عند الإجابة ينقص له عادة أو يفعل ذلك به من غير مسكنة جزاء له لتوكله وقوة إيمانه، مثل أن يكون في بادية لم يدخلها إلا في ثواب الله عز وجل علىٰ وجه ما دون له فيه، فتصيبه مخمصة شديدة، وليس معه ولا قربه أحد. فيقول: اللهم ادفع عني الجوع بما شئت فيحدث الله مكانه طعاما فيأكله.وإن أصابه برد شديد خاف علىٰ نفسه منه ولم يكن له ما يتدثر به، فيقول: اللهم اصرف عني البرد بما شئت، فيحدث له كسوة ليلبسها. أو يشبع الأول بلا طعام، ويدفئ الثاني بلا كسوة.ومثل هذا أن يسأل الله تعالىٰ أعمىٰ لا قائد له، ولا أحد يسعىٰ في حوائجه أن يرحمه ويكفيه بما شاء في وجوه كفاياته فيرد البصر عليه مكانه. لأن هذه ضرورات واقعة لا كاشف عنها إلا الله جل ثناؤه. فمن رغب عن هذه المسألة مع حدوث الضرورة فلم يوف العبودة حقها. وإذا صح السؤال من العبد ووقع موقع الجوار، فكثر ما أجاب الله به دعوته، فهو داخل في حد المحكمة، وليس يثني منه تخارج عنه والله أعلم.

مأذون له في دخولها من جهة الشرع، فدعا الله بكشف ما أصابه، لا يضر[182] مطلقا[183] وكان ذلك جائزا، وإن كان في إجابته إياه نقض العادة، وقد يفعل ذلك به من غير مسألة، جزاء له لتوكله، وقوة إيمانه.

الثاني:

أن لا يكون علي السائل حرج فيما سأل، كسؤال الخمر يشربها، أو امرأة يزني بها، لما تضمن سؤاله من إباحة الحرام[184]، ولقوله – صلي الله عليه وسلم: { يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم }[185] رواه مسلم، فيدخل الإثم كل ما يأثم به من الذنوب[186]، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين، ومظالمهم،

---

[182] في (ط) من يضر

[183] كلمة مطلقا سقط من (ش)

[184] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 525

[185] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – { يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم } أخرجه مسلم مرفوعا في صحيحة 4/ 2096 (2735) و أحمد في مسنده 15/ 74 (9148) والبخاري في الأدب الفرد 1/ 228 (655) والترمذي في سننه 5/ 583 وقال الألباني صحيح. وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحة 3/ 164 (881)، والبيهقي في الكبرىٰ 3/ 492 (6429).

[186] ما هو الإثم ؟ عن النواس بن سمعان الأنصاري: { سألت رسول الله –صل الله عليه وسلم – عن البر و الإثم ؟ فقال: البر حسن الخلق، و الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس } أخرجه مسلم في صحيحة 4/ 1980 (2553) والترمذي في سننه 4/ 597 (2389) وقال: هنا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحة 2/ 123 (397) وأحمد في مسنده 29/ 179 (17631)

وعن وابصة بن معبد صاحب النبي صل الله عليه وسلم قال: جئت إلي رسول الله صل عليه وسلم أسأله عن البر و الأثم فقال: { جئت تسأل عن البر و الإثم } فقلت: والذي بعثك بالحق، ما جئتك أسألك عن غيره، فقال: { البر ما انشرح له صدرك، والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك الناس }، وهذا لفظ أحمد في مسنده 29/ 532 (18006) وعند ابن أبي شيبة في مسنده 2/ 259 (753) {

قال الحليمي [187]: ويدخل في هذا[188] ان يدعو بالشر علي من لا يستحقه، أو علي بهيمة، وقد جاء أن رجلا لعن بعيره في سفر، فقال سول الله صل الله عليه وسلم: { لا يصبحنا ملعون }[189] فكأنه[190] عاقبة علي لعنه، وقد جاء: { { لا تدعوا علي أنفسكم، ولا علي أولادكم و لا علي أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة عطاء فيستجاب لكم }[191] أي عقوبة لكم لا كرامة.

يا وابصة استفت قلبك، أو استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب، واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك } وأخرجه الداري في سننه 3/ 1649 (2575) و أبو يعلي الموصلي في مسنده 3/ 160 (1586) والبيهقي في دلائل النبوة 6/ 292 والطبراني في الكبير 22/ 147 (402) و(403) قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم 2/ 101: " فما إليه سكن القلب، وانشرح إليه الصدر فهو البر الحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام 000و الإثم ما أثر في الصدر حرجا وضيقا وقلقا، واضطرابا، فلم ينشرح له الصدر، ومع هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه، وهذا أعلي مراتب معرفة الأثم عند الاشتباه، وهو ما استنكره الناس علي فاعله وغير فاعله " انتهي

[187] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 526

[188] في (ش) هذه

[189] أخرجه مسلم في صحيحة عن عمران ابن حصين 4/ 2004 (2595) والداري في سننه 3/ 1751 (2719) وقال حسين سليم أسد إسناده صحيح. وابن أبي شيبة في مصنفه 5/ 265 (25932) وأحمد في مسنده 33/ 91 (19858) والطبراني في الكبير 18/ 189 (449)

[190] في (ش) فكان وفي (ط) فكان، وما أثبتناه هو ما في المخطوطة

[191] أخرجه مسلم في صحيحة من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها 2/ 634 (920) والنسائي في سننه 4/ 4 (1825) وقال الألباني صحيح. وأبو داود ف سننه 3/ 190 (3118). والترمذي في سننه 3/ 298 (977). وابن ماجة في سننه 1/ 465 (1447) وأحمد في مسنده 44/ 165 (26543)

الثالث:

أن لا يكون فيما سأل غرض فاسد، كسؤال المال والجاه والولد، والعافية، وطول العمر للتفاخر والتكاثر، والاستعانه بها علي قضاء الشهوات[192].

الرابع:

أن لا يكون الدعاء علي وجه الاختبار لربه تعالي، بل يكون سؤالا محضا، إذ العبد ليس له أن يختبر ربه[193].

الخامس:

أن لا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة فيفوتها فيكون عاصيا[194].

---

[192] خلق الله طيبات الدنيا ونعيمها في الأصل للمؤمن ليستعين بها علي عبادة ربه وتزكية نفسه، وتهذيب خلقه، ودعوة إلي منهاج ربه. والكافر يشارك المؤمن في التنعم بطيبات الحياة التي لم تخلق للكافر في الأصل، ولكنها خلقت للمؤمن. وأما في الآخرة فلا متاع إلا للمؤمنين، ولا نعيم إلا للمسلمين الموحدين. قال تعالي: { قل من حر زينة الله التي أخر لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون } (الأعراف 32)

[193] روي البخاري في صحيحة 8/ 74 (6338) عن انس – رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له } ومسلم في صحيحة 4/ 2063 (2678). ومعني فليعزم: أي فليجزم في طلبه من الله ويطلب بعزم وحزم وجزم بلا ضعف ولا تردد. ومعني لا مستكره له: أ ي أن الله سبحانه وتعالي يفعل ما يريد وقتما يريد علي الطريقة وبالاسلوب الذي يريده، ةلا يوجد من يمكنه اكراه المولي علي فعل أو ترك.

[194] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي 1/ 529

السادس:

أن حاجته إذا عظمت لم يسألها الله سؤال مستعظم لها في ذات الله، بل يسئله الصغيرة والكبيرة سؤالا واحدا، وفي صحيح ابن حبان من حيث أبي هريرة مرفوعا: { إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإنه لا يتعاظم علي الله شيء }[195]. وفي صحيح البخاري عنه مرفوعا: { إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلي الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة }[196] وفي الترمذي عن أنس مرفوعا: { ليسئل أحدكم ربه حاجته كلها حتي يسئل شسع نعله إذا انقطعت }[197]. وينبغي أن يري منه الله عليه في إجابته إلي صغير الحوائج وكبيرها[198].

---

[195] أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه ابن حبان مرفوعا في صحيحة 3/ 177 (894). والبخاري في صحيحة 8/ 74 (6339) ومسلم في صحيحة 4/ 2063 (2679). وأبو داود في سننه 2/ 77 (1483) والترمذي في سننه 5/ 526 (3497) وابن ماجة في سننه 2/ 1267 (3854). وأخرجه أحمد في مسنده 12/ 265 (7314).

[196] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 4/ 16 (2790). والترمذي في سننه 4/ 674 (2029) وقال:(هذا حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحة 10/ 471 (4611). وأحمد في مسنده 14/ 180 (8474).

[197] أخرجه الترمذي عن أنس مرفوعا في سننه 5/ 583 وابن حبان في صحيحة 3/ 148 (866)، وأبو يعلي الموصلي في مسنده 6/ 130 (3403) وقال حسين سليم أسد: أسناده صحيح علي شرط مسلم. والطبراني في الأوسط 5/ 373 (5595). والبيهقي في شعب الإيمان 2/ 368 (1079)

[198] يناجي الإنسان مولاه ويلجأ إليه ويتضرع إليه في جل الأمور وحقيرها وصغيرها وكبيرها فكثيرا ما يجيب الرب عبده كما وحدنا سبحانه في كتابه الكريم { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } (غافر 60) لكن الأمر المهم الذي يجب أن يبقي خالد في وجدان المسلم أن ما به من نعمه فمن الله وأن منه الله لا تعد ولا تحصي وأن الله سبحانه وتعالي مجيب الدعاء ولكن الإنسان سريع النسيان وكثير الجحود قال تعالي: { وإذا مس الإنسان الضر دانا لجنبه أو قعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلي ضر مسه كذلك زين للمسرين ما كانوا يعملون } (يونس 12) فالمؤمن

السابع:

حسن الظن بالله عند الدعاء، وكون الإجابة أغلب علي قلبه من الرد، إذ الباعث علي الدعاء صدق الرجاء، وإذا لم تغلب الإجابة علي قلبه، لم يصدق رجاؤها، وفي الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا: { ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة }[199]. وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال[200]: " هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المرئ، وهو أحد زهاد البصرة، ولم يخرجاه ".

وفي الصحيحين[201]، أن الله تعالي يقول: { أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني }[202]

وفي مسند بقي بن مخلد[203] من حديث أبي هريرة مرفوعا: { اطلبوا الخير وهركم كله، وتعرضوا النفحات الله، فإن لله نفحات يصيب بها من يشاء من عباده }[204].

يردد كل صباح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر.

[199] حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 517 (3479). والحاكم في المستدرك 1/ 670 (1817) والطبراني في الأوسط 5/ 211 (5109) والبزار في مسنده 17/ 307 (10061)

[200] المستدرك 1/ 670

[201] سبق تخريجه وهو صحيح البخاري 9/ 121 ومسلم في صحيحة 4/ 2061

[202] قال ابن حجر في فتح الباري 13/ 386: " معنىٰ ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده قال ويؤيده قوله في الحديث الآخر ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة قال ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ومن مات علىٰ ذلك وكل إلىٰ ما ظن ".

وقال سفيان بن عينة: " لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله أجاب شر الخلق إبليس، إذ قال: { رب انظرني إلي يوم يبعثون، قال إنك من المنظرين } (الأعراف 14أ15) وإنما سأل اللعين النظرة إلي يوم البعث، طمعا في الإقامة لئلا يذوق الموت، فلا ينبغي للعبد أن يترك الابتهال والتضرع[205].

الثامن:

ألا يستعجل، ولا يضجر من تأخير الإجابة، كمن له حق علي غيره، إذ ليس لأحد علي الله حق، وأيضا فقد تكون المصلحة في التأخير، أيضا فالدعاء عبادة واستكانة، والضجر والاستعجال ينافيها.

---

[203] هو بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي [201 – 276هـ = 817 – 889م] له كتاب في التفسير وكتاب في الحديث يسمي الحوض والكوثر ومصنف في فتاوي الصحابة، ولم أقف علي مسنده وربما يكون هو المسمي بالحوض والكوثر.

تاريخ الإسلام 6/ 521. والوافي بالوفيات 10/ 115. والأعلام 2/ 60.

[204]) من حديث أبي هريرة مرفوعا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 2/ 372 (1085)

ومن حديث أنس مرفوعا أخرجه البيهقي في الشعب 2/ 370 (1083) والطبراني في الكبير 1/ 250 (720)

ومن حديث أبي الدرداء موقوفا ابن أبي شيبة في مصنفة 7/ 111 (34594) والأصبهاني في حلية الأولياء 1/ 221.

[205] التوضيح لشرح الجامع الصحيح 29/ 254 لابن الملقن (ت. 804هـ) الناشر دار النوادر دمشق 1429هـ. والمنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود 8/ 148 لمحمود خطاب السبكي مطبعة الاستقامة

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة، أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: { يستجاب لأحدكم مالم يعجل، فيقول: دعوت فلم يستجب لي }[206] وقوله: " فيقول " هو منصوب علي جواب النفي، أجريت " لم " حيث كان معناها النفي مجراها، كما في قولهم: ما أنت بصاحبي فأنصرك وفي رواية لمسلم[207]، قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال ؟ قال: { يقول:قد دعوت، وقد دعوت، فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء }.

وذكر مكي[208] أن المدة بين[209] دعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد، والبشارة أربعون سنه[210]. ومثل ذلك ما حكاه ابن عطية، عن ابن جريح[211]، ومحمد بن علي،

---

[206] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه البخاري مرفوعا في صحيحة 8/ 74 (6340). ومسلم في صحيحة 4/ 2095 (2735)، وأبو داود في سننه 2/ 78 (1484). والترمذي في سننه 5/ 464 (3387) وقال هذا حديث حس صحيح، وابن ماجة في سننه 2/ 1266 (3853) وابن حيان في صحيحة 3/ 256 (975)

[207] ذكر هذه الرواية مسلم في صحيحة 4/ 2096 (2735) وأخرجها أيضا ابن حيان في صحيحة 3/ 164 (881). وقال السيخ محمد فؤاد عبد الباقي " يستحسر: قال أصل اللغة يقال: حسر واستحسر إذا أعيا وانقطع عن الشيء والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالي { لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون } أي لا ينقطعون عنها

[208] ما بين القوسين ساقط من (ط)

ومكي [355– 437هـ =966– 1045م] هو أبو محمد مكي أبي طالب حموش القيرواني مولدا ثم قضي نصف حياته في قرطبة ومات ودفن بها، ومكي إمام علامة محقق عارف بالقراءات، والتجويد، والتفسير، له مؤلفات كثيرة منها: الهداية في التفسير، والتبصرة في القراءات، ومشكل اعراب القرآن، والرعاية في التجويد، وكثير غير ما ذكرنا.

إرشاد الأريب إلي معرفة الأديب 6/ 2712 وإنباه الرواة علي أنباه النحاة 3/ 313. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية 3/ 1269. والصلة في تاريخ أئمة الأندلس597

[209] في (ط) من

والضحاك أن دعوة موسي عليه السلام علي فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنه[212] وقال ابن هبيرة[213] في حديث أنس: { قنت النبي – صل الله عليه وسلم – شهرا، يدعوا علي رِعْل وذكوان }[214]

---

[210] جاء في الهداية 2/ 100 " فلما رأي زكريا من الله ما رأي، طمع بالولد مع كبر سنه من المرأة العاقر، فدعا الله في الولد من ذلك الوقت، وهو قوله تعالي { هنالك دعا زكريا ربه } (أل عمران 38) فبشر وهو يصلي في المحراب، وقيل: بشر بيحيي بعد أربعين سنة من وقت دعائه، ولذلك قال عند البشارة: { رب أني يكون لي غلام }(أل عمران 40) لأنه نسي دعائه لطول المدة التي بين الدعاء و الإجابة " الهداية إلي بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لأبي محمد المكي القيرواني القرطبي (ت. 437هـ) الناشر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، 1429هـ

[211] هو عبد الملك عبد العزيز بن جريح [80–150هـ = 699–767م] إمام أهل الحجاز في عصره روي الأصل من موالي قريش مكي المولد والوفاة الطبقات الكبري 6/ 37، والتاريخ الكبير للبخاري 5/ 422، والثقات لابن حبان 7/ 93.

[212] قال الألوسي في روح المعاني 6/ 163: " أخرج ابن المنذر عن بن عباس – رضي الله تعالي عنهما قال: يزعمون أن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة، وأخرج ابن جرير عن ابن جرير مثله، وأخرج الترمذي عن مجاهد ان دعوة أجيبت بعد أربعين سنة ". روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي (ت. 1270هـ) الناشر دار الكتب العلمية بيروت، 1415هـ. تحقيق علي عبد الباري عطية

[213] هو يحيي بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني [499–560هـ =1105–1165]عالم بالفقه والأدب، له نظم جيد،دخل بغداد في صباه فتعلم صناعة الإنشاء وقرأ التاريخ والأدب وعلوم الدين وولي الوزارة لبني العباس وترك عدة مصنفات مفيدة منها: الإيضاح والتبيين في اختلاف الأئمة المجتهدين، والإفصاح عن معاني الصحاح، وغيرها.وفيات الأعيان 6/ 230. والأعلام 8/ 175

[214] حديث أنس مرفوعا أخرجه البخاري في صحيحة 2/ 26 (1003) و 2/ 82 (1300) و4/ 18 (2801) و 4/ 21 (2814). ومسلم في صحيحة 1/ 468 (677) والنسائي في سننه 2/ 200

فيه من الفقه أنه لا يجوز للإنسان أن يستبطيء الإجابة، ويقول دعوت، فما أجبت، بل يدوم علي الدعاء، قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء، من أن أحرم الإجابة[215]، وذلك أن الله تعالي يقول: { ادعوني استجب لكم } (غافر 60) فقد أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة، وهو لا يخلف الميعاد، وكان بعض السلف يقول: " لا تستبطئ الإجابة، وقد سددت طرقها بالمعاصي فكم من مستغفر ممقوت، وساكت مرحوم[216]

(1070) و(1071). وأبو داود في سنة 2/ 68 (1444) وقال الألباني: صحيح. وأبو يعلي الموصلي في مسنده 5/ 374 (3029) وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح وابن حيان في صحيحة 5/ 308 (1973)

[215] روي الطبراني في الدعاء 1/ 33 (39) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { والذي نفس بيده ما أذن الله عز وجل لعبد في الدعاء حتىٰ أذن له في الإجابة }. وأخرجه أيضا أبو نعيم الأصبهاني في الحلية 3/ 263.

وروي عبد الغني المقدسي في كتابه الترغيب في الدعاء والحث عليه 1/ 49 " عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { من الهم خمسة لم يحرم خمسة: من الهم الدعاء لم يحرم الإجابة لأن لله تعالي يقول { ادعوني استجب لكم } ومن الهم التوبة لم يحرم القبول الله تعالي يقول: { وهو الذي يقبل التوبة عن عباده }. ومن الهم الشكر لم يحرم الزيارة، لأن الله تعالي يقول { لئن شكرتم لأزيدنكم }. ومن الهم الاستغفار لم يحرم المغفرة لأن الله تعالي يقول { استغفروا ربكم إنه كان غفارا } ومن الهم النفقة لم يحرم الخلق لأن الله يقول: { وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه }

[216] ترك الواجبات يمنع استجابة الدعاء، وفعل الطاعات يكون سبب في إجابة الدعاء وذلك كما هو واضح في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلي الله بالدعاء، وصالح الأعمال التي أخلصوا الله فيها. وكما في حديث حذيفة عند الترمذي أن النبي صل الله عليه وسلم قال: { لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو يبعث الله عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم }

التاسع:

أن لا يقتصر علي دعاء لغيره، مع الجهل بمعناه، أو انصراف الهمة إلي لفظه، إذ الدعاء سؤال، وهذا غير سائل، بل حاك لكلام غيره[217]

قال الحليمي[218]: نعم إذا كان دعاء حسنا، أو كان صاحب الدعاء ممن يتبرك بكلامه فاختاره لذلك، وأحضره قلبه، ووفاه من الإخلاص[219] الطلب حقه، كان ذلك، وإنشاء الدعاء من عنده سواء حينئذ.

قال الشاعر

نحن ندعو الإله في كل كرب 0000 ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابة لدعاء 0000 قد سددنا طريقها بالمعاصي

وقال يحيي بن معاذ: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين ثم قال يحيي بن معاذ: كم من مستغفر ممقوت، وساكت مرحوم، هذا استغفر الله وقلبه فاجر، وهذا سكت وقلبه ذاكر.

صفة الصفوة 2/ 293 لابن الجوزى. وبستان العارفين للنووي 1/ 34 ولطائف المعارف لابن رجب 1/ 255. وموارد الظمآن لدروس الزمان 4/ 486.

[217] روي الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه } والحديث رواه أيضا الحاكم في المستدرك 1/ 670 (1817). وقال هذا حديث مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة ولم يخرجاه واخرجه أيضا الطبراني في الأوسط 5/ 211 (5109). والبيهقي في الدعوات الكبير 1/ 497 (382)

قال الإمام الرازي أجمعوا علي أن الدعاء مع غفلة القلب لا أثر له، وأجمعت الأمة علي أن الدعاء اللساني الخالي عن الطلب النفساني، قليل النفع عديم الأثر. فكونوا علي حال تستحقون بها الإجابة، وذلك باستجماع شرائط الدعاء وآدابه، والحضور والإتقان من أعظمها.

لمعات التنقيح شرح مشكاة المصابيح 5/ 18. وفيض القدير 1/ 228. والتيسير بشرح الجامع الصغير 1/ 54

قلت: وذكر بعضهم كراهة الدعاء بأمر لم يظهر له معناه، كما ذكر أبو حنيفة في الجامع الصغير أنه قال: يكره أن يدعو الرجل فيقول: اللهم إني أسألك بمقاعد العز من عرشك، وإن جاء به الحديث، لأنه ليس ينكشف معني هذا الدعاء لكل أحد[220].

قلت: هذا جاء في حديث أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير عن ابن مسعود، عن النبي – صل الله عليه وسلم – في الدعاء، في السجود: { اللهم إني أسألك بمقاعد العز من عرشك، ومنتهي الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم، وكلماتك التامة، ثم سل حاجتك }[221] لكن ذكره ابن الجوزئ[222] في الموضوعات[223]، وقال ابن الأثير[224] في

---

[218] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي 1/ 528، 529

[219] في (ط) إخلاص

[220] ساق هذا الكلام محمد بن إسماعيل الصنعاني في كتابه المعروف بالتنوير شرح الجامع الصغير 3/ 148. الناشر مكتبة دار السلام الرياض 1432هـ. تحقيق د. محمد إسحاق إبراهيم

[221] حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه مرفوعا البيهقي في الدعوات الكبير 2/ 18 (443) وأخرجه موقوفا علي قبله بنت مخرمة الطبراني في الكبير 25/ 12، والبيهقي في الأسماء والصفات 1/ 323 (250)

[222] هو جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي [508 – 597هـ =1116 – 1201م] الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر قال كتبت بإصبعي ألفي مجلد، وتاب علي يدي مائة ألف وأسلم علي يدي عشرون ألفا، له مؤلفات كثيرة جدا منها: زاد المسير في التفسير والموضوعات، والواهيات، والضعفاء، والمنتظم في التاريخ.

وفيات الأعيان 3/ 140. وتاريخ الإسلام 12/ 1100. وتذكرة الحفاظ 4/ 92. وطبقات الحفاظ 1/ 480

[223] قال ابن الجوزئ في الموضوعات 2/ 142 " هذا حديث موضوع بلا شك " ووافقه الزيلعي علي وضعه في نصب الراية 4/ 273، وشيخ الإسلام ابن حجر في الدارية في تخريج أحاديث الهداية 2/ 239

النهاية: وفي الحديث: { أسألك بمقاعد العز من عرشك } أي بالخصال التي استحق بها العرش العز، أو بمواضع انعقادها منه، وحقيقة معناه: بعز عرشك، قال وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدعاء[225]. انتهي

وذكر الحكيم الترمذي[226] في مناسكه أن النبي –صل الله عليه وسلم – نهي العامة[227] عن الدعاء عند زيارة البيت بقوله: حينا ربنا بالسلام[228]

---

[224] ابن الأثير [544–606هـ= 1150– 1210م] هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير له تصانيف نافعة جليلة القدر منها: النهاية في غريب الحديث وجامع الأصول في أحاديث الرسول

تاريخ بغداد 15/ 331. وإنباه الرواه 3/ 257. وفيات الأعيان 4/ 141 وتاريخ الاسلام 13/ 146

[225] النهاية في غريب الحديث و الأثر 3/ 270 لابن الأثير. الناشر المكتبة العلمية بيروت 1399ه=1979م تحقيق طاهر الزواوي

[226] هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي [230 –320هـ = 845 –932م] له تصانيف كثيرة في الزهد والتصوف قال عنه الذهبي في تاريخ الإسلام 6/ 814: " إمام في الحديث صحيح المتابعة للآثار حلو العبادة عليه مؤاخذات قليلة كغيره من الكبار "

[227] في (ط) عائشة

[228] قال الشيخ الألباني في مناسك الحج والعمرة ص 20 " ولم يثبت عن النبي – صل الله عليه وسلم – هنا دعاء خاص، فيدعو بما تيسر له، وإن دعا بدعاء عمر: " اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام " فحسن لثبوته عنه رضي الله عنه "

قلت: وروي مكحول قال كان النبي – صل الله عليه وسلم – إذا دخل مكة فرأي البت رفع يديه وكبر وقال: " اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام. اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة، وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبر " رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ 5/ 118 (9213) وهذا مرسل. وروي البيهقي أيضا مرسلا آخر لابن جريح في نفس المعني وفي نفس الموضع من السنن الكبري.

قال: ويحتمل أن يكون هذا النهي، لمن لم ينكشف له معناه، فأما من كشف له معناه، فهو غير داخل في هذا النهي كما كانت الصحابة يدعون به و قال ومعناه اجعل تحيتنا الحياة بك، كما قال أبو ضمره[229] رحمه الله: (اللهم إنك تعلم أني من أفقر خلقك إليك، فإن كنت تعلم أن فقري إليك لمعني هو سواك، فلا تسد فقري)[230] لأن من أسماء الله السلام، فكأنه إنما يدعو هذا الدعاء لأنه لما جاء إلي الزيارة، فقد

وروي ابن أبي شيبة في مصنفه 3/ 437 (15754) موقوفا علي سعيد بن المسيب أنه كان رأي البيت قال: " اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام وإليك السلام " ورواه أيضا البيهقي في الكبرىٰ 5/ 118 (9215) موقوفا علي سعيد بن المسيب. ورواه الشافعي في مسنده 1/ 135

ورواه ابن أبي شيبة أيضا في مصنفه 3/ 437 (15757) موقوفا علي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ورواه الأرزاقي في أخبار مكة موقوفا علي عمر بن الخطاب 1/ 278. والبيهقي في الكبرىٰ 5/ 118 (9216)

[229] هو أنس بن عياض الليثي المدني أبو ضمرة [104 – 200هـ =722 – 815م] الإمام المحدث الصدوق المعمر وجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي 9/ 87: " وقال يونس بن عبد الأعلي. ما رأيت أحدا أحسن خلقا من أبي ضمرة – رحمه الله – ولا أسمح بعلمه منه " وكان أبو ضمرة محدث المدينة المنورة في عصره، انتهي إليه علو الإسناد. وحدث عنه أحمد بن حنبل آخرون.

الثقات لابن حيان 6/ 76 ورجال صحيح مسلم 1/ 67 وسير أعلام النبلاء 9/ 86 والوافي بالوفيات 9/ 237 والأعلام 2/ 24

[230] جاء في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 10/ 321 لأبي نعيم الأصبهاني: " اجتمع نفر علىٰ باب يفتحونه فلم ينفتح فقال لهم أبو حمزة: " تنحوا فأخذ الغلق بيده فحركه وقال: بكذا إلا فتحته فانفتح وكان يقول: اللهم إنك تعلم أني من أفقر خلقك إليك فإن كنت تعلم أن فقري إليك بمعنىٰ هو غيرك فلا تسد فقري، وكان يقول: إذا صاح المحب للدنيا فإنما ذاك شيطان يصيح في جوفه "

حيي بالحق، فيقول: أحينا ربنا بالسلام، قال ويحتمل أن يكون المعني: حينا بالسلام حتىٰ لا نشرك بك.

العاشر:

أن يصلح لسانه إذا دعا، ويحترز عما يعد إساءة في المخاطبات لوجوب تعظيم الله علي عبده في كل حال، وهو في حال السؤال أوجب، فإذا أراد غشيان النساء فلا يصرح، بل يقول: اللهم متعني بأعضائي وجوارحي، أو طاعة امرأته، فليقل اللهم أصلح زوجي[231].

وظاهر كلام الحليمىٰ أن تجنب اللحن من الشروط، فلا يدعو بالجزم مثلا، فيما الصواب فيه الرفع، لانقلاب المعني[232]، وهو ظاهر كلام الخطابي[233] فإنه قال: ومما

---

[231] عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول لله صل الله عليه وسلم: { لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا } أخرجه البخاري في صحيحة 9/ 119 (7396). ومسلم في صحيحة 2/ 1058 (1434) وأبو داود في سننه 2/ 249 (2161) والترمذي في سننه 3/ 393 (1092) وقال هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في الكبرىٰ 8/ 206 (8981). وابن ماجة في سننه 1/ 618 (1919)

[232] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي 2/ 237حيث قال ما نصه " وجاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: (أعربوا القرآن فاتبعوا غرائبه وفرائضه وحدوده) وقال عبد الله بن مسعود: أعربوا القرآن فإنه عربي، ومعنىٰ إعراب القرآن شيئان: أحدهما أن يحافظ علىٰ الحركات التي بها يتميز لسان العرب عن لسان العجم، لأن أكثر كلام العجم مبني علىٰ السكون وصلاً وقطعًا، ولا يتميز الفاعل من المفعول، والماضي من المستقبل باختلاف وحركات المقاطع. وإنما هذا اللسان للعرب خاصة، فنهىٰ الناس عن أن يقرأوا القرآن تاركين الإعراب، فيكونوا قد شبهوه من هذا الوجه بالأعجمية.

يجب أن يراعي في الأدعية: الإعراب الذي هو عماد الكلام، وبه يستقيم المعني، وربما انقلب المعني باللحن، وقد قال المازني[234] لبعض تلامذته: عليك بالنحو، فإن بني اسرائيل كفرت بحرف ثقيل خففوه، قال تعالي لعيسي بن مريم: (إني ولدَّتك) فقالوها بالتخفيف[235]، فكفروا وأنشد بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث .... لذاك إذا دعاه لا يجيب[236]

وعد صاحب التبصرة[237] من الآداب: أن يكون الدعاء صحيح اللفظ، لأنه يتضمن مواجهة الحق بالخطأ. قال: وقد جاء في الحديث: { لا يقبل الله دعاء ملحونا }[238]

والآخر: أن يحافظ علىٰ أعيان الحركات ولا يبدل شيء منها بغيره، لأن ذلك بما أوقع في اللحن أو غير المعنىٰ. وكان ابن عمر رضي الله عنه يضرب ولده علىٰ اللحن. وسمع عمر رضي الله عنه جماعة يقرأ بعضهم فقال: (اقرأوا ولا تلحنوا).

[233] شأن الدعاء للخطابي ص 19. وقد نقل المصنف كلام الخطابي بتصرف يسير

[234] هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عدي المازني [ت 249هـ =863م] إمام العربية صاحب التصانيف النافعة و الأسفار الماتعة، قال المبرد: لم يكن أحد بعد سيبوبه أعلم بالنحو من المازني، وكان نحويا يشبه الفقهاء، ترك مؤلفات نافعة منها: ما تلحن فيه العامة، والألف واللام، والتصريف، والعروض.

سير أعلام النبلاء للذهبي 12/ 270. والأعلام للزركلي 2/ 69

[235] شأن الدعاء 20

[236] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

[237] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب 2/ 514 لشمس الدين أبي العون السفاريني الحنبلي (ت 1188هـ) الناشر مؤسسة قرطبة. مصر 141هـ والاعتداء في الدعاء ص69

[238] حديث { لا يقبل الله دعاء ملحونا } قال العجلوني في كشف الخفاء 1/ 281: " والأظهر أن المراد باللحون الخطأ في الإعراب والبناء، وقيل: المراد به الدعاء بغير حق " وذهب إلي هذا

وقال ابن الصلاح في فتاويه: الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء، ويعذر فيه[239].

المعني أيضا علي بن سلطان الهروي في كتابه الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص125ا126. الناشر دار الأمانة مؤسسة الرسالة بيروت. تحقيق محمد الصباغ.

وقال علي بن سلطان في كتابه المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص62: " حديث { لا يقبل دعاء ملحونا } لا يعرف له أصل " الناشر مؤسسة الرسالة بيروت 1398هـ تحقيق عبد الفتاح أبو غده.

[239]) فتاوي ابن الصلاح 1/ 198: " إذا قال رجل إن الله لا يسمع دعاء ملحونا قيل وما الدعاء الملحون قال أن يدعو الإنسان بالجزم ويقول بالرفع قال الآخر بل هو أن يقول الإنسان يا رب قصر عمر فلان أو قتر رزق فلان أو خذه فهذا من جملة الدعاء الملحون

أجاب رضي الله عنه ليس ما ذكره الثاني من الدعاء الملحون نعم هو من الاعتداء في الدعاء الذي ورد النهي عنه اذا كان قصده بالدعاء علىٰ فلان غير صحيح فان كان صحيحا بأن كان في قصر عمره صلاح للمسلمين لظلمه أو نحو ذلك فليس اعتداء ثم إن الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غير الملحون لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه، والله أعلم ". فتاوي ابن الصلاح، الناشر مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب بيروت. الطبعة الأولي 1407هـ. تحيق د. موفق عبد الله عبد القادر وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي الكبرىٰ 2/ 423: " إذا

دعا دعاء ملحونا، فقال له رجل: ما يقبل الله دعاء ملحونا، وأما من دعا الله مخلصا له الدين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاه، سواء كان معربا أو ملحونا، والكلام المذكور لا أصل له، بل ينبغي للداعي إذا لم يكن عادته الإعراب أن لا يتكلف الإعراب، قال بعض السلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع، وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به، فإن أصل الدعاء من القلب، واللسان تابع للقلب، ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجه قلبه. ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعاء يفتح عليه، لا يحضره قبل ذلك، وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه، والدعاء يجوز بالعربية وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصد الداعي ومراده، وإن لم يقوم لسانه فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات علىٰ تنوع الحاجات."

الحادي عشر:

أن يدعو الله بأسمائه الحسني، ولا يدعوه بما لا يخلص ثناء، وإن كان حقا، قال تعالي: { ولله الأسماء الحسني فادعوه بها } (الأعراف 180) وفي الحديث { الظوا بيا ذا الجلال والإكرام }[240] ولا ينبغي أن يقال: يا خالق الحيات والعقارب، لأنها (ضارة)[241] مؤذية ،فالدعاء بها كالدعاء بقوله: يا ضار.

وجعل الخطابي من شروط الصحة: إخلاص النية، وإظهار الفقر والمسكنة، و التضرع، والخشوع، وأن يكون علي طهارة، مستقبل القبلة، وأن يقدم الثناء علي الله، والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم – أمام دعائه، وذكر غير هذا من الآداب كما سيأتي.

---

[240]) من حديث ربيعة بن عامر مرفوعا أخرجه أحمد في مسنده 29/ 138 (17596). والنسائي في الكبرىٰ 7/ 148 (7669) والحاكم في المستدرك 1/ 676 (1836) والروياني في مسنده 2/ 458 (1478) والطبراني في الكبير 5/ 64 (4594). والبيهقي في الدعوات الكبير 1/ 319 (227)

ومن حديث أنس بن المبارك رضي الله عنه مرفوعا أخرجه الترمذي في سننه 5/ 540 (3525). وقال: هذا حديث غريب وليس بمحفوظ، وقال الألباني: صحيح. وأخرجه أيضا أبو يعلي الموصلي في مسنده 6/ 445 (3833) والطبراني في الدعاء 1/ 47 (93)، (94)

ومن حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – مرفوعا أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 676 (1837)

ومعني قوله صل الله عليه وسلم: { أظوا بيا ذا الجلال والإكرام } أي: سلوا الله بهذه الكلمة، وواظبوا علي المسألة بها. لأن ذي الجلال والإكرام معناها: الذي لا شرف ولا كمال إلا هو له، ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي منه، فالجلال في ذاته، والإكرام منه فائض علي مخلوقاته. وقيل لأنه الأسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.

معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي 3/ 328. ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 4/ 1585 لعلي الملا الهروي.

[241] ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

وجعل غيره من الشروط أن يكون عالما بأن لا قادر علي حاجته إلا الله، وان الوسائط في قبضته، ومسخرة بتسخيره[242]

[242] تفسير القرطبي 2/ 311 وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الزهد والورع والعبادة 1/ 34: " والقلوب يستولي عليها ما يتمثل لها من المخاوف والمحبوبات والمكروهات فالمحبوب يطلبه والمكروه يدفعه والرجاء يتعلق بالمحبوب والخوف يتعلق بالمكروه ولا يأتي بالحسنات الا الله ولا يذهب السيئات الا الله وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فإليه تجئرون واذا دعا العبد ربه باعطاء المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الايمان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستنارته بنور الايمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب ان كان عرضا من الدنيا وأما إذا طلب منه أن يعينه علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته وما يتبع ذلك فهنا المطلوب قد يكون أنفع من الطلب وهو الدعاء والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة علىٰ أحسن الوجوه "

الفصل الخامس في آدابه

أحدها: تقديم التوبة أمامه، وقد يكون إجابة الله المصر علي ذنبه تعويضا عاجلا من مقامه[243]، ودعاء التائب عبادة، وحسنه، وأقل جزائها عشرة أمثالها، فإذا عجلت له الإجابة، كان ما ورائها مدخرا له، كذا جعله الحليمي[244] والغزالي[245] من الآداب.

قال الغزالي: وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة التوبة، ورد المظالم[246]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا: { في الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد

---

[243] في (ط) ثنائه

[244] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 523 للحليمي

[245] إحياء علوم الدين 1/ 307

[246] قال القرطبي في تفسيره 2/ 312: " وقيل: شرائطه أربع- أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلىٰ ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام. وقد قيل: إن من شرط الدعاء أن يكون سليما من اللحن، كما أنشد بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث... كذاك إذا دعاه لا يجيب

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس. قال علي رضي الله عنه لنوف البكالي: يا نوف، إن الله أوحىٰ إلىٰ داود أن مر بني إسرائيل ألا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لاحد منهم، ما دام لاحد من خلقي مظلمة. يا نوف، لا تكونن شاعرا ولا عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا عشارا «1»، فإن داود قام في ساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها، إلا

يديه إلي السماء، يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك }[247] وقال رسول الله صل الله عليه وسلم لسعد: { يا سعد أطب مطعمك، تستجب[248] دعوتك }[249]

وقيل: الدعاء مفتاح الحاجة، وأكل الحلال أسنانه.

وقد يؤخذ من هذا الحديث: أن هذا شرط لا أدب. وقال الطرطوشي: من آدابه: أكل الحلال، ولعله من شروطه، انتهي.

الثاني: أن يدعو وهو طاهر، لأنه عبادة، فكان كقراءة القرآن، والآذان، ذكره الحليمي[250].

وفي الصحيحين عن أبي موسي قال: قال لي أبو عامر: قل لرسول الله يستغفر لي، { فدعا رسول الله بماء فتوضأ، ورفع يديه[251] .... الحديث. وعن سعد بن أبي

أن يكون عريفا أو شرطيا أو جابيا أو عشارا، أو صاحب عرطبة، وهي الطنبور، أو صاحب كوبة، وهي الطبل.

[247] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مسلم في صحيحة 2/ 703 (1015) والترمذي في سننه 5/ 220 (2989). وأحمد في مسنده 14/ 89 (8348). والداري في سننه 3/ 1786 (2759) وقال حسين سليم أسد إسناده صحيح علي شرط مسلم.

[248] في (ط) يستجب

[249] حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه مرفوعا الطبراني في الأوسط 6/ 310 (6495)

[250] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 523

[251] حديث أبي موسي الأشعري – رضي الله عنه – أخرجه البخاري في صحيحة 5/ 155 (4323) ومسلم في صحيحة 4/ 1943 (2498) وابن حبان في صحيحة 16/ 171 (7198) والنسائي في الكبرىٰ 8/ 96 (8730)

وقاص { أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – توضأ حين دعا لأهل المدينة }[252]، رواه الواحدي[253] في كتاب الدعوات.

وهل يجوز رفع اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة ؟

قال الروياني[254] في البحر[255]، في باب إمامة المرأة: يحتمل أن يقال: يكره من غير حائل، ولا يكره مع الحائل، كتحريم لمس المصحف بيده النجسة، وهو علي طهارة، فيزول لكونها بحائل.

---

[252] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بِحَرَّةِ السُّقْيَا الَّتِي كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ائْتُونِي بِوَضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ وَدَعَا لأَهْلِ مَكَّةَ بِالبَرَكَةِ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ.

وهذا الحديث أخرجه الترمذي في سننه 5/ 718 (3914) وقال: هذا حديث حن صحيح، وفي الباب عن عائشة، وعبد الله بن زيد، وأبي هريرة، وابن خزيمة في صحيحة 1/ 105 (209) وابن حبان في صحيحة 9/ 61 (3746) وأحمد في مسنده 2/ 251 (936).

[253] هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري [ت 468هـ =1076م] الإمام العلامة صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل له مصنفات كثيرة منها: البسيط والوسيط والوجيز وكلها في التفسير، وله التحبير في الأسماء الحسني، شرح ديوان المتنبي، والدعوات، والمغازي، والإغراب في الإعراب.

سير أعلام النبلاء للذهبي 18/ 339 وما بعدها. والأعلام 4/ 255

[254] الروياني هو أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل [415 –502هـ =1025 –1108م]. فقيه شافعي من أهل رويان بنواحي طبرستان، له مؤلفات كثيرة منها: بحر المذهب وهو من اوسع كتب الشافعية، والكافي، وحلية المؤمن.

[255] بحر المذهب 2/ 296 للروياني. الناشر دار الكتب العلمية بيروت 2009م تحيق طارق فتحي السيد.

وإذا جاز هذا فيما طريقه التحريم، جاز أيضا فيما طريقه الكراهة، في الموضعين، لأن المقصود رفع اليد دون الحائل، والتعبد بهذا ورد، ويخالف مس المصحف لأن اليد (فيه)[256] في حرمة التعبد كالحائل، ولا يجئ القول فيما نحن فيه بالتحريم. انتهي

الثالث: أن يستقبل القبلة، وفي الصحيح أنه لما أتي الموقف بعرفة استقبل القبلة، ولم يزل يدعو حتي غربت الشمس[257].

الرابع: أن يقدم عليه صلاة، ذكره الحليمي أيضا[258]، واستدل بأنه –صلي الله عليه وسلم – فعل كذلك حين دعا لأمته بقباء[259]، وبقوله تعالي: { فإذا فرغت

---

[256] ما بين القوسين ساقط من (ط).

[257] حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – مرفوعا، أخرجه مسلم في صحيحة 2/ 886 (1218) وأبو داود في سننه 2/ 182 (1905) وابن ماجة في سننه 2/ 1022 (3074). وابن خزيمة في صحيحة 4/ 252 (2812). وابن حبان في صحيحة 9/ 253 (3944). والنسائي في الكبرى 4/ 157 (3992). وابن أبي شيبة في مصنفة 3/ 404 (15384)

[258] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 534

[259]) الأحاديث التي توضح دعاء النبي صل الله عليه وسلم لأمته كثيرة جدا، وجاء بعضها مصرحا بتقديم صلاة علي الدعاء ومن هذه الأحاديث ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 64 (29506) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ حَرَّةِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، اتَّبَعْتُ أَثَرَهُ حَتَّىٰ ظَهَرَ عَلَيْهَا، فَصَلَّىٰ الضُّحَىٰ ثَمَانِ= =رَكَعَاتٍ طَوَّلَ فِيهِنَّ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: «يَا حُذَيْفَةُ طَوَّلْتُ عَلَيْكَ»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ فِيهَا ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَىٰ أُمَّتِي غَيْرَهَا فَأَعْطَانِي، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِالسِّنِينَ فَأَعْطَانِي، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهَا بَيْنَهَا فَمَنَعَنِي " وأخرجه أحمد في مسنده 45/ 489 (27497) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: { من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صل ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا }

فانصب. وإلي ربك فارغب } (الشرح 7أ8) أي إذا فرغت من صلاة نفسك، فأجهد نفسك بالدعاء[260].

قلت: ولهذا شرع في دعاء الاستسقاء تقديم الصلاة، والصيام، والصدقة، وعن عبيد الله بن عمر أنه كان يعجبه: إذا أراد الرجل أن يدعو ربه أن يقدم صدقة، وذكر خبرا رواه الفريابي، ويتأكد ذلك أدبار الصلوات المكتوبات، لما سيأتي إن شاء الله.

الخامس: أن يرفع يديه عند الدعاء، وأخرج الترمذي من حديث سلمان مرفوعا: { إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما خائبتين }[261]. وفي المستدرك عن علي مرفوعا: {رفع الأيدي من الاستكانة }[262]، التي قال الله عز وجل: { فما استكانوا لربهم وما يتضرعون } (المؤمنون 76). وقد ذم الله قوما لا

---

[260])تفسير الطبري 24/ 496. وبحر العلوم للسمرقندىٰ 3/ 594 وقال الماوردىٰ في تفسيره 6/ 298: قوله تعالي: { {فإذا فَرَغتَ فانَصَبْ} فيه أربعة تأويلات: أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب من قيام الليل، قاله ابن مسعود. الثاني: فإذا فرغت من صلاتك فانصب في دعائك، قاله الضحاك.

الثالث: فإذا فرغت من جهادك عدوك فانصب لعبادة ربك، قاله الحسن وقتادة. الرابع: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد. ويحتمل تأويلاً خامسًا: فإذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدّوك. {وإلىٰ ربِّكَ فارْغَبْ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: فارغب إليه في دعائك قاله ابن مسعود. الثاني: في معونتك. الثالث: في إخلاص نيتك، قاله مجاهد. ويحتمل رابعًا: فارغب إليه في نصرك علىٰ أعدائك.

[261] حديث سلمان رضي الله عنه سبق تخريجه وهو عند أبي داود في سننه 2/ 78. والترمذي في سننه 5/ 556. وابن حبان في صحيحة 3/ 160

[262] أخرجه الحاكم في المستدرك 2/ 586 (3981) مرفوعا عن علي بن أبي طالب –رض الله عنه، وابن الأعرابي في معجمه 2/ 498 (967)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ 2/ 110 (2527)، ومعرفة السنن والآثار 14/ 19 (18913)

يبسطون أيديهم، فقال: {ويقبضون أيديهم } (التوبة 67). وجاء في التفسير: " لا يرفعونها إلينا في الدعاء "، وقال أبو الدرداء: ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال، رواه الفريابي. وأما ما ذكره السهيلي[263] في الروض[264] عن ابن عمر: أنه رأي قوما يرفعون أيديهم في الدعاء فقال: أو قد رفعوها، قطعها الله، والله لو كانوا بأعلي شاهق ما ازدادوا بذلك من الله قربا[265] فقال الحافظ شمس الدين الذهبي[266]: الصحيح عن ابن عمر خلاف هذا.

قال يحيي بن سعيد الأنصاري[267] عن القاسم[268]، قال: رأيت ابن عمر رافعا يديه إلي منكبيه يدعو عند المقام، وإسناده كالشمس. انتهي[269]

---

[263] هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي [508 -581هـ=1114- 1185م] عالم باللغة العربية والسير ضرير نسبته إلي سهيل من قري مالقة له مؤلفات قيمة منها: الروض الأنف في السيرة النبوية، تفسير سورة يوسف، نتائج الفكر.

[264] الروض الأنف 7/ 303 للسهيلي. الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت 1421هـ تحقيق عمر عبد السلام السلامي والأنف بضم الهمزة يوزن عنق أي الروض الذي لم يرع.

[265] أحكام القرآن 3/ 54 لابن الفرس الأندلسي (ت. 597هـ) الناشر دار ابن حزم بيروت 1427هـ تحقيق طه بو سريح وشرح صحيح البخاري لابن بطال 10/ 102

[266] هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي [673 -748هـ = 1274- 1348م] حافظ مؤرخ علامة محقق مولده ووفاته في دمشق وكف بصره سنة 741هـ تصانيف كبيرة كثيرة تقارب المائة منها: تاريخ الإسلام، دول الإسلام الغير في خير من غير، وسير أعلام النبلاء والكبائر والكاشف

[267] هو يحيي بن سعيد بن قيس الأنصاري [143هـ =760م] من علماء الحديث الثقات ولي قضاء المدينة في زمن بني أمية

[268] هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق [37 -107هـ = 657-725م] أحد الفقهاء السبعة في المدينة كان من الصالحين وكان أفضل أهل زمانه.

(269) قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري 10/ 101: قال الطبري:" اختلف الناس فى رفع اليدين فى الدعاء فى غير الصلاة، فكان بعضهم يختار إذا دعا الله تعالى فى حاجته أن يشيربأصبعه السبابة، ويقول ذلك الإخلاص ويكره رفع اليدين. ذكر من قال ذلك: روى شعبة وعبثر وخالد عن حصين، عن عمارة بن روبية: (أنه رأى بشر بن مروان رافعا يديه على المنبر، فسبه وقال: لقد رأيت رسول الله لا يزيد على هذا يعنى أن يشير بالسبابة). وروى سعيد عن قتادة قال: رأى ابن عمر قوما رفعوا أيديهم، فقال: من يتناول هؤلاء فوالله لو كانوا على رأس أطول جبل ما ازدادوا من الله قربا. وكرهه جبير بن مطعم، ورأى شريح رجلا رافعا يديه يدعو، فقال: من تتناول بها، لا أم لك. وقال مسروق لقوم رفعوا أيديهم: قد رفعوها قطعها الله. وكره ابن المسيب رفع الأيدى والصوت فى الدعاء، وكان قتادة يشير بأصبعيه ولا يرفع يديه، ورأى سعيد بن جبير رجلا يدعو رافعا يديه فقال: ليس فى ديننا تكفير. واعتلوا بحديث عمارة بن روبية المتقدم. وكان بعضهم يختار أن يبسط كفيه رافعهما، ثم يختلفون فى صفة رفعهما، حذو صدره بطونهما إلى وجهه، روى ذلك عن ابن عمر، وقال ابن عباس إذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعاء. وكان على بن أبى طالب يدعو بباطن كفيه، وعن أنس مثله، واحتجوا بما رواه صالح بن كيسان عن محمد بن كعب القرظى، عن ابن عباس، عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا سألتم الله تعالى فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم). وكان آخرون يختارون رفع أيديهم إلى وجوههم، روى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير، واعتلوا بما رواه حماد بن سلمة عن بشر بن حرب قال: سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: (وقف رسول الله بعرفة، فجعل يدعو، وجعل ظهر كفيه مما يلى وجهه ورفعهما فوق ثدييه وأسفل من منكبيه). كان آخرون يختارون رفع أيديهم حتى يحاذوا بها وجوههم وظهورها مما يلى وجوههم، وروى يحيى بن سعيد عن القاسم قال: رأيت ابن عمرو بن العاص يرفع يديه يدعو حتى يحاذى منكبيه ظاهرهما ليليانه. وعن ابن عباس قال: إذا أشار أحدكم بأصبع واحدة فهو الإخلاص، وإذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعاء، وإذا رفعهما حتى يجاوز بهما رأسه، وظاهرهما يلى وجهه فهو الابتهال. واحتجوا بحديث أبى موسى وابن عمر وأنس: (أن النبى (صلى الله عليه وسلم) كان يرفع يديه فى الدعاء حتى يرى بياض إبطيه). قال الطبرى: والصواب أن يقال إن كل هذه الآثار المروية عن النبى (صلى الله عليه وسلم) متفقة غير مختلفة المعانى، وللعمل بكل ذلك وجه صحيح، فأما الدعاء بالإشارة بالأصبع

الواحدة، فكما قال ابن عباس أنه الإخلاص، والدعاء بسط اليدين، والابتهال رفعهما، وقد حدثنا محمد بن خالد بن خراش قال: حدثنا مسلم عن عمر بن نبهان، عن قتادة، عن أنس قال: (رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو بظهر كفيه وبباطنهما). وجائز أن يكون ذلك كان من النبي لاختلاف أحوال الدعاء كما قال ابن عباس، وجائز أن يكون إعلاما منه بسعة الأمر في ذلك، وأن لهم فعل أي ذلك شاءوا في حال دعائهم، غير أن أحب الأمر في ذلك إلي أن يكون اختلاف هيئة الداعي على قدر اختلاف حاجته، وأما الاستعاذة والاستجارة، فأحب الهيئات إلي فيهما هيئة المبتهل؛ لأنها أشبه بهيئة المستخبر، وقد قال شهر بن حوشب: المسألة ببطن الكفين، والتعوذ مثل التكبير إذا افتتح الصلاة. أن أنس بن مالك حدثه: (أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا عند الاستسقاء، فأنه كان يرفعهما حتى يرى بياض إبطيه. قيل: قد روى ابن جريج، عن مقسم، عن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (لا ترفع الأيدي إلا في سبعة مواطن في بدء الصلاة، وإذا رأيت البيت، وعلى الصفا والمروة، وعشية عرفة، وبجمع، وعند الجمرتين). وهذا مخالف لحديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، وقد ثبت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) رفع الأيدي في الدعاء مطلقا من وجوه. منها: حديث أبي موسى وابن عمر وأنس من طرق أثبت من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس، وذلك أن سعيد بن أبي عروبة كان قد تغير عقله وحاله في آخر عمره، وقد خالفه شعبة في روايته عن قتادة، عن أنس فقال فيه: (كان رسول الله يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه). ولا شك أن شعبة أثبت من سعيد بن أبي عروبة. وحدثنا ابن المثنى قال: حدثنا ابن أبي عدي عن جعفر بن ميمون صاحب الأنماط عن أبي عثمان، عن سلمان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا). فإن قيل: قد روي عن عطاء وجابر وطاوس ومجاهد أنهم كرهوا رفع الأيدي في دبر الصلاة قائما. قيل: يمكن أن يكون ذلك إذا لم ينزل بالمسلمين نازلة يحتاجوا معها إلى الاستعانة إلى الله تعالى بالتضرع والاستكانة، فالقول كما قال عطاء وطاوس ومجاهد، وإن نزلت بهم نازلة احتاجوا معها إلى الاستعانة إلى الله بالتضرع والاستكانة لكشفها عنهم، فرفع الأيدي عند مالك حسن وجميل. انتهي=

= وقد أجاد ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري 11/ 142 في الجمع والتوفيق بين الروايات التي تثبت رفع اليدين في اليدين والتي تنفيها، فقال: "بأن المنفي صفة خاصة لا أصل

الرفع وقد أشرت إلىٰ ذلك في أبواب الاستسقاء وحاصله أن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة إلىٰ أن تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعاء إلىٰ حذو المنكبين ولا يعكر علىٰ ذلك أنه ثبت في كل منهما حتىٰ يرىٰ بياض إبطيه بل يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء قال المنذري وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح قلت ولا سيما مع كثرة الأحاديث الواردة في ذلك فإن فيه أحاديث كثيرة أفردها المنذري في جزء سرد منها النووي في الأذكار وفي شرح المهذب جملة وعقد لها البخاري أيضا في الأدب المفرد بابا ذكر فيه حديث أبي هريرة قدم الطفيل بن عمرو علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال إن دوسا عصت فادع الله عليها فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم اهد دوسا وهو في الصحيحين دون قوله ورفع يديه وحديث جابر أن الطفيل بن عمرو هاجر فذكر قصة الرجل الذي هاجر معه وفيه فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر ورفع يديه وسنده صحيح وأخرجه مسلم وحديث عائشة أنها رأت النبي صلىٰ الله عليه وسلم يدعو رافعا يديه يقول اللهم إنما أنا بشر الحديث وهو صحيح الإسناد ومن الأحاديث الصحيحة في ذلك ما أخرجه المصنف في جزء رفع اليدين رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان ولمسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة في قصة الكسوف فانتهيت إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهو رافع يديه يدعو وعنده في حديث عائشة في الكسوف أيضا ثم رفع يديه يدعو وفي حديثها عنده في دعائه لأهل البقيع فرفع يديه ثلاث مرات الحديث ومن حديث أبي هريرة الطويل في فتح مكة فرفع يديه وجعل يدعو وفي الصحيحين من حديث أبي حميد في قصة بن اللتيبة ثم رفع يديه حتىٰ رأيت عفرة إبطيه يقول اللهم هل بلغت ومن حديث عبد الله بن عمرو إن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ذكر قول إبراهيم وعيسىٰ فرفع يديه وقال اللهم أمتي وفي حديث عمر كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل الله عليه يوما ثم سرىٰ عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه ودعا الحديث أخرجه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم وفي حديث أسامة كنت ردف النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعرفات فرفع يديه يدعو فمالت به ناقته فسقط خطامها فتناوله بيده وهو رافع اليد الأخرىٰ أخرجه النسائي بسند جيد وفي حديث قيس بن سعد عند أبي داود ثم رفع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يديه وهو يقول اللهم صلواتك ورحمتك علىٰ آل سعد بن عبادة الحديث وسنده جيد والأحاديث في ذلك كثيرة وأما ما أخرجه

فإن قيل: إذا كان الحق سبحانه ليس في جهة[270]، فما معني رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء ؟

مسلم من حديث عمارة بن رويبة براء وموحدة مصغر أنه رأىٰ بشر بن مروان يرفع يديه فأنكر ذلك وقال لقد رأيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وما يزيد علىٰ هذا يشير بالسبابة فقد حكىٰ الطبري عن بعض السلف أنه أخذ بظاهره وقال السنة أن الداعي يشير بإصبع واحدة ورده بأنه إنما ورد في الخطيب حال الخطبة وهو ظاهر في سياق الحديث فلا معنىٰ للتمسك به في منع رفع اليدين في الدعاء مع ثبوت الأخبار بمشروعيتها وقد أخرج أبو داود والترمذي وحسنه وغيرهما من حديث سلمان رفعه إن ربكم حي كريم يستحىٰ من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا بكسر المهملة وسكون الفاء أي خالية وسنده جيد قال الطبري وكره رفع اليدين في الدعاء بن عمر وجبير بن مطعم ورأىٰ شريح رجلا يرفع يديه داعيا فقال من تتناول بهما لا أم لك وساق الطبري ذلك بأسانيده عنهم وذكر بن التين عن عبد الله بن عمر بن غانم أنه نقل عن مالك أن رفع اليدين في الدعاء ليس من أمر الفقهاء قال وقال في المدونة ويختص الرفع بالاستسقاء ويجعل بطونهما إلىٰ الأرض وأما ما نقله الطبري عن بن عمر فإنما أنكر رفعهما إلىٰ حذو المنكبين وقال ليجعلهما حذو صدره كذلك أسنده الطبري عنه أيضا وعن بن عباس أن هذه صفة الدعاء وأخرج أبو داود والحاكم عنه من وجه آخر قال المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة والابتهال أن تمد يديك جميعا وأخرج الطبري من وجه آخر عنه قال يرفع يديه حتىٰ يجاوز بهما رأسه وقد صح عن بن عمر خلاف ما تقدم أخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق القاسم بن محمد رأيت بن عمر يدعو عند القاص يرفع يديه حتىٰ يحاذي بهما منكبيه باطنهما مما يليه وظاهرهما مما يلي وجهه.

[270] أين الله ؟

الله سبحانه وتعالي { ليس كمثله شيء }(الشورىٰ 1) فلا يصح أن نسئل عنه بأين لأن أين يسئ لبها عن الحادث والله ليس حادث وأين نسأل بها عن المكان، والله سبحانه وتعالي لا يحويه مكان ويعتقد أهل السنة والجماعة: أن الله تبارك وتعالي مستو علي عرشه، وعرشه فوق سمائه، فالله تعالي فوق كل شيء، ومعني قوله تعالي { أأمنتم من في السماء } (الملك 16) أي علي السماء، كقوله تعالي { أفلم يسيروا في الأرض } (الحج 46) أي علي الأرض، وكقوله تعالي {

فالجواب من وجهين، ذكرهما الطرطوشي،

أحدهما: أنه محل تعبد، كاستقبال القبلة في الصلاة، وإلصاق الجبهة بالأرض في السجود، مع تنزهه سبحانه عن كل محل البيت، ومحل السجود، فكأن السماء قبلة الدعاء.

ثانيهما: أنه لما كانت مهبط الرزق، والوحي، وموضع الرحمة والبركة، علي معني أن المطر ينزل منها إلي الأرض، فيخرج نباتها، وهي مسكن الملأ الأعلي، وإذا قضي الله أمرا ألقاه إليهم، فيلقونه إلي أهل الأرض، وكذلك الأعمال ترفع إليها، وفيها غير واحد من الأنبياء، وفيها الجنة التي هي غاية الأماني، فلما كانت معدنا لهذه الأمور العظام، ومعرفة القضاء والقدر، انصرفت الهمم إليها، وتوفرت الدواعي عليها[271].

ولأصلبنكم في جذوع النخل } (طه 71) أي علي جذوع النخل. هذا إذا كان المراد بالسماء السماوات المعروفة أما إذا كان المراد بالسماء العلو، فلا إشكال واعتقاد أن الله تبارك وتعالي فوق جميع المخلوقات هو ما أجمع عليه سلف الأمة وخلفها وفي كتاب العلو للإمام الذهبي ص 139 " جاء رجل إلي الإمام مالك فقال: يا ابا عبد الله { الرحمن علي العرش استوي } كيف استوي ؟ قال = = فما رأيت مالكا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه.

[271] جاء في الاقتصاد في الاعتقاد ص 35 لحجة الإسلام الغزالي: " فإن قيل: فإن لم يكن مخصوصاً بجهة فوق، فما بال الوجوه والأيدي ترفع إلىٰ السماء في الأدعية شرعاً وطبعاً، وما باله صلىٰ الله عليه وسلم قال للجارية التي قصد إعتاقها فأراد أن يستيقن إيمانها أين الله فأشارت إلىٰ السماء فقال إنها مؤمنة؟ فالجواب عن الأول أن هذا يضاهي قول القائل: إن لم يكن الله تعالىٰ في الكعبة وهو بيته فما بالنا نحجه ونزوره، وما بالنا نستقبله في الصلاة؟ وإن لم يكن في الأرض، فما بالنا نتذلل بوضع وجوهنا علىٰ الأرض في السجود؟ وهذا هذيان. بل يقال: قصد الشرع من تعبد الخلق بالكعبة في الصلاة ملازمة الثبوت في جهة واحدة، فإن ذلك لا محالة أقرب إلىٰ الخشوع

وحضور القلب من التردد علىٰ الجهات، ثم لما كانت الجهات متساوية من حيث إمكان الاستقبال خصص الله بقعة مخصوصة بالتشريف والتعظيم وشرفها بالإضافة إلىٰ نفسه واستمال القلوب إليها بتشريفه ليثيب علىٰ استقبالها، فكذلك السماء قبلة الدعاء، كما أن البيت قبلة الصلاة، والمعبود بالصلاة والمقصود بالدعاء منزه عن الحلول في البيت والسماء ثم في الاشارة بالدعاء إلىٰ السماء سر لطيف يعز من يتنبه لأمثاله، وهو أن نجاة العبد وفوزه في الآخرة، بأن يتواضع لله تعالىٰ ويعتقد التعظيم لربه، والتواضع والتعظيم عمل القلب، وآلته العقل. والجوارح إنما استعملت لتطهير القلب وتزكيته، فإن القلب خلق خلقه يتأثر بالمواظبة علىٰ أعمال الجوارح، كما خلقت الجوارح متأثرة لمعتقدات القلوب، ولما كان المقصود أن يتواضع في نفسه بعقله وقلبه، بأن يعرف قدره ليعرف بخسة رتبته في الوجود لجلال الله تعالىٰ وعلوه، وكان من أعظم الأدلة علىٰ خسته الموجبة لتواضعه أنه مخلوق من تراب، كلف أن يضع علىٰ التراب، الذي هو أذل الأشياء، وجهه الذي هو أعز الأعضاء، ليستشعر قلبه التواضع بفعل الجبهة في مماستها الأرض، فيكون البدن متواضعاً في جسمه وشخصه وصورته بالوجه الممكن فيه وهو معانقة التراب الوضيع الخسيس ويكون العقل متواضعاً لربه بما يليق به، وهو معرفة الضعة وسقوط الرتبة وخسة المنزلة عند الالتفات إلىٰ ما خلق منه.

فكذلك التعظيم لله تعالىٰ وضيعة علىٰ القلب فيها نجاته، وذلك أيضاً ينبغي أن تشترك فيه الجوارح، وبالقدر الذي يمكنه أن تحمل الجوارح، وتعظيم القلب بالإشارة إلىٰ علو الرتبة علىٰ طريق المعرفة والاعتقاد وتعظيم الجوارح بالإشارة إلىٰ جهة العلو الذي هو أعلىٰ الجهات وأرفعها في الاعتقادات؛ فإن غاية تعظيم الجارحة استعمالها في الجهات، حتىٰ أن من المعتاد المفهوم في المحاورات أن يفصح الإنسان عن علو رتبة غيره وعظيم ولايته فيقول: أمره في السماء السابعة، وهو إنما ينبه علىٰ علو الرتبة ولكن يستعير له علو المكان، وقد يشير برأسه إلىٰ السماء في تعظيم من يريد تعظيم أمره، أي أمره في السماء، أي في العلو وتكون السماء عبارة عن العلو، فانظر كيف تلطف الشرع بقلوب الخلق وجوارحهم في سياقهم إلىٰ تعظيم الله وكيف جهل من قلت بصيرته ولم يلتفت إلا إلىٰ ظواهر الجوارح والأجسام وغفل عن أسرار القلوب واستغنائها في التعظيم عن تقدير الجهات، وظن أن الأصل ما يشار إليه بالجوارح ولم يعرف أن المظنة الأولىٰ لتعظيم القلب وأن تعظيمه باعتقاد علو الرتبة لا باعتقاد علو المكان، وأن الجوارح في ذلك خدم وأتباع يخدمون

قال: وقد أجاب القاضي ابن قريعة[272] لما صلي ذات ليلة في دار الوزير المهلبي [273]، وأبو إسحاق الصابئ[274] يرمقه[275]، فأحس به القاضي، فلما سلم قال له: مالك ترمقني [276] يا أخا الصابئة ؟ أجبت إلي الشريعة الصافية ؟ قال: بل أخذت عليك شيئا، قال: ماهو ؟ قال: رأيتك ترفع يديك نحو السماء، وتخفض بجبهتك، علي الأرض فمطلوبك أين هو ؟

فقال: إننا نرفع أيدينا، إلي مطالع أرزاقنا، ونخفض جباهنا علي مصارع أجسادنا، نستدعي بالأول أرزاقنا، ونستدفع بالثاني سوء مصارعنا، ألم نسمع قول الله سبحانه:

القلب علىٰ الموافقة في التعظيم بقدر الممكن فيها، ولا يمكن في الجوارح إلا الإشارة إلىٰ الجهات، فهذا هو السر في رفع الوجوه إلىٰ السماء عند قصد التعظيم.

[272] هو أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة البغدادي [302 -367هـ = 914-978م]، ولي قضاء السندية، وغيرها من أعمال بغداد، كان مرحا خفيف الروح، أديبا فاضلا سريع الجواب، واشتهر بسرعة البديهة في الجواب عن جميع ما يسأل عنه.

تاريخ بغداد 3/ 119. وفيات الأعيان 4/ 382. الوافي بالوفيات 3/ 188

[273] هو الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي [291-352هـ = 903-963م] من كبار الوزراء، الأدباء الشعراء كان وزير لمعز الدولة بن بويه وللخليفة المطيع العباسي ولقب بذي الوزارتين ولد بالبصرة ودفن ببغداد.

وفيات الأعيان 2/ 124 فوات الوفيات 1/ 353. والوافي بالوفيات 12/ 139، والأعلام 2/ 213.

[274] أبو إسحاق الصابي [313-384هـ = 925-994م] هو إبراهيم بن هلال الحرانىٰ الصابئ، كاتب مترسل بليغ، وشاعر مجيد، وعالم بالهندسة، في سنة ولادته اختلاف، تولي كتابة الإنشاء لعز الدولة بن بويه وكان نابغة كتاب جيلة، يحفظ القرآن، ويستعمله في رسائله، ويصوم رمضان مع المسلمين عرضوا عليه الإسلام فأبي. الأعلام 6/ 7أ8. وسير أعلام النبلاء 16/ 523. ويتيمة الدهر 2/ 287. ومعجم الأدباء / 131

[275] في (ط) يرهقه

[276] في (ط) ترهقني

{ وفي السماء رزقكم وما توعدون } (الذاريات 22) وقال: { منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري } (طه 55).فقال المهلبي: ما أظن أن الله خلق في عصرك مثلك، انتهي.

ثم اختلفوا في كيفية الرفع: فقال الحليمي[277]: يرفعهما حتي يحاذي بهما المنكبين، وغاية رفعهما حذو المنكبين، وقال الغزالي[278] في الإحياء: حتىٰ يري بياض إبطيه[279]، وأورد فيه حديثا، وكذا (قال)[280] الطرطوشي، قال: رواه البخاري.

وأخرج أبو داود عن ابن عباس، قال – صل الله عليه وسلم –: { المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك، أو نحوها، والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة، والابتهال أن تمد يديك جميعا }[281]

---

[277] قال الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان 1/ 534: " وغاية رفع اليدين أن يحاذي بهما المنكبين، لما يروىٰ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: "الدعاء هكذا، ورفع يديه حذو منكبيه، وجهل ظهورهما مما يلي السماء، والابتهال هكذا، ورفع يديه إلىٰ السماء مدا. والإخلاص هكذا، ورفع إصبعه التي تلي الإبهام من اليد اليمنىٰ ليشير بها" والابتهال أشد الدعاء فكذلك تمد اليدان به نحو السماء.

وروي أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كان إذا أصابته شدة رفع يديه في الدعاء حتىٰ يرىٰ بياض إبطيه، وهذا– والله أعلم– علىٰ أن الداعي يمد يديه أشد ما يقدر عليه رفعا لهما نحو السماء.

[278] إحياء علوم الدين 1/ 305

[279] حديث أنس – رضي الله عنه – { كان النبي صلي الله عليه وسلم يرفع يديه في دعائه حتىٰ يري بياض إبطيه } أخرجه البخاري في صحيحة 2/ 82 (1031). ومسلم في صحيحة 2/ 612 (895)، وابن خزيمة في صحيحة 2/ 333 (1411)، وابن حبان في صححية 7/ 113 (2863).

[280] ما بين القوسين سقط من (ط)

[281] أخرجه أبو داود مرفوعا في سننه 2/ 79 (1489) وقال الألباني:صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما

وأخرج مسلم أنه صلي الله عليه وسلم { كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء[282] إلا (في)[283]الاستسقاء حتىٰ يري بياض إبطيه }[284] قال القاضي عياض[285]: وهذا يدل علي رفعهما فوق الصدر، وحذو الأذنين، لأن رفعهما مع الصدر لا يكشف بياض الإبط. ومن الآداب أن يجعل بطرف الكف إلي الوجه، وظهورهما إلي الأرض، ففي المستدرك عن ابن عباس مرفوعا: { إذا سألتم الله، فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألونه بظهورهما، وامسحوا بهما وجوهكم }[286].

ويستثني من ذلك ما يشتد فيه الأمر، ففي صحيح مسلم { أنه صلي الله عليه وسلم لما استسقي فأشار بظهر كفيه إلي السماء }[287] وهو المراد بالرهب في قوله تعالي { ويدعوننا رغبا ورهبا} (الأنبياء 90) قالوا: الرغب بسط الأيدي وظهورهما إلي الأرض، والرهب بسطها وظهورها إلي السماء، واستحب الخطابي[288] كشفهما، غير ساترها بثوب أو غطاء. قال: وتكره الإشارة فيه بإصبعين، وإنما يشير بالسبابة من

---

[282] في (ش) الدعائه

[283] ما بين القوسين ساقط من (ط)

[284] مسلم في صحيحة 2/ 612 (895) عن أنس مرفوعا

[285] إكمال المعلم بفوائد مسلم 3/ 317 للقاضي عياض (ت. 544هـ) الناشر دار الوفاء مصر. تحقيق د. يحيي إسماعيل

[286] أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا. في المستدرك علي الصحيحين 1/ 719 (1968)

[287] أخرجه مسلم عن أنس مرفوعا في صحيحة 2/ 612 (895)

[288] شأن الدعاء للخطابي ص 14

يده اليمني فقط، وقد رأي رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا يشير بإصبعين، فقال له: أحد، أحد[289]

قال الغزالي[290]: ولا يرفع بصره إلي السماء، للحديث.

تنبيه[291]: لا يستثني من استحباب رفع اليدين في الدعاء إلا مسألة واحدة، وهي الدعاء في الخطبة علي المنبر، فإنه يكره للخطيب رفع اليدين فيه، ذكره البيهقي[292] في باب صلاة الجمعة، واحتج بحديث في صحيح مسلم صريح في ذلك[293]

---

[289]) الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صل الله عليه وسلم رأي رجلا يدعو وهو يشير بإصبعيه، فأخذ بإحدي يديه وقال: { أحد أحد }

أخرجه النسائي في سننه 3/ 38 (1272). والترمذي في سننه 5/ 557 (3557). وقال الترمذي: " هذا حديث حسن غريب، ومعني هذا الحديث: إذا أشار الرجل بإصبعيه في الدعاء عند الشهادة، لا يشير إلا بإصبع واحده ". وأحمد في مسنده 15/ 258 (9439) والحاكم في المستدرك 1/ 718 (1965) وقال: " قد رويت هذه السنة عن سعد بن أبي وقاص " وهكذا رواه ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 87 (29682)

[290] قال حجة الإسلام الغزالي في كتابه الرائع المانع إحياء علوم الدين 1/ 305 " ولا يرفع بصره إلي السماء، قال صل الله عليه وسلم: { لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلي السماء أو لتخطفن أبصارهم } انتهي

والحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا في صحيحة 1/ 321 (429). والنسائي في سننه 3/ 39 (1276) وقال الألباني: صحيح وأحمد في مسنده 14/ 133 (8404). والبيهقي في السنن الكبرئ 2/ 401 (3537)

[291] في (ط) قلت

[292] روي البيهقي في السنن الكبرئ 3/ 298 (5776) عن سهل بن سعد قال: { ما رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم شاهرا يديه قط يدعو علي منبره، ولا علي غيره، ولكن رأيته يقول: هكذا، وأشار بالسبابة وعقد الوسطي والإبهام } وقال البيهقي: والقصد من الحديث إثبات الدعاء في

السادس: الاستفتاح بالحمد لله رب العالمين، ونحوه من الثناء علي الله تعالي، كما في الفاتحة، وكما قال تعالي حاكيا عن يونس: { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } (الأنبياء 87) وعن إبراهيم عليه السلام { ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن } إلي { يوم يقوم الحساب } (إبراهيم من 38 إلي 41) { الذي خلقني فهو يهدين } إلي { يوم يبعثون } (الشعراء من 78 إلي 87) وعن شعيب: { وسع ربنا كل شيء علما علي الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قوما بالحق وأنت خير الفاتحين } (الأعراف 89) وعن موسي: { رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين } (الأعراف 151) وعن يوسف: { رب قد آتيتني من الملك .... الآية (يوسف 101) وعن الملائكة: { ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا } (غافر 7)

الخطبة، ثم فيه من السنة أن لا يرفع يديه حال الدعاء في الخطبة، ويقتصر علي أن يشير بإصبعيه. وثابت عن أنس بن مالك أنه مد يديه ودعا وذلك حين استسقي في خطبة الجمعة.

(293) روي مسلم في صحيحة 2/ 595 (874) عن حصين بن عبد الرحمن السلمي قال: كنت إلي جانب عمارة بن رويبة وبشر يخطبنا، فلما دعا رفع يديه، فقال عمارة: { قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت. رسول الله = = = صلي الله عليه وسلم ما يزيد علي أن يقول بيده هكذا ورفع السبابة وحدها }. وأخرجه أيضا النسائي في سننه 3/ 108 (1412). وأبو داود في سننه 1/ 289 (1104) وقال الألباني: صحيح. والترمذي في سننه 2/ 391 (515)، وقال هذا حديث حسن صحيح. وابن خزيمة في صحيحة 2/ 352 (1451) وابن حبان في صحيحة 3/ 164 (882). والدرامي في سننه 2/ 975 (1601) وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح. وأبو داود الطيالسي في مسنده 2/ 599 (1365) وابن أبي شيبة في مصنفة 1/ 451(5209)

وفي السنن عن أبي هريرة مرفوعا: { كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم }[294] وأخرج الترمذي عن سلمة بن الأكوع قال: { ما سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يستفتح دعاء، إلا استفتحه بسبحان ربي العلي الأعلي الوهاب }[295]، وأخرج أبو داود عن فضاله قال: { سمع النبي – صلي الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته، لم يمجد الله، ولم يصل علي النبي صل الله عليه وسلم فقال: عجل هذا ثم دعاه، فقال: إذا صلي أحدكم فليبدأ بتمجيد الله، والثناء عليه، ثم يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم، ثم يدعو بما شاء }[296] ورواه النسائي، وزاد:{فسمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم – رجلا يصلىٰ، فمجد الله، وحمده و وصلىٰ علىٰ النبي –صلىٰ

---

[294] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 4/ 261 (4840). وابن ماجة في سننه 1/ 610 (1894). وأحمد في مسنده 14/ 329 (8712). وابن حبان في صحيحة 1/ 174 (2) والدارقطني سننه 1/ 427 (883). وقال الدارقطني: " تفرد به قرة عن الزهرىٰ عن النبي صل الله عليه وسلم. وقرة ليس بقوي في الحديث. ورواه صدقة عن محمد بن سعيد عن الزهري عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن النبي صل الله عليه وسلم، ولا يصح الحديث، وصدقة، ومحمد بن سعيد ضعيفان. والمرسل هو الصواب. وانتهي.

[295] حديث سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أحمد في مسنده 27/ 81 (16548) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 45 (29349) والحاكم في المستدرك 1/ 676 (1835). وقال " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " والطبراني في الكبير 7/ 20 (6253) والبيهقي في الأسماء والصفات 1/ 51 (23) وابن الأعرابي في معجمه 1/ 247 (457). والآجرىٰ في الشريعة 3/ 1096 (670). ولم أجد هذا الحديث في سنن الترمذي.

[296] حديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 2/ 77 (1481) والترمذي في سننه 5/ 517 (3477). وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحة 5/ 290 (1960) وابن خزيمة في صحيحة 1/ 351 (710) وقال الأعظمي إسناده صحيح. والحاكم في المستدرك 1/ 354 (840) وقال هذا حديث صحيح علي شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

الله عليه وسلم – فقال: ادع تجب }[297].وعن أنس جاءت أم سليم، فقالت: يا رسول الله علمني كلمات أدعوا بهن، فقال: { تسبحين عشرا، وتكبرين عشرا، ثم تسألي حاجتك، فإنه يقول: قد فعلت }[298] رواه صاحب التبصرة.

وأخرج الترمذي عن معاذ قال: { سمع النبي صلي الله عليه وسلم رجلا يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: ادع فقد استجيب لك، فسل }[299]. وفي المستدرك عن أبي أمامه قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم: إن لله ملكا موكلا بمن يقول: { يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثا، قال له الملك الموكل: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك، فسل }[300] والمعني فيه أن يذكر الله بالثناء والتعظيم كالإكسير[301] العظيم

---

[297] أخرجه النسائي في الصغرىٰ 3/ 44 (1284) وقال الألباني صحيح وفي الكبرىٰ 2/ 71 (1208) والطبراني في الدعاء 1/ 46 (89)

[298] حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا النسائي في السنن الصغرىٰ (المجتبىٰ) 3/ 51 (1299). والترمذي في سننه 2/ 347(481) وقال: " وفي الباب عن ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، والفضل بن عباس، وأبي رافع. " حديث أنس حديث حسن غريب " وأخرجه أيضا ابن خزيمة في صحيحة 2/ 31 (850). وابن حبان في صحيحة 5/ 353 (2011). والحاكم في المستدرك 1/ 385 (937). وقال: " هذا حديث صحيح علي شرط مسلم، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي علي تصحيحه. وأحمد في مسنده 19/ 240 (12207). والبيهقي في شعب الإيمان 4/ 464 (2818).

[299])حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 541 (3527). وقال: هذا حديث حسن. وأحمد في مسنده 36/ 379 (22056). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 46 (29356) والبخاري في الأدب المفرد 1/ 253 (725). والطبراني ي الكبير 20/ 55 (97). والبيهقي في الدعوات الكبير 1/ 372 (287)

[300] حديث أبي أمامه الباهلي – رضي الله عنه– أخرجه الحاكم في المستدرك علي الصحيحين 1/ 728 (1996). وله شاهد من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 728 (1995)

للنفس في تصنيفها وإشراقها، حتىٰ يكون المطلوب أقرب إليها، فلهذا قدم الثناء علي الدعاء.

السابع: أن يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم بعد ذلك لما سبق. وقد أخرج الترمذي من حديث النضر بن شميل[302] عن أبي قرة الأسدي[303] عن سعد بن

---

[301] الإكسير: للعلماء كلام كثير في معني الإكسير وهل هي عربية الأصل، أم معربه ؟ والراجح أنها عربية الأصل، وعرفوا الإكسير: مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلي معدن نفيس وجاء في دائرة المعارف الإسلامية نقلا عن روجر بيكون: " الإكسير وسيلة لإطالة الحياة، وذلك لأنه لما كان الإكسير يرفع العادن الخسيسة إلي الكمال، ويبرئها كما فيها من نقص، فإنه يستطيع إزالة علل البدن وإطالة الحياة ". وإكسير السعادة أو كيمياء السعادة هي تهذيب النفس باجتناب الرذائل، وتزكيتها عنها، واكتساب الفضائل وتحليتها بها.

وكيمياء العوام أو إكسير العوام: استبدال المتاع الأخروي الباقي بالحطام الدنيوي الفاني. وكيمياء الخواص أو إكسير الخواص: تخليص القلب عن الكون باستكثار المكون. مفاتيح العلوم 1/ 284. لمحمد بن أحمد الخوارزمي (ت. 387هـ) الناشر دار الكتاب العربي الطبعة الثانية تحقيق إبراهيم الإبياري وتاج العروس 33/ 386 للزبيدىٰ (ت. 1205هـ) الناشر دار الهداية وتكملة العاجم العربية 9/ 181 لرينهارت دوزي (ت. 1300هـ) الناشر وزارة الثقافة العراقية 1979م ترجمة محمد سليم النعيمي. والمعجم الوسيط 1/ 33 مجمع اللغة العربية بالقاهرة. والتعريفات الفقهية 1/ 186 لمحمد عميم الإحسان المجددىٰ. الناشر دار الكتب العلمية. الطبعة الأولي 1424هـ. والجاسوس علي القاموس 1/ 302 أحمد فارس الشدياق مطبعة الجوانب القسطنطينية 1299هـ

[302] النضر بن شميل [122-203هـ =740-819م] هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ولد بمرو وولي قضاءها ومات بها له كتب منها: السلاح والمعاني وغريب الحديث.

الأعلام 8/ 33 وسير أعلام النبلاء 9/ 328. والثقات لا بن حبان 9/ 212

المسيب عن عمر –رضي الله عنه – قال: { إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض. لا يصعد منه شيء حتىٰ تصلي علي نبيك – صلي الله عليه وسلم }[304] وأخرجه الحسن بن عرفه[305] في جزئه المشهور مرفوعا، فقال: حدثنا الوليد بن بكير[306]: عن سلام الجرار، عن أبي إسحاق السبيعىٰ[307]، عن الحسن، عن علي – رضي الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم. قال: { ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب، حتىٰ يصلي علي محمد – صلي الله عليه وسلم، فإذا صلي الله عليه وسلم – انخرق الحجاب، واستجيب الدعاء، وإذا لم يصل علي النبي – صلي الله عليه وسلم – لم يستجب الدعاء }[308] والأكمل في ذلك ما علمه النبي –صلي الله عليه وسلم

---

[303] أبو قرة الاسدي قال عنه ابن حجر في لسان الميزان 7/ 479: " من أهل البادية مجهول " وكذا في تقريب التهذيب 1/ 666. وكذا قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال 4/ 564

[304] حديث الفاروق عمر – رضي الله عنه – أخرجه موقوفا الترمذي في سننه 2/ 356 (486) وقال الألباني: حديث حسن. وأخرجه البغوي في شرح السنة 3/ 187 موقوفا. وفي مسند الفاروق للحافظ ابن كثير 1/ 176.

[305] الحسن بن عرفة [150–257هـ = 767–871م] هو الحسن بن عرفة بن يزيد العبدىٰ البغدادي المعمر مسند الوقت من المحدثين الثقات. الوافي بالوفيات 2/ 64. سير أعلام النبلاء 11/ 547

[306] الوليد بن بكير قال عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب 11/ 132 ذكره ابن حبان في الثقات وقال الدار قطني متروك الحديث

[307] أبو إسحاق السبيعي [33–127هـ = 653–745م] هو عمرو بن عبد الله من بني ذي يحمد ابن السبيع " الهمذاني الكوفي أبو إسحاق من أعلام التابعين الثقات كان شيخ الكوفة في عصره. الأعلام 5/ 81. والثقات لابن حبان 5/ 177 وتاريخ الإسلام 3/ 473

[308] حديث علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – أخرجه الديلمي موقوفا في مسند الفردوس 4/ 47(6148) وأسمه الفردوس بمأتور الخطاب لأبي شجاع الديلمي الهمذاني (ت. 509هـ) الناشر دار الكتب العلمية بيروت 1406هـ تحقيق السعيد بسيوني زغلول وأورده المنفي الهندي في كنز العمال 2/ 88 (3270) وعزاه إلي الديلمي موقوفا علي علي. وذكره ابن القيم في كتابه جلاء

لأصحابه في حديث التشهد[309]، وقيل: بل اللهم صل علي محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون[310].

وروي ابن ماجة في سننه من حديث المسعودي، عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود قال: (إذا صليتم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قالوا.)

الأفهام ص 42 عن علي مرفوعا، وقال: ولكن للحديث ثلاث علل، ثم قال في ص 134 والصواب وقفه علي علي رضي الله عنه

[309] عن أبي حميد الساعدىٰ أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك ؟ قال: { قولوا: اللهم صل علي محمد وأزواجه وذريته، كما صليت علي آل إبراهيم، وبارك علي محمد وأزواجه وذريته، كما باركت علي آل إبراهيم إنك حميد مجيد } رواه البخاري في صحيحة 4/ 46 (3369) ومسلم في صحيحة 1/ 306 (407). ورواه مالك في الموطأ وأحمد في مسنده وأصحاب السنن وغيرهم.

[310] قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني: " قوله: كلما ذكره الذاكرون، وكلما غفل عن ذكره الغافلون " وكأنه استنبط ذلك من الحديث الصحيح الذي فيه { سبحان الله عدد خلقه } فقد ثبت أنه صل الله عليه وسلم قال لأم المؤمنين، ورآها قد أكثرت التسبيح أطالته، { لقد قلت بعدك كلمات لو وزنت بما قلت لوزنتهن } فذكر ذلك، وكان صلي الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء 000000 وقد ذكر الشافعية أن رجلا لو حلف ليصلين علي النبي صل الله عليه وسلم أفضل صلاة، فطريق البر أن يصلي علي النبي صل الله عليه وسلم: " اللهم صل علي محمد كلما ذكره الذاكرون، وسها عن ذكره الغافلون " وقال النووي: والصواب أن الذي ينبغي الجزم به أن يقال: " اللهم صل علي محمد، وعلي آل محمد، كما صليت علي آل إبراهيم 000 الحديث. وقد تعقبه جماعة من المتأخرين، بأنه ليس في الكيفيتين المذكورتين ما يدل علي ثبوت الأفضلية فيها من حيث النقل، وأما من حيث المعني فالأفضلية ظاهرة في الأول "

ذخيرة العقبي في شرح المجتبي 15/ 198 وصنفه صلاة النبي للألباني ص172

فعلمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك، وبركاتك علي سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل علي محمد، وعلي آل محمد كما صليت علي إبراهيم، وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك علي محمد، وعلي آل محمد كما باركت عل إبراهيم آل إبراهيم، إنك حميد مجيد }[311].

واعلم أن الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم كما تحصل المقصود من الدعاء، تتضمن ثوابا عظيما، فقد روي أحمد، والنسائي، وابن حبان ع أبي طلحة الأنصاري، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { أتاني آت من رب عز وجل فقال: من صل عليك من أمتك صلاة، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات مثلها }[312]

---

[311] حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – أخرجه موقوفا ابن ماجة في سننه 1/ 293(906) وأبو يعلي الموصلي في مسنده 9/ 175 (5267). والطبراني في الكبير 9/ 115(8594) و(8595). والبيهقي في الدعوات الكبير 1/ 258(177) والبيهقي أيضا في شعب الإيمان 3/ 122(1453). وعبد الرزاق في مصنفة 2/ 214(3112) وإسماعيل بن إسحاق الجهضي (ت. 282هـ) في فضل الصلاة علي النبي صل الله عليه وسلم 1/ 59(61). الناشر الكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الثالثة 1397 هـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

[312] حديث أبي طلحة الأنصاري – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا النسائي في سننه 3/ 50(1295)، وأحمد في مسنده 26/ 280(16361) وابن حبان في صحيحة 3/ 196(915) والداري في سننه 3/ 1825(2815) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 326(31788). وعبد الرزاق في مصنفة 2/ 214(3113) وأبو يعلي الموصلي في مسنده 3/ 15(1425) والطبراني في الصغير 1/ 347(579) والحاكم في المستهلك 2/ 456(3575) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح.

وروي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { من صلي علي واحدة صلي الله عليه عشرا }[313]. ومنها: أنها توجب الشفاعة، فأخرج الطبراني[314] في معجمه الكبير عن رويفع بن ثابت الأنصاري[315] قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { من قال اللهم صل علي محمد، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي }[316]

---

[313] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – { من صلي علي وحدة صلي الله عليه عشرا } أخرجه مسلم في صحيحة 1/ 306(408) وأبو داود في سننه 2/ 88(1530) وقال الألباني: صحيح. والترمذي في سننه / 355(485) وقال الترمذي: " وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن ربيعة، وعمار، وأبي طلحة، وأنس، وأبي بن كعب، وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وروي عن سفيان الثوري، وغير واحد من أهل العلم، قالوا: " صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار "

[314] الطبراني [260–360هـ =873–971م] هو أبو القاسم سليمان بن أحمد أيوب مطير اللخمي الشامي محدث مشهور ثقة حافظ معمر له تصانيف جليلة القدر كبيرة الأثر منها: المعاجم الثلاث الكبير والأوسط والصغير والدعاء والمناسك ومسند الشايين ومكارم الأخلاق

[315] هو رويفع بن ثابت بن السكن البخاري الأنصاري المدني نزل مصر وولاه معاوية علي طرابلس الغرب سنة 46هـ وغزا إفريقية وتوفي ببرقة وهو أمير عليها سنة [56هـ = 676م] سير أعلام النبلاء 3/ 36 وتهذيب الأسماء واللغات 1/ 192

[316] حديث رويفع بن ثابت الأنصاري – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أحمد في مسنده 28/ 201(16991)والطبراني في الكبير 5/ 25(4480). والبزار في مسنده 6/ 299(2315) وقال: هذا الحديث لا نعلم أحدا يرويه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا رويفع بن ثابت وحده والسنة لابن أبي عاصم 2/ 395(827) والشريعة للآجري 4/ 1616(1106).

وأخرج أيضا حديث أبي الدرداء قال: { قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من صلي علي حين يصبح عشرا، وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة }[317]

ومنها أنها توجب الجنة، روي ابن الغازي من حديث الحكم بن عطيه[318] عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: {من صلي علي في يوم ألف مرة، لم يمت حتىٰ يري مقعده في الجنة }[319]

قال الحافظ ضياء الدين المقدسي[320] في كتاب الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم: لا أعرفه إلا من حديث الحكم، وقال الدار قطني: حديث غير ثابت، أحاديثه

---

[317] حديث أبي الدرداء – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا ابن أبي عاصم في كتابه الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم 1/ 48(61). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد 10/ 120(17022) وقال: رواه الطبراني بإسناد إحدهما جيد، ورجاله وثقوا. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب 1/ 458(29) وقال: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد.

[318] هو الحكم بن عطية العيشي البصري من رواة الحديث وثقه يحيي بن معين وضعفه النسائي الكامل في ضعفاء الرجال 2/ 484 لأبي أحمد بن عدي لجرجاني (ت. 365هـ) الناشر دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ=1997م. والجرح والتعديل لابن أبي حاتم 3/ 125

[319] حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه أخرجه مرفوعا أبو حفص بن شاهين (ت. 385هـ) في كتابه الترغيب في فضائل الأعمال 1/ 14 (19) الناشر دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولي 1424هـ تحقيق محمد حسن اسماعيل. وأخرجه أيضا ابن سمعون الواعظ (ت. 387هـ) في أما ليه 1/ 118 (56) الناشر دار الثائر الإسلامية بيروت 1423هـ تحقيق د. عامر صبري. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب 2/ 328. وقال: رواه أبو حفص بن شاهين. وأورده ابن القيم في كتابه السيوطي في جمع الجوامع 9/ 477 (6337/ 22133) وقال السيوطي رواه أبو الشيخ عن أنس.

[320] ضياء الدين المقدسي [569-642هـ =1174- 1245م] هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الأصل الصالحي الحنبلي، الدمشقي مولدا ووفاة، ومن

لا يتابع عليها، وقال أحمد: لا بأس به إلا أن أبا داود الطيالسي روي عنه أحاديث منكرة. قال: وروي عن يحيي بن معين أنه قال: هو ثقه.

ومنها: أنها تكفي الهم وتغفر الذنب، فأخرج الترمذي عن أبي بن كعب قال: { كان رسول الله صلي الله عليه وسلم –إذا ذهب ثلثا الليل، قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه. قال أبي: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم اجعل لك من صلاتي ؟ قال: ما شئت، قال قلت: الربع ؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف ؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت الثلثين ؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قالت: اجعل لك صلاتي كلها ؟ قال: إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك }[321]

وقال: حديث حسن صحيح[322]، وأخرجه الحاكم في مستدركه[323]، وقال: صحيح الإسناد، والطبراني [324] في معجمه، وفسر الصلاة فيه بالدعاء وكذا أوله النميري في

تصانيفه: كتاب الأحكام ثلاث مجلدات وفضائل الأعمال مجلد وفضائل ثلاثة أجزاء وفضائل القرآن وكتاب سيب هجرة المقادسة إلي دمشق نحو عشر أجزاء

فوات الوفيات 3/ 426. الوافي بالوفيات 4/ 48. وفهرس الفهارس 2/ 716. ومعجم المفسرين من صدر الإسلام وحتىٰ العصر الحاضر 2/ 568

[321] حديث أبي بن كعب – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 4/ 636 (2457). وقال: " هذا حديث حسن ". وأحمد في مسنده 35/ 166 (21242). وابن شيبة في مصنفة 6/ 325 (31783). وابن شاهين في فضائل الأعمال 1/ 14 (21) وأبو نعيم في الحلية 8/ 377. والبيهقي في شعب الإيمان 13/ 151 (10095). وقصر الأمل لابن أبي الدنيا 1/ 92 (116).

[322] سنن الترمذي 4/ 636. وقال: " هذا حديث حسن"

[323] المستدرك للحاكم 2/ 558 (3894). وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي علي تصحيحه

كتاب الأعلام، وأورده بلفظ: { اجعل ثلث دعائي لك } وكان لأبي كعب – رضي الله عنه – دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي – صلي الله عليه وسلم هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه – صل الله عليه وسلم – فقال: { إن زدت فهو خير لك } إلي أن قال: اجعل لك صلاتي كلها، أي دعائي كله صلاة عليك، لأن من صلي عليه، صل الله عليه وسلم، صل الله عليه، ومن صل الله عليه كفي همه، وغفر ذنبه[325]

وقيل: المراد بالصلاة هنا، صلاة النافلة، ويكون معناه: إني أكثر الصلاة لك، أي التطوع، واجعل ثوابه لك، وهو بعيد.

وأخرج ابن أي عاصم[326] في كتاب الصلاة عن أبي منظور، عن أبي معاذ عن أبي كاهل، قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { يا أبا كاهل من صل علي كل يوم

---

[324] المعجم الكبير للطبراني 4/ 35 (3574)

[325] نص في رواية البيهقي في شعب الإيمان 3/ 84، 85 (1418) علي تفسير الصلاة بالدعاء حيث جاء فيه: { قلت: اجعل دعائي كله صلاة عليك ؟ قال: إذا يكفيك الله ما أهمك ويغفر لك }. وجاء في معجم المناهي اللفظية 1/ 398 ما نصه: " ونقل الحافظ السخاوىٰ عن شيخيه ابن حجر أنه جعل الحديث عن أبي – رضي الله عنه وفي آخره: { قلت: اجعل لك صلاتي كلها } أي دعائي كله، كما في رواية، قال: { إذا اتكفي همك ويغفر ذنبك } وانظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 2/ 746. وشرح البيقونية 2/ 9. ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 3/ 279

[326] ابن أبي عاصم [206–287هـ = 822 – 900م] هو أحمد بن عمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني من علماء الحديث الثقات، ولي قضاء أصبهان وله تصانيف تقارب الثلاثمائة تصنيف فيها المسند الكبير، والسنة والديات والأحاديث المثانىٰ طبقات المحدثين بأصبهان 3/ 380 تاريخ دمشق 5/ 104 وسير أعلام النبلاء 13/ 430

ثلاث مرات، وكل ليلة ثلاث مرات، حبابىٰ، وشوقا، كان حقا علي الله أن يغفر له ذنوبه، تلك الليلة، وذلك اليوم }[327]

ومنها: أنها تنفي الفقر، روي أبو نعيم من حديث جابر بن سمرة السوائي عن أبيه: { كثرة الذكر والصلاة علي النبي – صل الله عليه وسلم تنفي الفقر }[328]

ومنها: (أنها)[329] تقضي الحوائج، ففي كتاب أحمد بن موسي الحافظ[330] من حديث أبي سهل بن مالك، عن جابر، قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { من

---

[327] حديث أبي كاهل – رضي الله عنه أخرجه مرفوعا الطبري في الكبير 18/ 362، 361 (928).وأخرجه ابن أبي عاصم في كتابه الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم 1/ 84 (62) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 4/ 219 (7122) وقال رواه الطبراني، وفيه الفضل بن عطاء، ذكره الذهبي، وقال: إسناد " مظلم. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات 3/ 163 وقال: قال العقيلي والفضل بن عطاء عن الفضل بن شعيب: إسناد مجهول لا يعرف إلا من هذا الوجه وذكره ابن عراق الكناني في كتابه تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشفيعة الموضوعة 2/ 290. وقال: " أبو كاهل هذا ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابه، وقال: ذكره ابن السكن في الصحابة، وقال أبو أحمد الحاكم: " لا يروي حديثه من وجه يعتمد، وقال ابن عبد البر ذكر له حديث طويل منكر، انتهي، وقضية هذا أن الحديث لا ينحط إلي رتبة الموضوعات، والله تعالي أعلم ".

[328] حديث سمرة السوائي والد جابر – رضي الله عنهما أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة 3/ 1413 (3572) وذكره السخاوي في كتابه القول البديع 1/ 135 وقال: أخرجه أبو نعيم بسنده وأخرجه القرطبي بلا إسناد من حديث أبي بكر الصديق وجابر بن عبد الله ويحتاج ذلك إلي تحرير ". وأورده ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام 1/ 421 وعزاه إلي أبي نعيم وذكره ابن حجر الهيثمي في الدر المنضود 1/ 177 وقال: " أخرجه أبو نعيم بسند ضعيف "

[329] ما بين القوسين ساقط من المطبوعة

[330] هو محمد بن عمر بن أحمد أبو موسي المديني الأصبهاني [501 – 581هـ =1108 – 1185م] قال السبكي وفضائله كثيرة وقد صنف فيها غير واحد، مولده ووفاته بأصبهان، له تصانيف كثيرة

صلي علي مائة صلاة حين يصلي الصبح، قبل أن يتكلم، قضي الله له مائة حاجة، عجل منها ثلاثين حاجة، وأخر له سبعين، وفي المغرب مثل ذلك، قالوا: وكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال: { إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما }[331]

وأخرجه ابن منده[332]، من جهة أبي بكر[333]، حدثنا محمد بن المنكدر[334]، عن جابر، بلفظ: { من صلي علي في كل يوم مائة مرة، قضي الله له مائة حاجه، سبعين منها لآخرته، وثلاثين منها لدنياه }[335]

منها: اللطائف من علوم المعارف، ومنتهي رغبات السامعين، ونزهة الحفاظ والمجموع المغيث في غريب القرآن والحديث.

تاريخ بغداد 15/ 46 والتقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد 1/ 86. وأسد الغابة 1/ 6

[331] حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أورده السخاوي في القول البديع 1/ 179. وقال: " رواه أحمد بن موسي الحافظ بسند ضعيف "

[332] ابن منده [220– 301هـ =835 –914م] هو محمد بن يحيي بن منده العبدي أبو عبد الله مؤرخ من حفاظ الحديث الثقات من أهل أصبهان.

طبقات المحدثين بأصبهان 3/ 442. وتاريخ الإسلام 7/ 44. والأعلام 7/ 135

[333] أبو بكر الهذلي: هو سُلمي بن عبد الله بن سلمي. ضعفه يحيي بن معين وغيره. وقال ابن حبان: أبو بكر الهذلي يروي عن الثقات الموضوعات

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 4/ 313 والجرح والتعديل لابن أبي حاتم 1/ 359 وتاريخ بغداد 9/ 222، وتاريخ الإسلام 4/ 556 والمجروحين لابن حبان 9/ 456

[334] ابن المنكدر [54 –130هـ =674 –748م] هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزي القرشي التيمي من رجال الحديث من أهل المدينة أدرك بعض الصحابة وروي عنهم قال ابن عينية: ابن المنكدر من معادن الصدق.

الطبقات الكبرى 5/ 357 والتاريخ الكبير للبخاري 1/ 219 والأعلام 7/ 112

قال الحافظ أبو موسي: حديث حسن[336]

وكما تشرع الصلاة عليه – صلي الله عليه وسلم – تشرع علي جميع الأنبياء. وفي مصنف عبد الرازق عن أبي هريرة مرفوعا: { صلوا علي أنبياء الله، ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني }[337]

قال أبو موسي المديني: وروينا عن بعض السلف أنه رأي آدم عليه الصلاة والسلام في المنام كأنه يشكو قلة صلاة بنية

وقد سئل (الإمام)[338] أبو حامد الغزالي ما معني قوله – صلي الله عليه وسلم: { من صلي علي واحدة، صلي الله عليه عشرا }[339] ؟ (وما معني صلوات الله علي من

---

[335] حديث جابر رضي الله عنه أورده السخاوي في كتابه الأجوبة المرضية 3/ 947 فقال: " لا وعند ابن منده من وجه آخر عن جابر يرفعه: { من صلي علي في كل يوم مائة مرة قضي الله له مائة حاجة سبعين منها لآخرته، وثلاثين منها لدنياه } وقال الحافظ أبو موسي المديني إنه غريب. وله شاهد عن أنس لكن بقيد يوم الجمعة وليلتها، وقد أوردته بجميع ألفاظه في كتابي " القول البديع " وله شاهد من حديث أنس لكن بقيد يوم الجمعة وليلتها أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 4/ 435 (2773). وفي فضائل الأوقات للبيهقي أيضا 1/ 498 (276). وفي فوائد ابن منده 1/ 82(56). وفي حياة الأنبياء في قبورهم للبيهقي 1/ 93 (13)

[336] قال صاحب القول البديع في الصلاة علي الحبيب الشفيع 1/ 134: " أخرجه ابن منده، وقال الحافظ أبو موسي المديني: إنه حديث غريب حسن ".

[337] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه أخرجه مرفوعا عبد الرازق في مصنفه 2/ 215، 216 (3118) والفرار في مسنده المسمي بالبحر الزخار 16/ 241 (9412). والبيهقي في الدعوات الكبير 1/ 263(180). وفي شعب الإيمان 1/ 277 (130) وأبو إسحاق الأزوي (ت. 282هـ) في كتابه فضل الصلاة علي النبي صل الله عله وسلم 1/ 48 (45). والهيثمي في كشف الإسناد عن زوائد البزار 3/ 101 (2342). والديلمي في الفردوس 2/ 385 (3710) وأورده في السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الغير 1/ 632 (3889) وقال: حسن

صلي عليه ؟ وما معني صلواتنا عليه ؟ وما معني استدعائه من أمته الصلاة عليه، أيرتاح لذلك ؟ أم هو شفقة علي الأمة ؟ فأجاب: أما صلاة الله علي نبيه، وعلي المصلين عليه، فمعناه: إفاضة أنواع الكرامات، ولطائف النعم، وأما صلاتنا عليه، وصلاة الملائكة، فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة، ورغبة في إفاضتها عليه[340]، لا كقول القائل: غفر الله له ورحمة، فإن ذلك يختص بالرحمة، وطلب

---

[338] ما بين القوسين ساقط من (ط)

[339] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – مرفوعا { من صلي علي واحدة صلي الله عليه عشرا } أخرجه مسلم في صحيحة 1/ 306 (408). وأبو داود في سننه 2/ 88 (1530) وقال الألباني صحيح. والنسائي في سننه 3/ 50(1296)، والترمذي في سنه 2/ 355 (485) وقال الترمذي: " وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة، وعمار، وأبي طلحة، وأنس، وأبي بن كعب، وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم، قالوا: " صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار "

[340] معني الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم:

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية 1/ 64: " معني (ثم الصلاة وهي من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير، هذا هو المشهور والجاري علىٰ ألسنة الجمهور، ولم يرتض هذا الإمام المحقق ابن القيم في كتابيه (جلاء الإفهام) و (بدائع الفوائد) وغيرهما، ورده من وجوه:

(أحدها): أن الله – تعالىٰ – غاير بينهما في قوله: {عليهم صلوات من ربهم ورحمة} [البقرة: 157].

(الثاني): أن سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم، والصلاة تختص بالنبي – صلىٰ الله عليه وسلم – وآله، فهي حق له ولآله، ولهذا منع كثير من العلماء الصلاة علىٰ معين غيره، يعني وغير سائر الأنبياء والملائكة، ولم يمنع أحد من الترحم علىٰ معين من المسلمين (الثالث): أن رحمة الله عامة، وسعت كل شيء، وصلاته خاصة لخواص عباده. وقولهم الصلاة من العباد بمعنىٰ الدعاء مشكل أيضا من وجوه: (أحدها): أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصلاة لا تكون إلا في الخير.

(الثاني): أن دعوت يتعدىٰ باللام، وصليت لا يتعدىٰ إلا بعلىٰ، ودعا المعدىٰ بعلىٰ ليس بمعنىٰ صلىٰ، وهذا يدل علىٰ أن الصلاة ليست بمعنىٰ الدعاء.

(الثالث): أن فعل الدعاء يقتضي مدعوا ومدعوا له، تقول: دعوت الله لك بخير. وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك، لا تقول: صليت الله عليك ولا لك، فدل علىٰ أنه ليس بمعناه، فأي تباين أظهر من هذا؟. قال: ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق، فإياك والإخلاد إلىٰ أرضه. قال في البدائع: ورأيت لأبي القاسم السهيلي كلاما حسنا في اشتقاق الصلاة، فذكر ما ملخصه: إن معنىٰ اللفظة حيث تصرفت ترجع إلىٰ الحنو والعطف، إلا أن ذلك يكون محسوسا ومعقولا، فالمحسوس منه صفات الأجسام، والمعقول منه صفة ذي الجلال والإكرام، وهذا المعنىٰ كثير موجود في الصفات، والكبير يكون صفة للمحسوسات وصفة للمعقولات، وهو من أسماء الرب، تعالىٰ وتقدس عن مشابهة الأجسام ومضاهاة الأنام، فما يضاف إليه - تعالىٰ - من هذه المعاني معقولة غير محسوسة، فإذا ثبت هذا، فالصلاة كما قلنا حنو وعطف من قولك: صليت، أي حنيت صلاك وعطفته، فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمىٰ عطفا وحنوا، تقول: اللهم اعطف علينا، أي ارحمنا. قال الشاعر:

وما زلت في ليني له وتعطفي... عليه كما تحنو علىٰ الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب، إذا وجدها الراحم من نفسه انعطف علىٰ المرحوم وأثنىٰ عليه، ورحمة الله للعباد جود وفضل، فإذا صلىٰ عليه، فقد أفضل وأنعم، وهذه الأفعال إذا كانت من الله أو من العبد فهي متعدية بعلىٰ مخصوصة بالخير، لا تخرج عنه إلىٰ غيره، فرجعت كلها إلىٰ معنىٰ واحد، إلا أنها في معنىٰ الدعاء والرحمة، والصلاة معقولة أي انحناء معقول غير محسوس، ثمرته من العبد الدعاء ؛ لأنه لا يقدر علىٰ أكثر منه، وثمرته من الله الإحسان والإنعام، فلم تختلف الصلاة في معناها، وإنما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها. والصلاة التي هي الركوع والسجود انحناء محسوس، فلم يختلف المعنىٰ فيها إلا من جهة المعقول، وليس ذلك باختلاف في الحقيقة، ولذلك تعدت كلها بعلىٰ، واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة، ولم يجز صليت علىٰ العدو أي دعوت عليه، فقد صار معنىٰ الصلاة أرق وأبلغ من معنىٰ الرحمة وإن كان راجعا إليه، إذ ليس كل راحم ينحني علىٰ المرحوم، وينعطف عليه من شدة الرحمة. انتهىٰ. والسلام " بمعنىٰ التحية والسلامة من النقائص والرذائل. وفي المطلع: قال الأزهري في قولك السلام عليك قولان:

العفو بالستر، وكذلك تخصيص الصلاة به، ودونه قولك: رضي الله عنه، فتختص الصلاة بالأنبياء، وطلب الترضي بالصحابة والأولياء والعلماء، وطلب الرحمة والمغفرة للعوام)[341]. وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فلثلاثة أمور[342]

أحدهما: اسم السلام، ومعناه اسم الله عليك، ومنه قول لبيد:

إلىٰ الحول ثم اسم السلام عليكما.. ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر=

= والثاني: سلم الله عليك تسليما وسلاما، ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها. قال الحافظ ابن الجوزي في (مفتاح الحصن): وأما الجمع بين الصلاة والسلام، فهو الأولىٰ والأكمل والأفضل، لقوله – تعالىٰ: {صلوا عليه وسلموا تسليما} [الأحزاب: 56]، ولو اقتصر علىٰ أحدهما، جاز من غير كراهة، فقد جرىٰ عليه جمع، منهم مسلم في صحيحه خلافا للشافعية. وفي كلام بعضهم: لا أعلم أحدا نص علىٰ الكراهة، حتىٰ إن الإمام الشافعي نفسه اقتصر علىٰ الصلاة دون تسليم في خطبة الرسالة، والله أعلم

[341] ما بين القوسين ساقط من (ط) من أول قوله: " وما نعني صلوات الله عليه من صلي عليه ؟ وما معني صلواتنا عليه ؟ 00000إلي هنا

[342] الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة والتسليم علي النبي صلي الله عليه وسلم كثيرة جدا منها ابن القيم فوائد عديدة في كتابة جلاء الأفهام 1/ 445 ونذكر منها ما يلي: "

الأولىٰ امتثال أمر الله سبحانه وتعالىٰ

الثانية موافقته سبحانه في الصلاة عليه صلىٰ الله عليه وسلم وإن اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة الله تعالىٰ عليه ثناء وتشريف كما تقدم

الثالثة موافقة ملائكته فيها

الرابعة حصول عشر صلوات من الله علىٰ المصلي مرة

الخامسة أنه يرفع عشر درجات

السادسة أنه يكتب له عشر حسنات

السابعة أنه يمحىٰ عنه عشر سيئات

الثامنة أنه يرجىٰ إجابة دعائه إذا قدمها أمامه فهي تصاعد الدعاء إلىٰ عند رب العالمين

التاسعة أنها سبب لشفاعته صلىٰ الله عليه وسلم إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها كما تقدم حديث رويفع بذلك

العاشرة أنها سبب لغفران الذنوب كما تقدم

الحادية عشرة أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه

الثانية عشرة أنها سبب لقرب العبد منه صلىٰ الله عليه وسلم يوم القيامة

وقد تقدم حديث ابن مسعود رضي الله عنه بذلك

الثالثة عشرة أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة

الرابعة عشرة أنها سبب لقضاء الحوائج

الخامسة عشرة أنها سبب لصلاة الله علىٰ المصلي وصلاة ملائكته عليه

السادسة عشرة أنها زكاة للمصلي وطهارة له

السابعة عشرة أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته ذكره الحافظ أبو موسىٰ في كتابه وذكر فيه حديثا

الثامنة عشرة أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة ذكره أبو موسىٰ وذكر فيه حديثا

التاسعة عشرة أنها سبب لرد النبي صلىٰ الله عليه وسلم الصلاة والسلام علىٰ المصلي والمسلم عليه

العشرون أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه كما تقدم

الحادية والعشرون أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة علىٰ أهله يوم القيامة

الثانية والعشرون أنها سبب لنفي الفقر كما تقدم

الثالثة والعشرون أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلىٰ عليه عند ذكره صلىٰ الله عليه وسلم

الرابعة والعشرون أنها ترمي صاحبها علىٰ طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها

الخامسة والعشرون أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله ورسوله ويحمد ويثنىٰ عليه فيه ويصلىٰ علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم

السادسة والعشرون أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة علىٰ رسوله

السابعة والعشرون أنها سبب لوفور نور العبد علىٰ الصراط وفيه حديث ذكره أبو موسىٰ وغيره=

=الثامنة والعشرون أنه يخرج بها العبد عن الجفاء

أحدهما: إن الأدعية مؤثرة في استدرار فضل الله، ونعمته، ورحمته، لا سيما في الجمع الكثير كالجمعة، وعرفات، والجماعات ،(فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلي طلب ما في الإمكان وجوده علي قرب كالمطر، ورفع الوباء، وغيره، فاض ما في الإمكان من القبض الحق بوسائط إلي روحانيات المترشحين لتدبير العالم الأسفل المقتضي لتعهدهم، وإنما أثرت الهمم لما بين الأرواح البشرية، والروحانيات العالية من المناسبة الذاتية، فإن هذه الأرواح مجانسة لتلك الجواهر، وإنما يقطع مجانستها، التدنس لكدور الشهوات، ولذلك تكون همه القلوب الزكية الطاهرة أسرع تأثيرا، وتكون في حالة التضرع والإبتهال أنجح، لأن حرقة التضرع تذيب كدورة الشهوات عن القلب في الحال، وتصنفه وتكشفه من الظلمة ولذلك ما يخطئ دعاء الجمع، ولا يخلو الجمع من قلوب طاهرة، يزيدها التعاون تأثيرا، وإنما كان يوم الجمعة وقتا يستجاب فيه الدعاء بهم، لأن الحال الذي يجتمع فه القلوب صافية وأحد لا يدري متي هو، لكن الغالب أن اليوم لا يخلو عنه، وهو وقت النفحات، التي يتعرض لها، وربما كان اجتماع لهمم يوم الجمعة عند الأسباب الجامعة كابتداء الخطبة، وابتداء الصلاة، وكأن الصلاة أولي، لكن الأولي أن لايحرم القول بتعيين وقته بل بهم، وكذلك تتوقع تلك النفحات[343] في الأسحار، لصفاء القلوب، فإذا كانت الأدعية مؤثرة في استجلاب مزائد الفضل، وكان ما وعد رسول الله صل الله عليه وسلم من

التاسعة والعشرون أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض لأن المصلي طالب من الله أن يثني علىٰ رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك

الثلاثون أنها سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلي داع ربه يبارك عليه وعلىٰ آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه

[343] في (ش) النعم

الحوض ومرتبة الشفاعة، وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدود علي وجه لا تتصور الزيادة فيها، فاستمداده من الأدعية استزاده لتلك الكرامات)[344]

الأمر الثاني: في ارتياحه به، كما قال عليه السلام: { إني أباهي بكم الأمم }[345] وكما لا يبعد أن يطلع النائم علي الغيب من أحوال الموتي، مع كوننا في هذا العلم المظلم، فلا يبعد أن يحصل للأرواح معرفة بمجاري أحوالنا، مع أنهم في عالم القدس والصفاء، ودار الحيوان، ووجه اطلاع النائم علي أحوال الموتي، واطلاع الموتي علي أحوال الناس يطول ذكره.

الثالث: الشفقة علي الأمة، بتحريضهم علي ما هو حسنة في حقهم، وقربة لهم، وانما تضاعف الصلوات، لأن الصلاة ليست حسنة واحدة، بل حسنات أدقها تجديد

---

[344] ما بين القوسين من أول قوله: " فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلي طلب ما في الإمكان وجوده 0000إلي هنا ساقط من (ط).

[345] من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – مرفوعا { تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة } رواه أبو داود في سننه 2/ 220(2050)، و أحمد في مسنده 21/ 19 (13569). وابن حبان في صحيحة 9/ 338 (4028) وقال الألباني: صحيح لغيره. والطبراني في الأوسط 5/ 207 (5099) والتضاعي في مسند الشهاب 1/ 394 (675) والبيهقي في السنن الكبرئ 7/ 131 (13476) وفي شعب الإيمان 7/ 340 (5099)

ومن حديث معقل بن يسار مرفوعا { تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم} أخرجه النسائي في المجتبي 6/ 65 (3227). وابن حبان في صحيحة 9/ 363(4056). وقال الألباني حسن صحيح. والكبير 20/ 219 (508) والحاكم في المستدرك 2/ 176(2685) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي علي التصحيح، وأبو نعيم في الحلية 3/ 61(62).

الإيمان[346] بالله ورسوله أولا، ثم بالرسول ثانيا، ثم بتعظيمه ثالثا، ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعا، ثم تجديد الإيمان باليوم الأخر، وأنواع كراماته خامسا، ثم بذكر الله سادسا، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، ثم بتعظيم الله بنسبتهم إليه سابعا، ثم بإظهار المودة لهم ثامنا، ولم يسأل الرسول – صل الله عليه وسلم – أمته { إلا المودة في القربي } (الشوري23) ثم الابتهال والتضرع في الدعاء تاسعا، و{ الدعاء مخ العبادة }[347]، ثم بالاعتراف عاشرا أن الأمر كله لله[348]، وأن النبي وإن جل قدره

---

[346] قال الإمام علي كرم الله وجهه: " إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات، وتمت فزادادت حتىٰ يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو ونكتة سوداء، فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتي يسود= = القلب كله فيطبع عليه، فذلك هو الختم، وتلا قوله تعالي: { كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون } (المطففين 14)

قواعد العقائد 1/ 265

وتجديد الإيمان أو زيادته نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالي: { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون } (الأنفال 2) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات إزداد قلبه بفهم القرآن، ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن حتىٰ كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير، والهبة من الشر، لم يكن فيزداد علمه بالله، ومحبته لطاعته، وهذا زيادة الإيمان. وقال تعالي: { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا ونعم الوكيل } (آل عمران 173). فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو لم تكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وتوكلا علي الله، وثباتا علي الجهاد، وتوحيدا بأن لا يخافوا المخلوق، بل يخافون الله الخالق وحده " انتهي لوامع الأنوار البهية 1/ 412

[347] سبق تخريجه وهو عند الترمذي مرفوعا 5/ 456 والطبراني في الأوسط 3/ 293

[348] وهذا مأخوذ من قوله تعالي: { قل إن الأمر كله لله }(آل عمران 154)

فهو يحتاج إلي رحمة الله[349]، وهذه عشر حسنات سوي ما ورد الشر عبه من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها، وأن السيئة بمثلها فقط[350]، وسره أن الجوهر الأنساني حنان إلي ذلك العالم العلوي، لأنه معشر منه وهبوطه إلي العالم الجسماني غريب في طبعة، والسيئة تبطئه عن الرقي إلي ذلك العالم خلاف طبعه، والحسفة ترقيه إلي موافقة الطبع، والقوة التي تحرك الحجز إل فوق، هي نفسها إن استعملت في تحريكه إلي أسفل، تحرك عشرة أذرع وزيادة، فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها، وإلي سبعمائة ضعف، انتهي

الثامن: الصلاة عليه في وسط الدعاء وآخره، لأنه الذي علمنا الدعاء بأركانه، وآدابه، فنقضي بعض حقه عند الدعاء، اعتدادا بالنعمة، قاله الحليمي[351]

وقال الغزالي: عن أبي سليمان الداراني[352] إنما استحبت أول الدعاء وآخره، لأنها لا ترد، والكريم لا يناسبه أن يقبل الطرفين، ويرد الوسط[353]، واستشكل ذلك بعض

---

[349] عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم – { لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل } ووضع يده علي أرسله أخرجه البخاري في صحيحة 8/ 98 (6463) ومسلم في صحيحة 4/ 2169(2816) وابن حبان في صحيحة 2/ 60(348) وأحمد في مسنده 12/ 449(7479)

[350] قال تعالي: { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون } (الأنعام 160)

[351] الحليمي في شعب الإيمان 1/ 533

[352] أبو سليمان الداراني [140 – 215هـ =757 –830م] هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي أبو سليمان من رواة الحديث كان من كبار المتصوفين وله أخبار في الزهد سير أعلام النبلاء 10/ 183 والوافي بالوفيات 18/ 60

[353] بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية 4/ 64 لأبي سعيد الخادمىٰ (ت. 1156هـ). الناشر مطبعة الحلبي 1348هـ. وجاء في غذاء الألباب شرح منظومة

مشايخنا، بأن قولنا اللهم صل عل محمد دعاء، والدعاء متوقف علي القبول، وفيه نظر. وقد أخرج الطبراني في معجمه، والبراز في مسنده عن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جابر قال رسول الله صل الله عليه وسلم { لا تجعلوني كقدح الراكب، وإن الراكب يملأ قدحه، فإذا فرغ وعلق تعاليقه، فإن كان فيه ماء شرب حاجته، أو

الآداب 1/ 24: " الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه – صلىٰ الله عليه وسلم – عند الدعاء وله ثلاث مراتب: إحداها أن يصلي قبل = = الدعاء وبعد حمد الله، الثانية أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره، الثالثة أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

أما دليل المرتبة الأولىٰ فحديث فضالة بن عبيد صاحب رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – قال: قال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – «إذا صلىٰ أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي علىٰ النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – ثم يدعو بعد بما شاء» رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث صحيح.

وأما الثانية فحديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – «لا تجعلوني كقدح الراكب» فذكر الحديث وقال: «اجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره» رواه الطبراني.

وأما الثالثة فقال في جلاء الأفهام عن أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني – رحمه الله – يقول: من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة علىٰ النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – وليسأل حاجته وليختم بالصلاة علىٰ النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – فإن الصلاة علىٰ النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – مقبولة والله سبحانه وتعالىٰ أكرم أن يرد ما بينهما. انتهىٰ.

وروىٰ أبو الشيخ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – «من صلىٰ علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب» قال في جلاء الأفهام: رواه غير واحد عن أسيد

الوضوء توضأ، وإلا أهراق القدح، فاجعلوني في وسط الدعاء، وفي أوله، وفي آخره }[354]

قال أصحاب الغريب[355]: ومعني قوله لا تجعلوني كقدح الراكب: أي لا تؤخروني في الذكر، لأن الراكب يعلق قدحه في آخر رحلة، وعند فراغه من ترحاله، ويجعله خلفه.

قال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان[356]

ولست كعباس ولا كابن أمه .... ولكن هجين ليس له زند

---

[354] حديث جابر – رضي الله عنه – أخرجه عبد الرازق في مصنفة 2/ 215 (3117). والقضاعي في مسنده 2/ 89 (944) والبيهقي في شعب الإيمان 3/ 137 (1476). وأبو بكر الخلال في السفه 1/ 223، وابن أبي عاصم في الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم 1/ 55 (71) وأورده ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد 10/ 155 (17256) وقال رواه البزار وفيه موسي بن عبيدة وهو ضعيف. وذكره المتقي الهندي في كنز العمال 1/ 509 (2253). وقال: رواه عبد الرازق وعبد بن حميد وضعفه.

[355] مشارق الأنوار علي صحاح الآثار 2/ 172. للقاضي عياض (ت. 544هـ) الناشر المكتبة العريقة. ودار التراث. والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير 2/ 172. والمغرب في ترتيب العرب 1/ 373 لبرهان الدين الخوارزئ (ت. 610هـ) والغريبين في القرآن والحديث 5/ 1505 لأبي عبيد الهروي (ت. 401هـ)

[356] البيتان لحسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري شاعر الرسول صل الله عليه وسلم (ت.54هـ) من قصيدة له يهجو فها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عم رسول الله صل الله عليه وسلم أخاه من الرضاعة وكان شديد الإيذاء للإسلام ولرسول الإسلام قبل أن يسلم في عام الفتح ومطلع القصيدة:

وإن سنام المجد من آل هاشم 000 بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

ومن ولدت أبناء زهرة من 000 كرام ولم يقرب عجائزك المجد

زهرة الآداب وثمر الألباب 1/ 63. وشرح أدب الكاتب 1/ 104 لابن قتيبة

وكنت دعيا نيط في آل هاشم .... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ولعل المراد به الاقتصار في ذكره الآخر.

واعلم أن الصلاة عند الدعاء ثلاث مراتب.

إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء، وبعد حمد الله، ويشهد له حديث فضالة السابق.

والثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره ويشهد له حديث جابر المذكور آنفا وهذا كلام الزركشي تابع للنص وهو كلام المصنف

والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره، ويجعل حاجته متوسطة بينهما، كما عليه عمل الناس، وهو يناسب ما نقله الغزالي عن الدراني[357].

التاسع: أن يفتتح الدعاء باسم من اسمائه سبحانه وتعالي المناسبة لمطلوبه، أو يختم دعاءه به[358] ،وتأمل دعاء الأنبياء كذلك: قال سليمان عليه السلام في دعائه: { رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب }[359]

---

[357] تفسير القرطبي 14/ 233. وتفسير النيسابوري 5/ 475 والتنوير شرح الجامع الصغير 6/ 132.
وقال ابن القيم في كتابه الرائع جلاء الافهام في فضل الصلاة علي خير الأنام 1/ 375: " الموطن السابع من مواطن الصلاة عليه صل الله عليه وسلم عند الدعاء، وله ثلاث مراتب:
إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالي
والمرتبة الثانية: أن يصلي في أول الدعاء
وسطه وآخره
والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطه بينهما. انتهي

[358] قال العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الماتع المسمي بمفاتيح الغيب أو التفسير الكبير 15/ 412 في تفسيره لقول الله تعالي: { ولله الأسماء الحسني فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعلمون } (الأعراف 180) " فإن القلب إذا غفل عن ذكر الله، وأقبل

علىٰ الدنيا وشهواتها وقع في باب الحرص وزمهرير الحرمان، ولا يزال ينتقل من رغبة إلىٰ رغبة ومن طلب إلىٰ طلب، ومن ظلمة إلىٰ ظلمة، فإذا انفتح علىٰ قلبه باب ذكر الله ومعرفة الله تخلص عن نيران الآفات وعن حسرات الخسارات، واستشعر بمعرفة رب الأرض والسموات وفي الآية مسائل:

المسألة الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ولله الأسماء الحسنىٰ مذكور في سور أربعة: أولها: هذه/ السورة.

وثانيها: في آخر سورة بني إسرائيل في قوله: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ [الإسراء: 110] وثالثها: في أول طه وهو قوله: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنىٰ [طه: 8] ورابعها: في آخر الحشر وهو قوله: هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنىٰ [الحشر: 24].

إذا عرفت هذا فنقول: الأسماء ألفاظ دالة علىٰ المعاني فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهوماتها، ولا معنىٰ للحسن في حق الله تعالىٰ إلا ذكر صفات الكمال ونعوت الجلال، وهي محصورة في نوعين: عدم افتقاره إلىٰ غيره، وثبوت افتقار غيره إليه.

واعلم أن لنا في تفسير أسماء الله كتابا كبيرا كثير الدقائق شريف الحقائق سميناه «بلوامع البينات في تفسير الأسماء والصفات»، من أراد الاستقصاء فيه فليرجع إليه، ونحن نذكر هاهنا لمعا ونكتا منها. فنقول: إن أسماء الله يمكن تقسيمها من وجوه كثيرة.

الوجه الأول: أن نقول: الاسم إما أن يكون اسما للذات، أو لجزء من أجزاء الذات، أو لصفة خارجة عن الذات قائمة بها. أما اسم الذات فهو المسمىٰ بالاسم الأعظم، وفي كشف الغطاء عما فيه من المباحثات أسرار.

وأما اسم جزء الذات فهو في حق الله تعالىٰ محال، لأن هذا إنما يفعل في الذات المركبة من الأجزاء، وكل ما كان كذلك فهو ممكن، فواجب الوجود يمتنع أن يكون له جزء.

وأما اسم الصفة فنقول: الصفة إما أن تكون حقيقة أو إضافية أو سلبية، أو ما يتركب عن هذه الثلاثة، وهي أربعة، لأنه إما أن يكون صفة حقيقية مع إضافة أو مع سلب أو صفة سلبية مع إضافة أو مجموع صفة حقيقية وإضافة وسلبية. أما الصفة الحقيقية العارية عن الإضافة فكقولنا موجود عند من يقول: الوجود صفة، أو قولنا واحد، عند من يقول: الوحدة صفة ثانية، وكقولنا حي، فإن الحياة صفة حقيقية عارية عن النسب والإضافات، وأما الصفة الإضافية المحضة فكقولنا: مذكور

ومعلوم، وأما الصفة السلبية، فكقولنا: القدوس السلام. وأما الصفة الحقيقية مع الإضافة، فكقولنا: عالم وقادر، فإن العلم صفة حقيقية، وله تعلق بالمعلوم والقادر، فإن القدرة صفة حقيقية، ولها تعلق بالمقدور، وأما الصفة الحقيقية مع السلبية. فكقولنا: قديم أزلي، لأنه عبارة عن موجود لا أول له. وأما الصفة الإضافية مع السلبية، فكقولنا: أول. فإنه هو الذي سبق غيره وما سبقه غيره، وأما الصفة= =الحقيقية مع الإضافة والسلب، فكقولنا: حكيم، فإنه هو الذي يعلم حقائق الأشياء، ولا يفعل ما لا يجوز فعله فصفة العلم صفة حقيقية، وكون هذه الصفة متعلقة بالمعلومات، نسب وإضافات، وكونه غير فاعل لما لا ينبغي سلب.

إذا عرفت هذا فنقول: السلوب، غير متناهية، والإضافات أيضا غير متناهية، فكونه خالقا/ للمخلوقات صفة إضافية، وكونه محييا ومميتا إضافات مخصوصة، وكونه رازقا أيضا إضافة أخرىٰ مخصوصة. فيحصل بسبب هذين النوعين من الاعتبارات أسماء لا نهاية لها لله تعالىٰ، لأن مقدوراته غير متناهية، ولما كان لا سبيل إلىٰ معرفة كنه ذاته، وإنما السبيل إلىٰ معرفته بمعرفة أفعاله فكل من كان وقوفه علىٰ أسرار حكمته في مخلوقاته أكثر، كان علمه بأسماء الله أكثر. ولما كان هذا بحرا لا ساحل له ولا نهاية له، فكذلك لا نهاية له، فكذلك لا نهاية لمعرفة أسماء الله الحسنىٰ.

النوع الثاني: في تقسيم أسماء الله ما قاله المتكلمون: وهو أن صفات الله تعالىٰ ثلاثة أنواع: ما يجب، ويجوز، ويستحيل علىٰ الله تعالىٰ. ولله تعالىٰ بحسب كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة أسماء مخصوصة.

والنوع الثالث: في تقسيم أسماء الله أن صفات الله تعالىٰ إما أن تكون ذاتية، أو معنوية، أو كانت من صفات الأفعال.

والنوع الرابع: في تقسيم أسماء الله تعالىٰ إما أن يجوز إطلاقها علىٰ غير الله تعالىٰ، أو لا يجوز. أما القسم الأول: فهو كقولنا: الكريم الرحيم العزيز اللطيف الكبير الخالق، فإن هذه الألفاظ يجوز إطلاقها علىٰ العباد، وإن كان معناها في حق الله تعالىٰ مغايرا لمعناها في حق العباد. وأما القسم الثاني فهو كقولنا: الله الرحمن. أما القسم الأول: فإنها إذا قيدت بقيود مخصوصة صارت بحيث لا يمكن إطلاقها إلا في حق الله تعالىٰ كقولنا: يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا خالق السموات والأرضين.

النوع الخامس: في تقسيم أسماء الله أن يقال: من أسماء الله ما يمكن ذكره وحده، كقولنا: يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم، ومنها ما لا يكون كذلك، كقولنا: مميت وضار، فإنه لا يجوز إفراده بالذكر، بل يجب أن يقال: يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع.

النوع السادس: في تقسيم أسماء الله تعالىٰ أن يقال: أول ما يعلم من صفات الله تعالىٰ كونه محدثا للأشياء

مرجحا لوجودها علىٰ عدمها، وذلك لأنا إنما نعلم وجوده سبحانه بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه، فإذا دل الدليل علىٰ أن هذا العالم المحسوس ممكن الوجود والعدم لذاته، قضىٰ العقل بافتقاره إلىٰ مرجح يرجح وجوده علىٰ عدمه، وذلك المرجح ليس إلا الله سبحانه، فثبت أن أول ما يعلم منه تعالىٰ هو كونه مرجحا ومؤثرا، ثم نقول ذلك المرجح إما أن يرجح علىٰ سبيل الوجوب أو علىٰ سبيل الصحة والأول باطل، وإلا لدام العالم بدوامه، وذلك باطل، فبقي أنه إنما رجح علىٰ سبيل الصحة وكونه مرجحا علىٰ سبيل الصحة، ليس إلا كونه تعالىٰ قادرا، فثبت أن المعلوم منه بعد العلم بكونه مرجحا، هو كونه/ قادرا. ثم إنا بعد هذا نستدل بكون أفعاله محكمة متقنة علىٰ كونه عالما، ثم إنا إذا علمنا كونه تعالىٰ قادرا عالما، وعلمنا أن العالم القادر يمتنع أن يكون إلا حيا، علمنا من كونه قادرا عالما، كونه حيا. فظهر بهذا أنه ليس العلم بصفاته تعالىٰ وبأسمائه واقعا في درجة واحدة، بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض.

المسألة الثانية: قوله تعالىٰ: ولله الأسماء الحسنىٰ يفيد الحصر، ومعناه أن الأسماء الحسنىٰ ليست إلا لله تعالىٰ، والبرهان العقلي قد يدل علىٰ صحة هذا المعنىٰ، وذلك لأن الموجود إما واجب الوجود لذاته، وإما ممكن لذاته، والواجب لذاته ليس إلا الواحد وهو الله سبحانه، وأما ما سوىٰ ذلك الواحد، فهو ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته، فهو محتاج في ماهيته وفي وجوده وفي جميع صفاته الحقيقة والإضافية والسلبية إلىٰ تكوين الواجب لذاته، ولولاه لبقي علىٰ العدم المحض والسلب الصرف، فالله سبحانه كامل لذاته، وكمال كل ما سواه فهو حاصل بجوده وإحسانه، فكل كمال وجلال وشرف، فهو له سبحانه بذاته ولذاته وفي ذاته، ولغيره علىٰ سبيل العارية، والذي لغيره من ذاته، فهو الفقر والحاجة والنقصان والعدم، فثبت بهذا البرهان البين أن الأسماء الحسنىٰ ليست إلا لله، والصفات الحسنىٰ ليست إلا لله، وأن كل ما سواه، فهو غرق في بحر الفناء والنقصان.

المسألة الثالثة: دلت هذه الآية علىٰ أن أسماء الله ليست إلا لله، والصفات الحسنىٰ ليست إلا لله، فيجب كونها موصوفة بالحسن والكمال فهذا يفيد أن كل اسم لا يفيد في المسمىٰ صفة كمال وجلال فإنه لا يجوز إطلاقه علىٰ الله سبحانه، وعند هذا نقل عن جهم بن صفوان أنه قال: لا أطلق علىٰ ذات الله تعالىٰ اسم الشيء.

قال: لأن اسم الشيء يقع علىٰ أخس الأشياء وأكثرها حقارة وأبعدها عن درجات الشرف، وإذا كان كذلك وجب القطع بأنه لا يفيد في المسمىٰ شرفا ورتبة وجلالة.

وإذا ثبت هذا فنقول: ثبت بمقتضىٰ هذه الآية أن أسماء الله يجب أن تكون دالة علىٰ الشرف والكمال، وثبت أن اسم الشيء ليس كذلك فامتنع تسمية الله بكونه شيئا. قال ومعاذ الله أن يكون هذا نزاعا في كونه في نفسه حقيقة وذاتا وموجودا، إنما النزاع وقع في محض اللفظ، وهو أنه هل يصح تسميته بهذا اللفظ أم لا؟ فأما قولنا إنه منشئ الأشياء، فهو اسم يفيد المدح والجلال والشرف، فكان إطلاق هذا الاسم علىٰ الله حقا، ثم أكد هذه الحجة بأنواع أخر من الدلائل. فالأول: قوله تعلىٰ: ليس كمثله شيء [الشورىٰ: 11] معناه ليس مثل مثله شيء، ولا شك أن عين الشيء مثل لمثل/ نفسه. فلما ثبت بالعقل أن كل شيء فهو مثل مثل نفسه، ودل الدليل القرآني علىٰ أن= =مثل مثل الله ليس بشيء، كان هذا تصريحا بأنه تعالىٰ غير مسمىٰ باسم الشيء، وليس لقائل أن يقول «الكاف» في قوله: ليس كمثله حرف زائد لا فائدة فيه، لأن حمل كلام الله علىٰ اللغو والعبث وعدم الفائدة بعيد.

الحجة الثانية: قوله تعالىٰ: خالق كل شيء [الأنعام: 102 الرعد: 16 غافر: 62] ولو كان تعالىٰ داخلا تحت اسم الشيء لزم كونه تعالىٰ خالقا لنفسه وهو محال. لا يقال هذا عام دخله التخصيص، لأنا نقول هذا كلام لا بد من البحث عنه فنقول: ثبت بحسب العرف المشهور أنهم يقيمون الأكثر مقام الكل، ويقيمون الشاذ النادر مقام العدم.

إذا ثبت هذا فنقول: إنه إذا حصل الأكثر الأغلب وكان الغالب الشاذ الخارج نادرا، ألحقوا ذلك الأكثر بالكل، وألحقوا ذلك النادر بالمعدوم، وأطلقوا لفظ الكل عليه، وجعلوا ذلك الشاذ النادر من باب تخصيص العموم.

وإذا عرفت هذا فنقول: إن بتقدير أن يصدق على الله تعالى اسم الشيء كان أعظم الأشياء هو الله تعالى، وإدخال التخصيص في مثل هذا المسمى يكون من باب الكذب، فوجب أن يعتقد أنه تعالى ليس مسمى باسم الشيء حتى لا يلزمنا هذا المحذور.

الحجة الثالثة: هذا الاسم ما ورد في كتاب الله ولا سنة رسوله، وما رأينا أحدا من السلف قال في دعائه يا شيء، فوجب الامتناع منه، والدليل على أنه غير وارد في كتاب الله أن الآية التي يتوهم اشتمالها على هذا الاسم قوله تعالى: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم [الأنعام: 19] وقد بينا في سورة الأنعام أن هذه الآية لا تدل على المقصود، فسقط الكلام فيه.

فإن قال قائل: فقولنا: موجود ومذكور وذات ومعلوم، ألفاظ لا تدل على الشرف والجلال فوجب أن تقولوا إنه لا يجوز إطلاقها على الله تعالى. فنقول: الحق في هذا الباب التفصيل، وهو أنا نقول: ما المراد من قولك: إنه تعالى شيء، وذات، وحقيقة؟ إن عنيت أنه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود وشيء، فهو كذلك من غير شك ولا شبهة، وإن عنيت به أنه هل يجوز أن ينادى بهذه الألفاظ أم لا؟ فنقول لا يجوز.

لأنا رأينا السلف يقولون: يا الله يا رحمن يا رحيم إلى سائر الأسماء الشريفة، وما رأينا ولا سمعنا أن أحدا يقول: يا ذات يا حقيقة يا مفهوم ويا معلوم، فكان الامتناع عن مثل هذه الألفاظ في معرض النداء والدعاء واجبا لله تعالى. والله أعلم.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أنه تعالى حصلت له أسماء حسنة، وأنه يجب على الإنسان أن يدعو الله بها، وهذا يدل على أن أسماء الله توقيفية لا اصطلاحية. ومما يؤكد هذا أنه يجوز أن يقال: يا جواد، ولا يجوز أن يقال: يا سخي، ولا أن يقال يا عاقل يا طبيب يا فقيه. وذلك يدل على أن أسماء الله تعالى توقيفة لا اصطلاحية.

المسألة الخامسة: دلت الآية على أن الاسم غير المسمى لأنها تدل على أن أسماء الله كثيرة لأن لفظ الأسماء لفظ الجمع، وهي تفيد الثلاثة فما فوقها، فثبت أن أسماء الله كثيرة ولا شك أن الله واحد، فلزم القطع بأن الاسم غير المسمى وأيضا قوله: ولله الأسماء الحسنى يقتضي إضافة الأسماء إلى الله، وإضافة الشيء إلى نفسه محال. وأيضا فلو قيل: ولله الذوات لكان باطلا. ولما قال: ولله الأسماء كان حقا وذلك يدل على أن الاسم غير المسمى.

المسألة السادسة: قوله: ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها يدل علىٰ أن الإنسان لا يدعو ربه إلا بتلك الأسماء الحسنىٰ، وهذه الدعوة لا تتأتىٰ إلا إذا عرف معاني تلك الأسماء، وعرف بالدليل أن له إلها وربا خالقا موصوفا بتلك الصفات الشريفة المقدسة، فإذا عرف بالدليل ذلك فحينئذ يحسن أن يدعو ربه بتلك الأسماء والصفات، ثم إن لتلك الدعوة شرائط كثيرة مذكورة بالاستقصاء في كتاب «المنهاج» لأبي عبد الله الحليمي، وأحسن ما فيه أن يكون مستحضرا لأمرين: أحدهما: عزة الربوبية. والثانية: ذلة العبودية. فهناك يحسن ذلك الدعاء ويعظم موقع ذلك الذكر. فأما إذا لم يكن كذلك كان قليل الفائدة، وأنا أذكر لهذا المعنىٰ مثالا، وهو أن من أراد أن يقول في تحريمة صلاته الله أكبر، فإنه يجب أن يستحضر في النية جميع ما أمكنه من معرفة آثار حكمة الله تعالىٰ في تخليق نفسه وبدنه وقواه العقلية والحسية **أو** الحركية، ثم يتعدىٰ من نفسه إلىٰ استحضار آثار حكمة الله في تخليق جميع الناس، وجميع الحيوانات، وجميع أصناف النبات والمعادن، والآثار العلوية من الرعد والبرق والصواعق التي توجد في كل أطراف العالم، ثم يستحضر آثار قدرة الله تعالىٰ في تخليق الأرضين والجبال والبحار والمفاوز، ثم يستحضر آثار قدرة الله تعالىٰ في تخليق طبقات العناصر السفلية والعلوية، ثم يستحضر آثار قدرة الله تعالىٰ في تخليق أطباق السموات علىٰ سعتها وعظمها، وفي تخليق أجرام النيرات من الثوابت والسيارات، ثم يستحضر آثار قدرة الله تعالىٰ في تخليق الكرسي وسدرة المنتهىٰ، ثم يستحضر آثار قدرته في تخليق العرش العظيم المحيط بكل هذه الموجودات، ثم يستحضر آثار قدرته في تخليق الملائكة من حملة العرش والكرسي وجنود عالم الروحانيات، فلا يزال يستحضر من هذه الدرجات والمراتب أقصىٰ ما يصل إليه فهمه وعقله وذكره وخاطره وخياله، ثم عند استحضار جميع هذه الروحانيات/ والجسمانيات علىٰ تفاوت درجاتها وتباين منازلها ومراتبها، ويقول الله أكبر، ويشير بقوله- الله- إلىٰ الموجود الذي خلق هذه الأشياء وأخرجها من العدم إلىٰ الوجود، ورتبها بما لها من الصفات والنعوت، وبقوله- أكبر- أي أنه لا يشبه لكبريائه وجبروته وعزه وعلوه وصمديته هذه الأشياء بل هو أكبر من أن يقال: إنه أكبر من هذه الأشياء. فإذا عرفت هذا المثال الواحد فقس= =الذكر الحاصل مع العرفان والشعور، وعند هذا ينفتح علىٰ عقلك نسمة من الأسرار المودعة تحت قوله: ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها.

أما قوله تعالىٰ: وذروا الذين يلحدون في أسمائه فقيه مسائل:

المسألة الأولىٰ: قرأ حمزة يلحدون ووافقه عاصم والكسائي في النحل. قال الفراء: يلحدون ويلحدون لغتان: يقال: لحدت لحدا وألحدت، قال أهل اللغة: معنىٰ الإلحاد في اللغة الميل عن القصد.

قال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه. يقال: قد ألحد في الدين ولحد، وقال أبو عمرو من أهل اللغة: الإلحاد: العدول عن الاستقامة والانحراف عنها. ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر.

قال الواحدي رحمه الله: والأجود قراءة العامة لقوله تعالىٰ: ومن يرد فيه بإلحاد [الحج: 25] والإلحاد أكثر في كلامهم لقولهم: ملحد، ولا تكاد تسمع العرب يقولون لا حد.

المسألة الثانية: قال المحققون: الإلحاد في أسماء الله يقع علىٰ ثلاثة أوجه: الأول: إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة علىٰ غير الله، مثل أن الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة، ومن ذلك أنهم سموا أصناما لهم باللات والعزىٰ والمناة، واشتقاق اللات من الإله، والعزىٰ من العزيز، واشتقاق مناة من المنان. وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه بالرحمن. والثاني: أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به، مثل تسمية من سماه- أبا- للمسيح. وقول جمهور النصارىٰ: أب، وابن، وروح القدس، ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم علىٰ الله سبحانه ويسمونه به، ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم، لو فعل تعالىٰ كذا وكذا لكان سفيها مستحقا للذم، وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب. قال أصحابنا: وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله، فإنه ثبت بالدليل أنه سبحانه هو الخالق لجميع الأجسام، ثم لا يجوز أن يقال: يا خالق الديدان والقرود والقردان، بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذا الأذكار، وأن يقال: يا خالق الأرض والسموات يا مقيل العثرات يا راحم العبرات إلىٰ غيرها من الأذكار الجميلة الشريفة. والثالث: أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه، فإنه ربما كان مسماه أمرا غير لائق بجلال/ الله، فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء.

فإن قال قائل: هل يلزم من ورود الأول في إطلاق لفظه علىٰ الله تعالىٰ أن يطلق عليه سائر الألفاظ المشتقة منه علىٰ الإطلاق؟

وقال الخليل وابنه عليهما السلام: { وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم } (البقرة 128) و { تقبل منا إنك أنت السميع العليم } (البقرة 127)

وقال أيوب: { مسني الضر وأنت أرحم الراحمين } (الأنبياء 83) وعلم النبي – صلي الله عليه وسلم عائشة دعاء ليلة القدر: { اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا }[360]

وعلم الصديق دعاء الصلاة: { اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثير ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم }[361]

قلنا: الحق عندي أن ذلك غير لازم لا في حق الله تعالىٰ، ولا في حق الملائكة والأنبياء وتقريره: أن لفظ «علم» ورد في حق الله تعالىٰ في آيات منها قوله: وعلم آدم الأسماء كلها [البقرة: 31] علمك ما لم تكن تعلم

[النساء: 113] وعلمناه من لدنا علما [الكهف: 65] الرحمن علم القرآن [الرحمن: 1، 2] ثم لا يجوز أن يقال في حق الله تعالىٰ يا معلم، وأيضا ورد قوله: يحبهم ويحبونه [المائدة: 54] ثم لا يجوز عندي أن يقال يا محب. وأما في حق الأنبياء، فقد ورد في حق آدم عليه السلام: وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ [طه: 121] ثم لا يجوز أن يقال إن آدم كان عاصيا غاويا، وورد في حق موسىٰ عليه السلام: يا أبت استأجره [طه: 26] ثم لا يجوز أن يقال إنه عليه السلام كان أجيرا، والضابط أن هذه الألفاظ الموهمة يجب الاقتصار فيها علىٰ الوارد، فأما التوسع بإطلاق الألفاظ المشتقة منها فهي عندي ممنوعة غير جائزة.

ثم قال تعالىٰ: سيجزون ما كانوا يعملون فهو تهديد ووعيد لمن ألحد في أسماء الله. قالت المعتزلة: الآية قد دلت علىٰ إثبات العمل للعبد، وعلىٰ أن الجزاء مفرع علىٰ عمله وفعله.

[359] الآية 35 من سورة ص { قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي 000 الآية

[360] حديث عائشة –رضي الله عنها سبق تخريجه وهو مرفوعا عند الترمذي في سننه 5/ 534. وابن ماجة في سننه 2/ 1265. وأحمد في مسنده 42/ 236

[361] حديث أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 1/ 166 (834). ومسلم في صحيحة 4/ 2078(2705). والنسائي في سننه 3/ 53 (1302). والترمذي في سننه

وأما قول عيسي عليه السلام: { وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } (المائدة 118) ولم يقل: الغفور الرحيم، كما قال الخليل: { ومن عصاني فإنك غفور رحيم } (إبراهيم 36)

لأنه في مقام إن مغفرتك لهم عن عز وحكمه، فأخرجه مخرج التسليم، ولأن في ذكر الغفور، تعريض السؤال بالمغفرة، فعدل عنه، أو كأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزتي، ولا تخرج عن حكمتي:

واعلم أن للدعاء مراتب:

أحدها: أن يدعو الله بأسمائه وصفاته، والمناسب ذكر الصفة التي تقتضي المدعو، كما سبق.

الثاني: أن تدعوه لحاجتك وفقرك وذلك، فتقول: أنا العبد الفقير الذليل البائس المستجير، ونحوه

الثالث: أن تسأل حاجتك ولا تترك واحد منها. فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل، وهو عامة أدعية النبي – صل الله عيه وسلم وقد جمع الثلاثة تعليمه للصديق: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، وهذا حال السائل، ثم قال: وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وهذا حال

5/ 543 (3531) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن حبان في صحيحة 5/ 313 (1976). وابن خزيمة في صحيحة 2/ 29 (846). وأحمد في مسنده 1/ 187 (8)، وقال الكرماني: وهذا الدعاء من الجوامع = = إذ فيه اعتراف بغاية التقصير، وهو كونه ظالما ظلما كثيرا، وطلب غاية الإنعام التي هي المغفرة والرحمة، إذا المغفرة ستر الذنوب ونحوها، والرحمة إيصال الخيرات فالأول عبارة عن الزحزحة عن النار، والثاني إدخال الجنة وهذا هو الفوز العظيم.

مقتبس من تعليق مصطفي البغا علي صحيح البخاري 8/ 72

المسؤل، ثم قال: فاغفر لي، فذكر حاجته، وختم الدعاء باسم من أسمائه الحسني، مما يناسب المطلوب ويقتضيه.

العاشر: أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه، فهو أفضل من غيره، لتنصيص الشارع عليه، وتعليم الشرع خير من اختيار العبد، ولهذا قال أكثر أصحابنا: إن الدعاء المأثور في الطواف[362] أفضل من الاشتغال بالقراءة، فيستعمل بعد التشهد دعاءه المأثور فيه[363]، وبعد الصلاة كذلك[364]، وفي الاستخارة كذلك[365]، وفي

---

[362] الدعاء المأثور في الطواف عن عبد الله بن السائب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم بين الركعتين يقول: {ربنا آتنا في الدنيا حسنة. وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } أخرجه أبو داود في سننه 2/ 172 (1892) وابن حبان في صحيحة 9/ 134 (3826) وابن خزيمة في صحيحة 4/ 215 (2721) وأحمد في مسنده 24/ 120 (15399) والحاكم في المستدرك 1/ 625 (1673). وقال هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه. وابن شيبة في مصنفة 2/ 364 (874) وقال الألباني حديث حسن.

وهذا أصح من حديث أبي هريرة مرفوعا عند ابن ماجة 2/ 985 (2957) { من طاف بالبيت سبعا ولا يتكلم إلا بسبحان الله والحمد لله لا إله إلا الله والله أكبر 000 الحديث والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط 8/ 201 (8400) والحديث ضعفه غير واحد من أئمة الحديث منهم البوصيري والألباني وغيرهما.

وقال عن شخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي 26/ 122 " ويستحب له في الطواف أن يذكر الله تعالي بما شرع، وإن قرأ القرآن سرا فلا بأس، وليس فيه ذكر محدود عن النبي صلي الله عليه وسلم لا بأمره، ولا بقوله، ولا بتعليمه، بل يدعو فيه بسائر الأدعية الشرعية "

[363] ومما أثر عن النبي صلي الله عليه وسلم بعد التشهد وقبل السلام ما روي أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال } والحديث أخرجه مسلم في = صحيحة 1/ 412 (588) والنسائي في سننه 3/ 58

الحاجة[366] دعاؤها المأثور فيها، ويستعمل الأدعية الواردة عن الأنبياء الصادرة منهم، إذا كان مطلوبة ذلك.

(1310) وابن حبان في صحيحة 3/ 297 (1019). وأحمد في مسنده 16/ 147 (10180). وقال الألباني وشعيب الأرناؤوط: حديث صحيح

[364] وأما الأدعية المأثورة عن النبي صلي الله عليه وسلم بعد الصلاة فهي كثيرة جدا منها ما روي أبو هريرة مرفوعا { من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير، غفر له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر } رواه مسلم في صحيحة 1/ 418 (597) وأبو داود في سننه 2/ 81 (1504) والنسائي في سننه 3/ 79 (1354)

[365] عن جابر مرفوعا { إذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته }

أخرجه البخاري في صحيحة 8/ 81 (6382) والنسائي في سننه 6/ 80 (3253) والترمذي في سننه 345 (480) وقال: وفي الباب عن عبد الله بن مسعود وأبي أيوب. حديث جابر حسن صحيح قريب

[366] وأما صلاة الحاجة فلم يصح فيها حديث وكل ما ورد فيها من أحاديث إما ضعيف وإما موضوع، ومن أحسن ما ورد فيها ما روي عبد الله بن أبي أوفي مرفوعا { من كانت له إلىٰ الله حاجة، أو إلىٰ أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثن علىٰ الله، وليصل علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين ": «هذا حديث غريب وفي إسناده مقال، [ص:345] فائد بن عبد

قال جعفر الصادق[367]: عجبت لمن بلي بالضر كيف يذهل عنه أن يقول: { مسني الضر وأنت أرحم الراحمين } (الأنبياء 83) وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول: { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } (الأنبياء 87) والله تعالي يقول: { فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين } (الأنبياء 88) وعجبت لمن خاف شيئا أن يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، والله تعالي يقول: { فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء } (آل عمران 174). وعجبت لمن كويد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول: { وأفوض أمري إلي الله إن الله بصير بالعباد }(غافر 45) وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها، كيف يذهل عنه أن يقول: { ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله } (الكهف 39)[368]

الرحمن يضعف في الحديث. أخرجه الترمذي في سننه 2/ 344 (479) وقال: هذا حديث غريب وفي إسناده مقال وأخرجه ابن ماجة في سننه 1/ 441 (1384) وقال الألباني: ضعيف وأخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 366 (1199) والبزار في مسنده 8/ 300 (3374)

[367] هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب [80 – 148هـ = 699 –765م] من أفاضل التابعين، وله منزلة عالية في العلم، ومن تلامذته أبو حنيفة ومالك، وله حكم مأثورة، وأمثال سائرة، لكن الشيعة ينسبون إليه زورا أقوال لا تصح عنه.

[368] روي هذه الحكم والأدعية الجميلة عن الإمام جعفر الصادق الشيخ الشقيري الحوامدي في كتابه السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات 1/ 271، 272 وزاد علي ما حكاه الزركشي: يقول: { ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا }(الطلاق 4) وعجبت لمن بلي بضيق الرزق والهم والكرب، كيف يذهل عن انتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والله سبحانه وتعالي يقول: { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب } (الطلاق 2، 3) وعجبت لمن بلي بالذنوب كيف يذهل عن الاستغفار والله تعالي يقول { استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويعل لكم أنهارا } (نوح 10، 11، 12).

وهكذا سنة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه أن يمهد مقيله في ظل كفايته، فلا البلاء يمسه، ولا العناد يصيبه.

وقال بعض السلف: من أحب أن يكثر ماله وولده، ويبارك له في رزقه، فليقل: استغفر الله إنه كان غفارا في اليوم سبعين مرة، فإن الله سبحانه قال: { استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار }(نوح 10 ،11 ،12). وكذلك المواظبة علي أدعية وقعت للأولياء في حالات استجيب لهم، لا بأس بالمواظبة عليها لمن اتفقت له تلك الحالة، تفاؤلا أن يناله ما نالهم[369].

وعجبت لمن احتاج إلي أي أمر ديني أو دنيوي كيف يذهل عن الدعاء، والله تعالي يقول: { ادعوني استجب لكم }(غافر 60)

[369] تحديد عدد معين من الذكر في وقت معين هل هو بدعة أم لا ؟

إن كان هذا التحديد للعدد والوقت كي ينشط الإنسان من غفلته وينهض من رقدته، ويصحو من سباته فهذا جائز ولا بأس به، وقد ورد ذلك عن بعض الصحابة والتابعين فقد حكي سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان في تواريخ الأعيان 7/ 422 عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه كان يسبح في اليوم اثني عشر ألف تسبيحة ويقول اسبح بقدر ذنبي. وحكي ابن كثير في كتابه البداية والنهاية 11/ 379 هذا الأثر عن أبي هريرة ،" قال عكرمة كان أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، ويقول أسبح علي قدر ديتي.

وجاء في تاريخ الإسلام للذهبي 7/ 72: أن خالد بن معدان وكان من سادة التابعين كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة وفي سير أعلام النبلاء للذهبي 13/ 217 ط الرسالة: " أن عمير بن هاني كان يسبح كل يوم مائة ألف مرة، وكانو يصلون علي النبي صل الله عليه وسلم الف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة "

وأما تحديد ذكر معين بعدد معين لاعتقاد أن لهذا فضل خاص، وأن من قاله حصل له كذا وكذا فهذا من البدع التي نهينا عنها. والله أعلم

وقد رأيت أن أسرد الأدعية للأنبياء المحكية في القرآن، المقرونه بالإجابة، قال تعالي لنبيه:{ وقل رب زدني علما } (طه 114) { رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا } (الإسراء 80)

{ رب إما تريني ما يوعدون، رب فلا تجعلني في القوم الظالمين } (المؤمنين 93، 94) { وقل رب أعوذ بك من همزات الشيطان وأعوذ بك رب أن يحضرون } (المؤمنون 97، 98)

وقال عن آدم: { ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } (الأعراف 23)

وقال عن نوح: { رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات } (نوح28)

وقال إبراهيم وإسماعيل: { ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم } (البقرة 127)

{ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع } (إبراهيم 37)

وقال عن إبراهيم: { رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم } (الشعراء 83: 85)

وقال عن موسي: { رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، واحسلل عقدة من لساني يفقهوا قولي } (طه 25: 28)

{ رب بما أنعمت علي من فلن أكون ظهيرا للمجرمين } (القصص 17)

{ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير } (القصص 24)

وقال عن سليمان { رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلي والدي } (النمل 19)

وقال عن زكريا: { رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين } (الأنبياء 89)

{ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء } (آل عمران 38)

وعلي هذا النمط جميع ما أجراه الله علي ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو صديق كقوله: { ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } (البقرة 201)

{ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين } (البقرة 250)

{ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب } (آل عمران 8)

{ ربنا إننا أمنا فأغفر لنا ذنوبنا } (آل عمران 16)

{ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين } (آل عمران 53)

{ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا } (آل عمران 147)

{ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا } (النساء 75)

{ ربنا لا تجعلنا مع القوم الكافرين }[370]

{ ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين }(يونس 85)

{ ربنا اصرف عنا عذاب جهنم }(الفرقان 65)

{ ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان } (الحشر 10)

---

[370] لا يوجد في القرآن آية بهذا اللفظ، ولكن في سورة الأعراف الآية 47 قال تعالي { ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين }

{ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم } (الممتحنة 5)

{ ربنا أتمم لنا نورنا } (التحريم 8)

فهذه جملة من الدعوات التي اختارها الله لخاصة عبادة، وصفوة أوليائه، والمصطفين من أنبيائه ورسله، وفيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وفي سنن أبي داود: سألنا رسول الله – صل الله عليه وسلم – ما نقول في سجودنا ؟ فقال: { ما اصطفاه الله لملائكته: سبحان الله وبحمده }[371]

---

[371] عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال سألت النبي صلي الله عليه وسلم ما نقول في سجودنا ؟ قال: { ما اصطفي الله لملائكته: سبحان الله وبحمده } رواه النسائي في الكبرىٰ 9/ 303 (1059) وفي عمل اليوم والليلة 1/ 478 (824) ذكره الحافظ ابن كثير في جامع المسانيد والسنن 9/ 394 (12159) وقال: رواه النسائي عن إسحاق بن منصور، عن إسرائيل عن عبد الله بن المختار عن سعيد الحريري عنه به " ولم ينسبه الحافظ ابن كثير لأحد غير النسائي =

= وذكر الحديث الحافظ ابن الأثير في كتابة جامع الأصول 4/ 203 (2175) وقال أخرجه وسكت. وقال محققه: " هذا الحديث من زيادات رزين العبدري، وقد سبرت فيه السنة، ومسند أحمد، وموطأ مالك، والدارمي ومسند الحميدىٰ، وعبد بن حميد، وصحيح ابن خزيمة، فلم أقف عليه فيما ذكرت والله أعلم.

وذكره السيوطي في جمع الجوامع 7/ 472 (18637) ونسبه إلي النسائي فقط

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قلت يا رسول الله أي الكلام أحب إلي الله عز وجل ؟ قال: { ما اصطفاه لملائكته: سبحان الله وبحمده، سبحان الله وبحمده ثلاثا تقولها }

رواه مسلم في صحيحة 4/ 2093 (2731) والترمذي في سننه 5/ 576 (3593) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأحمد في مسنده 35/ 248 (21320). وابن شيبة في مصنفة 6/ 54(29418) والنسائي في الكبرىٰ 9/ 303 (10591)

هنا سقط من الحادي عشر حتي نهاية الحادي والعشرين ومكتوب علي حاشية الصفحة: سقط هنا من أصل المؤلف " وقد نقلناه من تلخيص الأزهية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وأثبتناه في نهاية الفصل الخامس

الثاني والعشرين: الدعاء للمؤمنين لا سيما إذا كان الداعي إماما أو مع جماعة: ففي الدعوات للمستغفري[372]، عن أبي برزة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – سمع رجلا يقول: اللهم اغفر لي، فقال: { ويحك لو عممت لا يستجيب لك }[373]

- وعن عمرو بن شعيب أنه عليه الصلاة والسلام، خرج من الصلاة وعمر يدعو فقال: اللهم اغفر لي، وارحمني فضرب منكبية ثم قال: { عمم في دعائك فإن بين دعاء العام والخاص، كما بين السماء والأرض }[374]

---

[372] هو جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد المستغفري النسفي [350 – 432هـ = 961 –1041م] كان خطيب نسف من بلاد ما وراء النهر وعالمها وإمامها، له مؤلفات قيمة منها: معرفة الصحابة، وكتاب الدعوات، ودلائل النبوة، وفضائل القرآن، وكتاب تاريخ نسف. وكثير غير ذلك.

[373] هذين الحديثين أو هاتين الروايتين ذكرهما ابن عابدين في الدر المختار 1/ 521، ونسبهما للمستغفري في الدعوات، وأوردهما ابن حجر الهيثمي في تحفة المحتاج في شرح المنهاج 2/ 88 ونسبهما للمستغفري في الدعوات أيضا وذكرهما أيضا الشيخ سليمان الجمل في حاشية الجمل علي شرح المنهج 1/ 391 ولم يخرجهما، ولم يعزهما لأي مصدر من مصادر الحديث المعروفة أو غير المعروفة. وذكرهما أيضا سراج الدين أبو حفص ابن النحوي والمشهور بابن الملقن في كتابه عجالة المحتاج إلي توجيه المنهاج 1/ 217، 218، ونسبهما إلي المستغفري أيضا قلت: ولم أقف علي هذين الحديثين أو هاتين الروايتين في أي مصدر من مصادر الحديث التي بين أيدينا.

[374] ما كتبناه في الهامش السابق هو ما نريد إثباته هنا.

- وروي المستغفري دعواته عن أبي هريرة مرفوعا: { ما من دعاء أحب إلي الله عز وجل من قول العبد: اللهم اغفر لأمة محمد رحمة عامه }[375]

- وفي السنن: { لا يؤمن رجل قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم، فإن فعل فقد خانهم }[376]

---

[375] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا العقيلي في الضعفاء 2/ 350 وابن القيسراني في تذكرة الحفاظ 1/ 282 (703) وقال ابن القيسراني وفي مسنده عمرو بن محمد الأعسم، وهو كذاب يضع الحديث وابن القيسراني أيضا في ذخيرة الحفاظ 4/ 2106 (4874) وقال: وفيه عمرو بن محمد وهو معروف بالوضع. وأخرجه أيضا الديلمي في مسند الفردوس 4/ 46 (6146) وأخرجه الفتني في تذكرة الموضوعات 1/ 58 وقال: فيه راوي الموضوعات. وأخرجه السيوطي في ذيل اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 2/ 623 (762) وقال: قال الحاكم عمرو الأعسم، روي أحاديث موضوعة، وكذا قال أبو نعيم.

واضطرب حكم الألباني علي هذا الحديث في السلسلة الضعيفة فقال مرة ضعيف جدا في 5/ 124 (2106) وقال مرة موضوع في 6/ 362 (2838). وقال الألباني: " قلت وهذا موضوع. آفته الأعسم هذا وهو عمرو بن محمد بن الأعسم، قال ابن حبان يروي عن الثقات المناكير وروي عنه أحمد بن الحسين بن عباد البغدادي أحاديث كلها موضوعة ". وفي ضعيف الجامع الصغير 1/ 143 (1007) قال الألباني: موضوع

[376] من حديث أبي أمامه – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أحمد في مسنده 36/ 472 (22152). وابن ماجة في سننه 1/ 202 (617) وابن أبي شيبة في مصنفة 2/ 185 (7934) والطبراني في الكبير 8/ 104(7505) ومن حديث ثوبان – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 1/ 22 (90) والترمذي في سننه 2/ 189 (357). وقال: " وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي أمامه، وحديث ثوبان حديث حسن " وابن ماجة ماجه في سننه 1/ 298 (923). والبخاري في الأدب المفرد 1/ 375 (1093). وأحمد في مسنده 37/ 96 (22415).

وكأن هذا محمول علي الدعاء الذي لا يقوله المأموم، أما ما يقوله المأموم والإمام فالأولي فيه الانفراد، وفي الصحيح في دعاء الاستفتاح: { اللهم باعد بيني وبين خطاياي }[377] .....الحديث

الثالث والعشرون: إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه، كما قال تعالي حكاية عن الخليل عليه السلام: { ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب } (إبراهيم 41). وعن نوح كذلك[378]

لا يقال: إنما قدما أنفسهما لأنهما نبيان فدرجتهما أعظم، لأنا نقول:

الدعاء تضرع، فتقديم الداعي نفسه أقرب، ولهذا لا يؤثر غيره علي نفسه في الصف الأول، ولا بالتقديم إلي ما فيه قربة كالآذان، والقراءة علي الأستاذ، لأن التأخير فيه نوع إعراض والأولي المسارعة، واستباق[379] لقوله تعالي: { فاستبقوا الخيرات } (البقرة 148)

---

[377] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 1/ 149 (744). ومسلم في صحيحة 1/ 419 (598). والنسائي في سننه 1/ 50 (60). وأبو داود في سننه 1/ 207(781). وابن حبان في صحيحة 5/ 74 (1775). والدار قطني في سننه 2/ 135 (1277). وابنخزيمة في صحيحة 3/ 35 (1579)

[378] يشير إلي قوله تعالي في آخر سورة نوح حكاية عن نوح عليه السلام: { رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي ممنا وللمؤمنين والمؤمنات }

[379] قال المصنف محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي في كتابه المنثور في قواعد الفقه 1/ 210: " الإيثار أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه، وعكسه الأثرة: وهي استئثاره عن أخيه بما هو محتاج إليه، ومنه قوله: – صلىٰ الله عليه وسلم – «ستلقون بعدي أثرة» والإيثار ضربان: (الأول): أن يكون فيما للنفس فيه حظ، فهو مطلوب كالمضطر يؤثر بطعامه غيره إذا كان ذلك الغير مسلما لقوله تعالىٰ {ويؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: 9]، كذا جزم به الرافعي تبعا للبغوي والإمام والشيخ أبي محمد في الفروق وغيرهم لكن كلام المتولي يقتضي المنع، فإنه قال

في كتاب (البغاة) في كلامه علىٰ دفع الصائل: إنه لو كان مضطرا، وولده مضطر لا يجوز له بذل الطعام له انتهىٰ. وغير الولد أولىٰ بالمنع لكنه قال في زكاة الفطر: ولأنه لو كان هو وأهله مضطرين، ومعه طعام قليل كان هو أولىٰ بالطعام، وكذا القول في سالك إذا جامع امرأته، ومعه ماء قليل يكفي غسل أحدهما كان هو أولىٰ (به) انتهىٰ. (وقال) الإمام في باب صول الفحل: لا خلاف في استحباب الإيثار، وإن أدىٰ إلىٰ هلاك المؤثر، وهو من شيم الصالحين، فإذا اضطر، وانتهىٰ إلىٰ المخمصة، ومعه ما يسد جوعته، وفي رفقته مضطر فآثره بالطعام، فهو حسن، وكذا القول في سائر الإيثارات التي يتدارك بها المهج، قال: ولا خلاف أنه لا يحل إيثار البهيمة، وكيف يظن هذا، ويجب قتل البهيمة؛ لاستبقاء المهجة، وقال والده في باب التيمم من الفروق: المضطر إن أراد الإيثار بما معه لاستحياء مهجة أخرىٰ كان له الإيثار، وإن خاف فوات مهجته. ومن دخل عليه وقت الصلاة، ومعه ما يكفيه لطهارته، وهناك من يحتاجه للطهارة لم يجز له الإيثار، والفرق بينهما أن الحق في الطهارة حق لله، فلا يسوغ فيه الإيثار، والحق في حال المخمصة حقه في نفسه، وقد علم أن المهجتين علىٰ شرف التلف إلا واحدة تستدرك بذلك الطعام فحسن إيثار غيره علىٰ نفسه. قال: ويقوي هذا الفرق مسألة المدافعة وهي أن الرجل إذا قصد قتل غيره ظلما، والمقصود يقدر علىٰ الدفع غير أنه يعلم أن الاشتغال بالدفع ربما يقتل القاصد كان للمقصود الاستسلام، وقد اختلف نص الشافعي (- رحمه الله -) في ذلك. انتهىٰ.

وذكر الرافعي في باب الصيال أنه لا يجب الدفع عن الغير عند الخوف علىٰ النفس قطعا (الثاني): في القربات كمن يؤثر بالصف الأول لغيره ويتأخر هو أو يؤثر بقربه من الإمام في الصلاة ونحوه، وظاهر كلام الشيخ أبي محمد السابق أنه حرام، وكذا قال الإمام في باب التيمم: لو دخل الوقت ومعه ما يتوضأ به فوهبه لغيره ليتوضأ= = به لا يجوز؛ لأن الإيثار إنما يكون فيما يتعلق بالنفوس والمهج لا فيما يتعلق بالقرب والعبادات، وقال في باب زكاة الفطر: لا أعرف خلافا في أنه ليس له الإيثار. وقال الشيخ عز الدين في (القواعد): لا إيثار في القربات فلا إيثار بماء المتيمم، ولا بالصف الأول، ولا بستر العورة في الصلاة؛ لأن الغرض بالعبادات التعظيم والإجلال، فمن آثر به فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه فيصير بمثابة من أمره سيده بأمر فتركه وقال لغيره قم به، فإن هذا يستقبح عند الناس بتباعده من إجلال الأمر وقربه (انتهىٰ). وأما النووي فجزم بالكراهة، فقال في شرح مسلم في حديث (ابن عمر): (كان إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه)، هذا نوزع فيه)

لوجهين: (أحدهما) أنه ربما استحيا منه إنسان فقام له من مجلسه من غير طيب قلبه فسد ابن عمر الباب ليسلم من هذا، (والثاني) أن الإيثار بالقرب مكروه، أو خلاف الأولىٰ فكان يمتنع من ذلك؛ لئلا يرتكب أحد بسببه مكروها، أو خلاف الأولىٰ بأن يتأخر عن موضعه من الصف الأول ويؤثر به ونحوه قال أصحابنا: وإنما يحمد الإيثار بحظوظ النفس وأمور الدنيا دون القرب. انتهىٰ. وذكر في باب الجمعة من (شرح المهذب): إنه لا يقيم من جلس ليجلس في موضعه، فإن قام باختياره لم يكره، فإن انتقل إلىٰ أبعد من الإمام كره، قال (الأصحاب): لأنه آثر بالقربة. انتهىٰ. وهذا كله يشكل عليه من يصلي في الصف الأول إذا جاء المنفرد ليصلي، فالمذهب أنه إن لم يجد فرجة فله أن يجر شخصا ويساعده المجرور، ومع هذا فقد فوت لنفسه قربة، وهو أجر الصف الأول، وهذا يخالف قولهم: إن الإيثار لا يكون في القرب بل في مسألة الوضوء قد أعطىٰ الماء من يؤدي به عبادة، وأما في مسألة الصف فقد فاته أجر الصف الأول ولم يحصل المصلي الثاني علىٰ أجر الأول كما في الوضوء. وفي الحديث الصحيح «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»، وهذا، وإن ورد في الإنفاق لكن استعمله بعضهم في أمور الآخرة أيضا والحاصل أن الإيثار بالقرب حرام، أو مكروه، أو خلاف الأولىٰ خلاف، وأما الإيثار بحقوق النفس فمستحب علىٰ الأصح، ومن هذا أيضا الدعاء فيستحب البداءة فيه بنفسه؛ لقوله: - صلىٰ الله عليه وسلم - «رحمة الله علينا وعلىٰ موسىٰ»، ومن ذلك إيثار الطالب غيره بنوبته في القراءة علىٰ الشيخ، وقد حكىٰ (الخطيب البغدادي) في كتابه (الجامع) عن قوم أنهم كرهوه؛ لأن قراءة العلم والمسارعة إليه قربة، والإيثار بالقرب مكروه. وقد يختلف في الإيثار بالشيء كما اختلف في أنه قربة أو لا، كما لو وجد بعض صاع، وهو محتاج إلىٰ إخراج فطرة نفسه وله زوجة وأقارب (، والأصح) أنه يقدم نفسه وقيل: زوجته، وقيل: يتخير. قال الإمام: ولعل قائله تلقىٰ مذهبه من مذهب الإيثار في النفقة لما رأىٰ الفطرة متلقاة من النفقة وهو ساقط؛ لأن الفطرة قربة، ولا إيثار في القرب. وقد تكلم الأئمة في إيثار عائشة لعمر (- رضي الله عنهما -) بدفنه عند رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - في حجرتها، وقولها: كنت أعددته لنفسي ولأوثرنه به، وأجابوا بأنه إيثار لمن رأىٰ أنه أولىٰ به منه؛ ولهذا طلب النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - الإيثار بشرابه من الشاب الجالس عن يمينه لمن هو أسن منه في الجانب الآخر. انتهي

وأخرج الترمذي عن أبي بن كعب: { أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – كان إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه }[380]

وقال: حسن غريب

الرابع والعشرون: التأمين عقب الدعاء، للداعي، والمستمع، كما في آخر الفاتحة، وفي سنن أبي داود، عن أبي زهير[381] قال: خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم – ذات ليلة فأتينا علي رجل قد ألح في المسألة، فوقف النبي صلي الله عليه وسلم – يستمع منه، فقال النبي صل الله عليه وسلم: { أوجب إن ختم } فقال رجل من القوم بأي شيء يختم ؟ قال: { بآمين، فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب } فأتي السائل الرجل فقال: اختم يا فلان بأمين، وأبشر[382].

ولشهاب الدين الحسيني كلام رائع عن الإيثار في القرب في كتابة غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر 1/ 358 في شرحه لقاعدة الإيثار في القرب مكروه وفي غيرها محبوب

[380] حديث أبي بن كعب – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 4/ 1850 (2380). وأبو داود في سننه 4/ 33 (3984). والترمذي وأحمد في سننه 5/ 463 (3385). وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح وأحمد في مسنده 35/ 64 (21126). وابن حبان في صحيحة 3/ 267، 268 (988). والنسائي في الكبرىٰ 10/ 165 (11248). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 28 (29226)

[381] قال أبو داود في سننه 1/ 247: " هو أبو زهير النميري وكان من صحابة رسول الله صل الله عليه وسلم"

[382] حديث أبي زهير النميري – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 1/ 247 (938). والطبراني في الكبير 22/ 296 (756). والبيهقي في الدعوات الكبير 2/ 330 (661). وابن أبي عاصم في الآحاد والمثانىٰ 3/ 119 (1442)

وفي المستدرك عن حبيب بن سلمة، وقال صلي الله عليه وسلم: { لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعض إلا أجابهم الله }[383]

- واعلم أن التأمين في الحقيقة دعاء، لأن معني آمين: " اللهم استجب لنا " وإنما ذكر بأعقاب الدعاء، لأنه قام مقام التلخيص، بعد التفصيل: فالداعي يفصل المقاصد في الدعاء، والمؤمن يأتي بكلمة ملخصة، وتشمل الجميع، فكأنهما يتعاونان علي الابتهال، فهذا يفصل، وهذا يجمل، وموقعها بعد الفاتحة، موقع قول القائل: " اللهم استجب لنا فيما دعوناك به من الهداية إلي الصراط المستقيم، وصراط الذين أنعمت عليهم، ولا تجعلنا من المغضوب عليهم، ولا من الضالين " فتلخص ذلك كله تحت آمين، فإن قالها الإمام فكأنه دعا مرتين، مفصلا ومجملا.

وإن قالها المأموم، واقتدي بالأمام حيث دعا بدعاء الفاتحة مفصلا هو به مجملا.

الخامس والعشرون: أن يمسح وجهه باليدين بعد الدعاء

ذكره الحليمي[384]، وغيره قال: والمعني فيه التفاؤل بأن كفيه قد ملئتا خيرا فيفيض منه علي وجهه، وجاء فيه أحاديث كثيرة منها:

- ما أخرجه الترمذي عن عمر قال: { كان رسول الله صلي الله عليه وسلم – إذا رفع يديه في الدعاء، لم يحطهما حتىٰ يمسح بهما علي وجه }[385]. وقال غريب

---

[383] حديث حبيب بن سلمة الفهري – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الحاكم في المستدرك 3/ 390 (5478) وصححه، وسكت عنه الذهبي في التخليص. وأخرجه الطبراني في الكبير 4/ 21 (3536) والبيهقي في دلائل النبوة 7/ 113

[384] المنهاج في شعب الإيمان 2/ 315

[385] حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 463 (3386). وقال: " هذا حديث غريب " والحاكم في المستدرك 1/ 719 (1967).

وأخرج أبو داود من حديث السائب بن يزيد، عن أبيه، ونحوه[386] وأما قول الشيخ عز الدين[387] في فتاوية الموصلية: " مسح الوجه باليد لا يفعله إلا جاهل "[388] محمول

والبزار في مسنده 1/ 243 (129). والطبراني في الأوسط 7/ 124 (7053). والطبراني في الدعاء 1/ 87 (212). وعبد بن حميد في مسنده 1/ 94(39)

وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم –: { إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم } رواه أبو داود في سننه 2/ 78 (1485) وقال أبو داود: " روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب من طرق كلها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف " أيضا " وأخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 719 (1968). وابن ماجة في سننه 1/ 308 (959). وقال الألباني: حسن. وعيد بن حميد في مسنده 1/ 236 (715).و الطبراني في الكبير 10/ 319 (10779). والبيهقي في السنن الكبرئ 2/ 301 (3151). وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق 1/ 18 (5)

[386] حديث السائب بن يزيد عن أبيه أن النبي صلي الله عليه وسلم { كان إذا دعا فرفع يديه، مسح وجهه بيده } . أخرجه أبو داود في سننه 2/ 79 (1492). وأحمد في مسنده 29 / 462(17943) والطبراني في الكبير = 22/ 241 (631) والبيهقي في الدعوات الكبير 1/ 421 (310) وأبو نعيم في معرفة الصحابة 5/ 2787 (6614)

[387] هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي الشهير بالعز بن عبد السلام والملقب بسلطان العلماء [577 – 660هـ =1181 –1262م] من كبار فقهاء الشافعية بلغ رتبة الاجتهاد، له مواقف شهيرة في الصدع بكلمة الحق أمام الحكام، وله تصانيف شهيرة وكثيرة منها: التفسير الكبير، والإلمام في أدلة الأحكام، وقواعد الشريعة، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام.

[388] الفتاوي بسلطان العلماء ص 47 الناشر دار المعرفة بيروت 1406هـ =1986م تحقيق عبد الرحمن عبد الفتاح. وجاء فيه: " ولا يستحب رفع اليدين ي الدعاء إلا في المواطن التي رفع فيها رسول الله صل الله عليه وسلم يديه، ولا يمسح وجهه بيديه عقيب الدعاء إلا جاهل " وقال البيهقيٍ في السنن الكبرئ 2/ 300 " فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء، فلست أحفظه عن أحد من السلف في الدعاء القنوت، وإن كان يروي عن بعضهم خارج الصلاة، وقد روي فيه عن النبي صل الله عليه وسلم – حديث فيه ضعيف، وهو مستعمل عند بعضهم خارج

علي أنه لم يطلع علي هذه الأحاديث، وهي وإن كانت أسانيدها لينة، ولكنها تقوي باجتماع طرفها.

السادس والعشرون: أن يحمد الله إذا عرف الإجابة، ويشكره، ذكره الحليمي[389]، وهو من الآداب اللاحقة.

السابع والعشرون: قال: أن لا يخلي يوما ولا ليلة من الدعاء، ففي الحديث: { لكل مسلم ومسلمة في كل يوم وليلة دعوة مستجابة }[390] وأيضا فإنه عبادة، ولا يليق

الصلاة، وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخير صحيح ولا أثر ثابت، ولا قياس، فالأولي أن يفعله، ويقتصر علي ما فعله السلف رضي الله عنهم، من رفع اليدين دون مسحها بالوجه في الصلاة وبالله التوفيق "

وقال النووي في المجموع 3/ 500: " وأما مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، فوجهان " اشهرهما " أنه يستجيب وممن قطع به القاضي أبو الطيب، والشيخ أبو محمد الجويني، وابن الصباغ، والمتولي، والشيخ نصر في كتبه، والغزالي، وصاحب البيان.

والثاني: لا يمسح وهذا هو الصحيح، وصححه البيهقي، والرافعي وآخرون "

[389] قال الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان 1/ 535: " روي عن النبي صل الله عليه وسلم أنه قال: { ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة في نفسه، فشفي من مرض أو قدم من سفر أن يقول: الحمد لله الذي بعزته وجلاله فتم الصالحات، وإذا أبطأ عليه شيء من ذلك أن يقول: الحمد لله علي كل حال، وهذا أيضا علي حسن الظن بالله جل جلاله، وأنه لم يؤخر الإجابة إلا لحين علمه لعبده، وأراد به، ولم يستشعر به، ولا بأسا يمنعه عن الدعاء في المستقبل، وقال اللهم لك الخلق و الأمر، تفعل ما تريد، وأنت علي كل شيء قدير }

[390] حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { لكل عبد مسلم كل يوم دعوة مستجابة يدعو الله عز وجل فيستجيب له } أخرجه البراني في الدعاء 1/ 33 (40) واللفظ له. ورواه الكبراني في الأوسط 6/ 275 (6401) بلفظ { إن لله عتقاء من النار في كل يوم وليلة، ولكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة } ورواه ابن شاهين في فضائل الأعمال 1/ 54 (148). ورواه أيضا ابن بشران في الأماني 1/ 306(701) وابن أبي الدنيا في حسن الظن

بحال المؤمن تركها، وأقل ما في تركه يوما وليلة أن يكون مكروها لأن الزمان يوم وليلة، وما وراءها تكرار لها.

الثامن والعشرون: قال: أن يتخير للدعاء الأوقات، والأحوال، والمواطن المرجو فيها الإجابة، فينبغي تحري أوقات النجاح.

ترتيب هذه الأداب:

تنقسم إلي ظاهرة وباطنه، فأما الباطنة.

فالتوبة الخالصة، وحضور القلب، أو جمع الهمة في خلوة، والثقة بالله، والخيفة، والتضرع، وقرع النفس بالتخويف، والتفويض إلي الله، وقطع النظر عمن سواه، كصاحب آل فرعون، وناصح موسي عليه السلام، واجتناب المحرمات، والتعفف عن الشبهات، وتجنب البأس من الإجابة، والأصل أن يكون مطعمه من الحلال

قال بعضهم: ولا يكمل حال الذاكر إلا وهو خالي المعدة من الطعام. تطرق إطراق العبد الخاضع بتوهم حصول الإجابة، ويقطع عنه الأصوات[391]، ألا تري ما

بالله 1/ 122 (150) وعن أبي هريرة أخرجه أحمد في مسنده 12/ 420 (7450) والبيهقي في الدعوات الكبير 2/ 235 (666) وابن بشران 1/ 61 (1072) وأبو النعيم في حلية الأولياء 8/ 257

[391] واعلم أن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط، فشرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر إلا الله، وأن الوسائط في قبضته، ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله تعالىٰ لا يستجيب دعاء من قلب لاه، وأن يكون متجنبا لأكل الحرام ولا يمل من الدعاء، ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه الصلاة والسلام: ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم.

في الحديث في التأمين بعد الحمد، أن الملائكة تقول: آمين، ووافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ماتقدم من ذنبه[392]

قال ابن عطاء الله: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار إلىٰ السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه نجح، فأركانه حضور القلب والخشوع وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن، كما قال بعضهم:

ينادي ربّه باللحن ليث... كذلك إذ دعاه لا يجاب

وقيل: إن الله تعالىٰ لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة، وهي الطنبور، ولا صاحب كوبة، وهي الطبل الكبير الضيق الوسط. ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه. لما روي عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن الله ربكم حي كريم ليستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا». أو أن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء، لما روي عن عمر قال:

كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتىٰ يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره إلىٰ السماء لقوله صلىٰ الله عليه وسلم: «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلىٰ السماء عند الدعاء، أو ليخطفن الله أبصارهم» وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالىٰ: ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

المستطرف في كل فن مستطرف 1/ 480

[392] عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه } وقال ابن شهاب: وكان رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: آمين. " حديث صحيح رواه البخاري في صحيحة 1/ 156 (780). ومسلم في صحيحة / 306 (410) والترمذي في سننه 2/ 30 (250). وقال " حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح " وابن خزيمة في صحيحة 1/ 286 (570). وابن حبان في صحيحة 5/ 106 (1804)

وأما آدابه الظاهرة:

فيقدم الصدقة، والصوم، والطهارة الشرعية، والصلاة بعدها، والمقام علي استقبال القبلة، والتطيب بطيب، فإن الملائكة تحب ذلك، وخفض الصوت، وحنينه، وأنينه، ورفع الأيدي وتشريك الأخوان من المؤمنين، وتقديم الثناء علي الدعاء كما في الفاتحة، والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم في أول الدعاء، ووسطه وآخره، فإنها الجناح التي يصعد بها خالص الدعاء إلي عنان السماء، وسؤال الكثير دون اليسير، فإن الله لا يتعاظمة شيء، والأصل في ذلك قوة اليقين للتأثير، ولذلك الأولياء تأخذهم الرعدة في الذكر[393]

---

[393] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الزهد والورع والعبادة 1/ 145: " وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن طلب الجنة من الله والاستعاذة به من النار هو من أعظم الأدعية المشروعة لجميع المرسلين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن ذلك لا يخرج عن كونه واجبا أو مستحبا وطريق أولياء الله التي يسلكونها لا تخرج عن فعل واجبات ومستحبات اذ ما سوىٰ ذلك محرم أو مكروه أو مباح لا منفعة فيه في الدين ثم انه لما أوقع هؤلاء في هذا الغلط أنهم وجدوا كثيرا من الناس لا يسألون الله جلب المنافع ودفع المضار حتىٰ طلب الجنة والاستعاذة من النار من جهة كون ذلك عبادة وطاعة وخيرا بل من جهة كون النفس تطلب ذلك فرأوا أن من الطريق ترك ما تختاره النفس وتريده وأن لايكون لأحدهم ارادة أصلا بل يكون مطلوبه الجريان تحت القدر كائنا من كان وهذا هو الذي أدخل كثيرا منهم في الرهبانية والخروج عن الشريعة حتىٰ تركوا من الأكل والشرب واللباس والنكاح ما يحتاجون اليه وما لا تتم مصلحة دينهم الا به فإنهم رأوا العامة تعد هذه الأمور بحكم الطبع والهوىٰ والعاده ومعلوم أن الأفعال التي علىٰ هذا الوجه لا تكون عبادة ولا طاعة ولا قربة فرأىٰ أولئك الطريق الىٰ الله ترك هذه العبادات والأفعال الطبعيات فلازموا من الجوع والسهر والخلوة والصمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ واحتمال المشاق ما أوقعهم في ترك واجبات ومستحبات وفعل مكروهات ومحرمات وكلا الأمرين غير محمود ولا مأمور به ولا طريق الىٰ الله طريق المفرطين الذين فعلوا هذه الأفعال المحتاج اليها علىٰ غير وجه العبادة والتقرب الىٰ الله وطريق المعتدين الذين تركوا هذه الأفعال بل المشروع أن تفعل بنية

وفي الحديث الصحيح شدة حلول العرق من النبي – صلي الله عليه وسلم وتحرره في اليوم الشاتي، واحمرار وجهه عند الوحي، وذلك لأنه في أعلي رتب الكمال – صلي الله عليه وسلم[394]

التقرب الىٰ الله وأن يشكر الله قال الله تعالىٰ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالىٰ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله فأمر بالأكل والشرب فمن أكل ولم يشكر كان مذموما ومن لم يأكل ولم يشكر كان مذموما وفي الصحيح عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضىٰ عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لسعد انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتىٰ اللقمة تضعها في في امرأتك وفي الصحيح أيضا أنه قال نفقة المؤمن علىٰ أهله يحتسبها صدقة فكذلك الأدعية هنا من الناس من يسأل الله جلب المنفعة له ودفع المضرة عنه طبعا وعادة لا شرعا وعبادة فليس من المشروع أن ادع الدعاء مطلقا لتقصير هذا وتفريطه بل أفعله أنا شرعا وعبادة ثم اعلم أن الذي يفعله شرعا وعبادة انما يسعىٰ في مصلحة نفسه وطلب حظوظه المحمودة فهو يطلب مصلحة دنياه وآخرته بخلاف الذي يفعله طبعا فإنه انما يطلب مصلحة دنياه فقط كما قال تعال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

[394] وهذا مأخوذ من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها: { ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا } وهو الحديث الثاني في صحيح البخاري 1/ 6 (2) ومسلم في صحيحة 4/ 1816 (2333) والنسائي في سننه 2/ 146 (933). والترمذي في سننه 5/ 597 (3634). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن حبان في صحيحة 1/ 225 (38)

تكملة الفصل الخامس

الآداب الساقطة من الأصل والتي نقلناها من كتاب تلخيص الأزهية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري:-

1- أن يجعل بطون الكفين إلي الوجه وظهورهما إلي الأرض للأمر به في خبر رواه الحاكم.

واستثني من ذلك ما يشتد فيه الأمر كالاستسقاء فيعكس ذلك للاتباع رواه مسلم.

2- أن يكشفهما

قال الخطابي ونكره الإشارة فيه بإصبعين، وإنما يشير بسبابة يده اليمني.

قال الغزالي: ولا يرفع بصره إلي السماء.

3 – اجتناب السجع واجتناب ازدواج الألفاظ، تبعا للسلف فإنهم يكرهون ذلك. والمعني فيه: أن مقام الدعاء مقام تذلل وخضوع وخشوع، والسجع تكلف وتصنع، وذلك ينافيها.

وأما ما وقع في الحديث، من نحو قوله: { تائبون، آيبون، لربنا حامدون } وقوله: { اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع }. فلم يقع قصدا، بل اتفاقا، فمحل كراهة ذلك إذا وقع بتكلف.

4 – بسط الدعاء، لما فيه من إظهار شدة الافتقار وقول بعضهم: إن أدعية السلف لا تزيد علي سبع كلمات، فيه نظر.

فإن قلت: ذكروا أن التعرض بالحاجة في الدعاء أولي من التصريح بها، فإن ذلك طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالي: { وأيوب إذ نادي ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين } (الأنبياء 83) فعرض ولم يصرح.

وعن موسي عليه السلام: { رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير } (القصص24)

وعن يونس عليه السلام: { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } (الأنبياء 87)

وكان نبينا يرفع بصره إلي السماء متعرضا للدعاء، فقيل له: { قد نري تقلب وجهك في السماء} (البقرة 144)

قلنا: ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فرب قوم مخلصين لله تعالي، ناظرين إلي صفاته، عابدين لذاته وصفاته، لا طمعا في ثوبه، ولا خوفا من عقابه، خشوا من التصريح بالمقتضي فعرضوا.

5 – الاقتصار علي جوامع الدعاء كقوله: { ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } (البقرة 201) وقوله: { اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل } لأنه إذا دعا بها فقد سأل الله تعالي كل خير. فإن عرضته حاجة معينة نص عليها.

ومعني الحسنة في الآية: ما يكون حسنا، ولم يرد حسنة واحدة.

والأولي أن لا يجاوز الدعوات المأثورة، فإنه قد يسأل في الدعاء بغيره ما لا تقتضيه مصلحة، فما كل أحد يحسن الدعاء.

6 – الجد في الطلب والإلحاح فيه، لخبر { إن الله يحب الملحين في الدعاء }. ولخبر { يأتي عليكم زمان لا ينجو منه إلا من دعا دعاء الغريق } رواه الحاكم وقال صحيح علي شرط الشيخين.

7 – أن يدعو ثلاثا للاتباع. رواه مسلم

8 – أن يعترف بالإساءة، وأنه لا يطلب الإجابة إلا من محض فضل الله تعالي، ويستحضر أن ذنوبه مانعه له، وأنه لا يقيم لعمل من أعماله وزنا.

وقال ابن عيينة: لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعكم منه ما تكرهون من أنفسكم، فقد استجاب الله تعالي لإبليس وهو شر الخلق وقد مر هذا.

9 – المحافظة علي الدعاء في الرخاء كما في الشدة لخبر الترمذي والحاكم، وقال صحيح الإسناد: { من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء }

10 – العزم في السؤال، لأنه طلب بتذلل، والتذلل في عزم الطلب أشد منه في التعليق بالمشيئة، لخبر الصحيحين: { إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء فلا يقل: اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله يفعل ما يشاء، فلا مستكره له }

وإنما كره ذلك لأن فيه ظهور الاستغناء، إذ لا يستعمل هذا اللفظ إلا فيما لا يضطر إليه بخلاف ما يضطر إليه فإنه يعزم عليه، ويبالغ فيه.

11 – تفريغ القلب للدعاء، ففي الترمذي:{ اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه}

12 – خفض الصوت، قال تعالي: { واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة } (الأعراف 205) { إذ نادي ربه نداء خفيا } (مريم 3) { ادعو ربكم تضرعا وخفية } (الأعراف 55) والمعني في ذلك: أنه أخشع.

الفصل السادس في أماكن وأزمته
وأحوال نص الشارع علي استحباب الدعاء بها

فأما الأماكن:

فمنها مكة: ففي الصحيحين عن ابن مسعود { لما دعا النبي صلي الله عليه وسلم – علي قريش، شق عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة }[395]

وقال الحسن البصري[396]: " الدعاء مستجاب هناك في خمسة عشر موضعا: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت، وعند زمزم، وعلي الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام، وفي عرفات، والمزدلفة، ومني، وعند الجمرات "[397]

ومنها: بيت المقدس، ففي صحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم –: { إن سليمان بن داود سأل الله تعالي ثلاثا، فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة }، سأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه، وسأله

---

[395] حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أخرجه البخاري في صحيحة 1/ 57 (240). ومسلم في صحيحة 3/ 1418 (1794) والنسائي في سننه 1/ 161 (307). وابن حبان في صحيحة 14/ 530 (6570) وأبو داود الطيالسي في مسنده 1/ 254 (323) وابن أبي شيبة في مصنفة 7/ 331 (36563). وأحمد في مسنده 6/ 265 (3722)

[396]) هو أبو سعيد الحسن بن بسار البصري [21 – 110هـ = 642 –728م] إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه قال عنه حجة الإسلام الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة تتصبب الحكمة من فيه

معجم الأدباء 3/ 1023. والسلوك في طبقات العلماء والملوك 1/ 125. الوافي بالوفيات 12/ 190

[397] ورد هذا الأثر عن الحسن البصري في كتابه فضائل مكة 1/ 24، 25 الناشر مكتبة الفلاح الكويت. تحقيق سامي مكي العاني.

حكما يوافق حكمه، فأعطاه إياه، وسأله من أين أتي هذا البيت، يريد بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه، أن يخرج منه كيوم ولدته أمه، فقال رسول الله – صلي الله عليه وسلم –: { وأنا أرجوا أن يكون قد أعطاه الثالثة }[398]

ورواه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح علي شرط الشيخين، ولا أعلم له عله "[399].

وقال الحليمي: وأما المواطن، ففي الحديث: { لا ترفع الأيدي إلا في سبع مواطن } . أي ترفع الأيدي بالدعاء، إلا في هذه المواطن لظهور فضلها[400].

قال الشيخ علاء الدين القونوي[401]: ويحتمل " لا ترفع الأيدي " أي في بعض الأحوال بمكة – شرفها الله – إلا في المواطن المذكورة، جمعا بينه، وبين الحديث الآخر، في استحباب رفع اليد مطلقا.

---

[398] حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما –أخرجه مرفوعا ابن حبان في صحيحة 4/ 511 (1633) و14/ 330 (6420). وأحمد في مسنده 11/ 219 (6644) وقال الألباني صحيح. وابن خزيمة في صحيحة 2/ 288 (1334). والنسائي في الكبرئ 1/ 385 (774). وابن ماجة في سننه 1/ 452 (1408). وأبو داود والطبراني في الأوسط 9/ 15 (8989) والبيهقي في شعب الإيمان 6/ 58 (3877) وقال محمد فؤاد عبد الباقي تعليقه علي سنن ابن ماجة 1/ 453: " ومعني قوله { حكما يوافق حكمه } أي يوافق حكم الله، والمراد التوفيق للصواب في الاجتهاد وفصل الخصومات بين الناس "

[399] حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أخرجه الحاكم في المستدرك 2/ 471 (3624)

[400] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي 1/ 539. وسيأتي تخريج الحديث بعد قليل

[401] علاء الدين القونوي [668 – 729هـ =1270– 1329م] هو علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي، المعروف بالقونوي، الفقيه الشافعي الأصولي، قاض القضاة، والقونوي نسبه إلي قونية من بلاد الروم، قدم دمشق، وسمع من ابن القيم، وابن دقيق العبد، وابن الصواف، أقام بالقاهرة

وهذا الحديث أخرجه الطبراني في معجمه من حديث ابن عباس، عن النبي صلي الله عليه وسلم – قال: { لا ترفع الأيدي إلا في سبع مواطن: حين يفتتح الصلاة، وحين يدخل المسجد الحرام فينظر إلي البيت، وحين تقوم علي الصفا، وحين يقوم علي المروة، وحين يقف مع الناس عشية عرفة بجمع، والمقامين حين يرىٰ الجمرة }[402]

ورواه البزار[403] في مسنده، وقال " إنما قال: ترفع الأيدي، ولم يقل: لا ترفع الأيدي إلا في هذه المواضع "[404]

ثلاثين سنة، إذا طلع الفجر خرج للصلاة ويستمر في إفادة الطلبة إلي صلاة الظهر، ترك تصانيف نافعة، منها: شرح الحاوي، ومختصر المنهاج للحليمي، والتصوف شرح التعرف في التصوف الوافي بالوفيات 20/ 148، وطبقات الشافعية لابن السبكي 10/ 132، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر 6/ 190

[402] حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه ابن خزيمة في صحيحة 4/ 209 (2703) والطبراني في الكبير 11/ 385 (12072). وابن أبي شيبة في مصنفة 1/ 214 (2450) والبيهقي في السنن الكبرىٰ 5/ 117 (9210) وفي خلاصة الأحكام للنووي 1/ 355: " قال البخاري وغيره: هو ضعيف مرسل، وقد ثبت الرفع في مواضع كثيرة غير هذه "

[403] البزار [ت.292هـ =905م] هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار صاحب المسند المشهور المسمي البحر الزخار مسند البزار، قال الخطيب عنه: كان ثقة حافظا، وضعفه الدار قطني.

مصباح الأريب في تقريب الرواه 1/ 126. وقلادة البحر في وفيات أعيان الدهر 2/ 646. وتذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ 1/ 38.ومعجم شيوخ الطبري 1/ 95

[404] الفارق بين قوله { ترفع الأيدي } وقوله { لا ترفع الأيدي } فارق كبير فمعني الأولي: أن الأيدي ترفع في هذه المواطن وفي غيرها، ومعني الثانية: أن الأيدي لا ترفع إلا في هذه المواطن، والرفع مقصور ومحصور علي هذه المواطن، ولا يجوز الرفع في غير هذه المواطن، ورغم هذا الاختلاف

وأما الأوقات:

فمنها يوم عرفة من السنة

رمضان من الشهور

يوم الجمعة من الأسبوع، وكذلك يوم الأربعاء، ووقت السحر من ساعات الليل.

الكبير في المعني إلا أني وجدت الروايتين فعند ابن خزيمة في صحيحة 4/ 209 (2703) { ترفع الأيدي في سبعة مواطن 000الحديث.

وفي الطبراني 11/ 385 (12072) { لا ترفع الأيدي 000الحديث. بل عند ابن أبي شيبة في مصنفة 3/ 436 (15748) عن ابن عباس { ترفع الأيدي 000الحديث. وعند ابن أبي شيبة أيضا 3/ 436 (15752) عن ابن عباس { لا ترفع الأيدي 000الحديث

وحقق هذه المسألة العلامة الكبير أبو بكر البيهقي في كتابه الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة 2/ 374 فقال: " هذا حديث واه من أوجه كثيرة:

أولها: تفرد ابن أبي ليلىٰ بروايته، وقد اتفق أئمة الحديث علىٰ ترك الاحتجاج بروايته.

والثاني: رواية وكيع بن الجراح عن ابن أبي ليلىٰ موقوفا علىٰ ابن عباس وابن عمر – رضي الله عنهما –، ووكيع أثبت من كل من روىٰ هذا الحديث عن ابن أبي ليلىٰ.

والثالث: رواية جماعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة المأثورة عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس أنهما كانا يرفعان أيديهما عند الركوع وبعد رفع الرأس منه، كما قدمنا ذكره وقد أسنداه عن رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم –.

والوجه الرابع: لوهن هذا الحديث: أن شعبة بن الحجاج – رحمه الله – قال: لم يسمع الحكم من مقسم إلا أربعة أحاديث، وليس هذا الحديث منها.

والوجه الخامس: أن في جميع هذ الروايات: "ترفع الأيدي في سبع مواطن"، وليس في رواية منها: لا ترفع الأيدي إلا في سبع مواطن، ويستحيل أن يكون: لا ترفع الأيدي إلا في سبع مواطن، وقد تواترت الأخبار المأثورة بأن الأيدي ترفع في مواطن كثيرة غير المواطن السبعة، فمنها الاستسقاء، ودعاء رسول الله – صلىٰ = = الله عليه وسلم – لدوس، ورفع رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – يديه في الدعاء في الصلوات وأمره به، ورفع اليدين في القنوت في صلاة الصبح والوتر".

قال الشافعي رضي الله عنه: " بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: ليلة الجمعة، والعيدين، وأول رجب، ونصف شعبان "[405]

فأما ما جاء يوم عرفة: ففي الموطأ لمالك مرفوعا: { أفضل الدعاء يوم عرفة }[406]. وقال عليه السلام: { ما رؤي الشيطان أحقر ولا أصغر منه يوم عرفة، وذلك لما يري من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام }[407]

قال الطرطوشي: وهذا عام في سائر أقطار الدنيا لا يختص بعرفة نفسها، ولم يزل العلماء والصالحون يخلون بربهم عشية عرفة، ويرتادون مواضع الخلوات، ويدعون ربهم خاشعين مخبتين، يرجون بركة الدعاء فيها.

وأما ليلة الجمعة: ففي الترمذي من حديث ابن عباس في تعليم النبي – صلي الله عليه وسلم – لعلي دعاء الحفظ: { إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في

---

[405] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – موقوفا، قال: { خمس ليال: لا يرد فيهن الدعاء: ليلة الجمعة، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان وليلتي العيدين } أخرجه عبد الرازق في مصنفة 4/ 317 (7927) والبيهقي في شعب الإيمان 5/ 288 (3440). والبيهقي أيضا في فضائل الأوقات 1/ 311 (149) وأما قول الشافعي: " الدعاء يستجاب في خمس ليال 00" فقد رواه الشافعي في الأم 1/ 264 والبيهقي في السنن الكبرئ 3/ 445 (6293). وفي شعب الإيمان 5/ 278 (3438). وأخرجه البهقي أيضا في معرفة السنن والآثار 5/ 118 (7028)

[406] حديث طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – سبق تخريجه وهو عند مالك في الموطأ 2/ 300. وعبد الرازق في مصنفة 4/ 378

[407] حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز أخرجه مرسلا مالك في الموطأ 3/ 621 (1597) وعبد الرازق في مصنفة 5/ 17 (8832). والبيهقي في شعب الإيمان 5/ 498 (3775) والبيهقي في فضائل الأوقات 1/ 355 (182) وقا ل: " هذا مرسل حسن، وروي من وجه أخر ضعيف عن طلحة عن أبي الدرداء عن النبي – صلي الله عليه وسلم – وابن إسحاق الفاكهي في أخبار مكة 4/ 321 (2762)

ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه: { سوف استغفر لكم ربي } (يوسف 98). يقول: حتىٰ تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع ففي وسطها، فإن لم تستطع ففي أولها }[408]. الحيث بطوله أخرجه الترمذي، وقال: " حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم ". وذكره ابن الجوزي في موضوعاته، من طريقين: أحدهما: هذه، والثانية: فيها محمد بن

---

[408] حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 563 (3570). وقال: " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. وأخرجه أيضا الحاكم في المستدرك1/ 461 (1190). وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين، ولم يخرجاه وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير 2/ 135 (527) وذكره العقيلىٰ في الضعفاء الكبير 4/ 21، وقا ل: ليس له أصل. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات 2/ 139، وقال إسناده فيه الفقاش وهو كذاب. وأورد السيوطي في اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة 2/ 57، وقال: موضوع.=

=وأخرج الطبراني في الكبير 6/ 218 (6056) عن ابن سيرين قال: " كان أبو الدرداء يحيي ليلة الجمعة ويصوم يومها فأتاه سلمان، وكان النبي صلي الله عليه وسلم آخي بينهما، فأقام عنده، فأراد أبو الدرداء أن يقوم ليلته، فقام إليه سلمان فلم يدعه، حتىٰ نام وأفطر، فجاء أبو الدرداء إلي النبي صلي الله عليه وسلم فأخبره، فقال النبي صلي الله عليه وسلم: { عويمر، سلمان أعلم منك، لا تخص ليلة الجمعة بصلاة، ولا يومها بصيام } والحديث أخرجه أيضا عبد الرزاق في مصنفة 4/ 279 (7803) وابن أبي شيبة في مصنفة 2/ 303 (9254). وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه 1/ 326 (384)

وأخرجه مسلم في صحيحة عن أبي هريرة مرفوعا 2/ 801(1144) وابن خزيمة في صحيحة 2/ 198 (1176). وابن حبان في صحيحة 8/ 376 (3612). وقال الألباني: صحيح. والنسائي في الكبرىٰ 3/ 207 (2768) والعجيب أن الحاكم أخرجه في المستدرك 1/ 455 (1172) وقال هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه.

إبراهيم القرشي[409] وهومجروح، علي أن الحاكم أخرجه في المستدرك، وقال فيه: " صحيح علي شرط الشيخين ". ورد عليه الذهبي، وقال: " إنه منكر " وبين علته بشذوذه، بجوده إسناده.

قال بعضهم: وصحة مثل هذا لا يستغرب، ومعجزات أعظم من ذلك، لكن تفرد ابن عباس بنقلها مع توفر الدواعي في ذلك يوجب التوقف فيه وأما يوم الجمعة: ففي الصحيحين عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله – صل الله عليه وسلم: { إن يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا، إلا أعطاه إياه – وأشار بيده يقللها }[410]

وقد أختلف في تعيين هذه الساعة علي أقوال كثيرة:-

أحدها أنها مهمة في جميع اليوم، وحكمة من الله لتوفر الدواعي علي مراقبتها، كإخفاء ليلة القدر في العشر الأواخر، وإليه مال الغزالي في الأحياء.[411]

الثاني: أنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة، كتنقل ليلة القدر[412]، وهو ضعيف.

---

[409]) محمد بن إبراهيم القرشي ضعفه غير واحد منهم الذهبي في المغني في الضعفاء 2/ 545 وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء 9/ 219: " ومحمد هذا ليس بثقة وشيخه لا يدري من هو " وضعفه أيضا ابن العجمي في الكشف الحثيث 1/ 215 وابن حجر في لسان الميزان 6/ 471

[410] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه البخاري مرفوعا في صحيحة 2/ 13 (935). ومسلم في صحيحة 2/ 583 (852). وابن خزيمة في صحيحة 3/ 114 (1726). وابن حبان في صحيحة 7/ 8 (2772) ومالك في الموطأ 1/ 108 (15).

[411] إحياء علوم الدين 1/ 186. وجاء في فضائل الأوقات للبيهقي 1/ 466: " قال الشيخ رضي الله عنه: وكان النبي صلي الله عليه وسلم يعلم هذه الساعة بعينها ثم أنه أنسبها، كما أنسيت ليلة القدر ليستغرق العبد جميع النهار بالذكر والدعاء "

[412] إحياء علوم الدين 1/ 186

ثالثها: إنها عند طلوع الشمس[413].

رابعها: عند الزوال[414].

خامسها: مع الأذان[415].

سادسها: إذا صعد الخطيب المنبر، وأخذ في الخطبة.

سابعها: ما بين أن يجلس الإمام إلي أن تقضي الصلاة. قال النووي: وهذا الصحيح، فقد جاء مفسرا، في صحيح مسلم، من حديث أبي موسي الأشعري[416] بذلك.

ثامنها: إذا قام الناس إلي صلاة.

---

[413] عن أبي هريرة موقوفا: " أن الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة من بعد طلوع الفجر إلي طلوع الشمس، وبعد صلاة الصر إلي غروب الشمس "

الهداية إلي بلوغ النهاية 12/ 7474

[414] وروي هذا عن أبي العالية والحسن

الهداة إلي بلوغ النهاية 12/ 7474

[415] وروي هذا عن عائشة موقوفا

الهداية إلي بلوغ النهاية 12/ 7474

[416] أخرج مسلم في صحيحة 2/ 584 (853) عن أبي بردة بن أبي موسي الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال لي عبد الله بن عمر أسمعت أباك يحدث عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم – في شأن ساعة الجمعة ؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم يقول: { هي ما بين أن يجلس الإمام إلي أن تقضي الصلاة } والحديث أخرجه أبو داود في سننه 1/ 276 (1049) وقال الألباني: ضعيف والمحفوظ موقوف. وابن خزيمة في صحيحة 3/ 120 (1739). والرويانئ في مسنده 1/ 226 (494). والبيهقي في السنن الكبرئ 3/ 354 (5999). وفي الحديث الذي بعده (6000) روي البيهقي عن مسلم بن الحجاج قوله: " هذا أجود حديث وأصحه في بيان ساعة الجمعة "

تاسعها: فيما بين الزوال إلي الغروب، قاله الحليمي.

عاشرها: بعد العصر، وحكاه الطرطوشي عن معظم العلماء، قال: واختلفوا، فقيل: هي وقت الاختيار للصلاة، وقيل: آخر ساعات النهار، قال: وهو القوي.

ففي صحيح مسلم: { وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر، في آخر ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلي الليل }[417]. وهذا يفيد شرف هذه الساعة وقد جرت مناظرة بين أبي هريرة، وكعب، رواها مالك والجماعة، فقال كعب: إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة، عند الغروب.

وقال أبو هريرة: كيف تكون آخر ساعة ؟ وقد قال النبي – صل الله عليه وسلم: { لا يوافقها عبد مسلم يصلي }، ولا صلاة حينئذ، فقال كعب: ألم يقل النبي –صل الله عليه وسلم: { من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة } قال: نعم، قال: فهو ذاك[418]

وعلي هذا فينبغي لطالب هذه الساعة أن يكون هكذا منتظرا للصلاة. وعن فاطمة – رضي الله عنها – أنها تأمر خدمها قبل غروب الشمس، يؤذنها بسقوط، فتأخذ

---

[417] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مسلم في صحيحة 4/ 2149 (2789). وابن حبان في صحيحة 14/ 30 (6161) وابن خزيمة في صحيحة 3/ 117 (1731). والطبراني في الأوسط 3/ 303 (3232) والبيهقي في الكبرىٰ 9/ 5 (17705)

[418] أخرجه مالك في الموطأ 2/ 150 (364). وأحمد في مسنده في مسند عبد الله بن سلام 39/ 196 (23779). وأبو داود في سننه 1/ 274 (1046). وقال الألباني صحيح. والترمذي في سننه 2/ 362 (491) وقال الترمذي: " وفي الحديث قصة طويلة. وهذا حديث صحيح ". والنسائي في سننه 3/ 113 (1430). وأخرجه ابن حبان في صحيحة 7/ 8 (2772) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح علي شرط الشيخين. وأخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 413 (1030) وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تعليقه وقال: " علي شرطهما ".

حينئذ في الدعاء، والاستغفار، إلي أن تغرب، وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة، وتأثره[419] عن أبيها – صلي الله عليه وسلم[420].

ولأن هذا يوم شرفه الله، وخصه بأمور كثيرة، فاللائق اختصاصها بآخره، كما يستجاب الدعاء آخر الصلوات.

وأما وقت السحر: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة، أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم قال: { ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلي السماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول من يدعو فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له }[421] وزاد النسائي: { حتىٰ يطلع الفجر }[422]. وابن ماجة: { فلذلك كانوا يستحبون صلاة آخر الليل علي أوله }[423] وفي رواية مسلم: { شطر الليل أو ثلث الليل الآخر

---

[419] في (ص) "تؤثره"، وكتب فوقها: " كذا بخطه " أي بخط المصنف، وفي هامش (ص): " وصوابه: وتأثره " أي تنقله أثرا.

[420] حديث فاطمة – رضي الله عنهما – وصلي الله عليه وسلم علي أبيها – أخرجه الدار قطني في العلل 15/ 174، 175 (3932) والبيهقي في شعب الإيمان 4/ 399 (2716). وابن راهوية في مسنده 5/ 12 (2109). وابن حجر العسقلاني في المطالب العالية 4/ 632 (675). ولفظ البيهقي في الشعب: " عن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أبيها قال: { إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه } قلت: يا أبت أية ساعة هي ؟ قال: { إذا تدلي نصف الشمس للغروب } فكانت فاطمة إذا كان يوم الجمعة تأمر غلاما لها يقال له زيد، يصعد الطلال، فتقول: إذا تدلي نصف الشمس للغروب فأعلمني، فكان يصعد فإذا تدلي نصف الشمس للغروب أعلمها فتقوم فتدخل المسجد حتىٰ تغرب الشمس وتصلي "

[421] أخرجه البخاري في صحيحة 2/ 53 (1145) ومسلم في صحيحة 1/ 521(758) وأبو داود في سننه 4/ 234(4733)

[422] السنن الكبرىٰ للنسائي 9/ 179 (10240)

[423] سنن ابن ماجة 1/ 435 (1366).

}[424]. وذكر الترمذي أن أصح الروايات: { حين يبقي ثلث الليل الآخر }[425] صحح ذلك غيره أيضا. وقال كذا قال شيوخنا أهل الحديث، وهو الذي تضافر الأخبار بمعناه، ولفظه.

وقد يحتمل الجمع بين الحديثين: أن يكون النزول[426] الذي أراده النبي – صلي الله عليه وسلم – وعناه، والله أعلم بحقيقته عند مضي الثلث الأول، والقول من

---

[424] صحيح مسلم 1/ 522

[425] سنن الترمذي 5/ 526 (3498) وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح، وأبو عبد الله الأغر اسمه سلمان، وفي الباب عن علي، وعبد الله بن مسعود، وأبي سعيد، وجبير بن مطعم، ورفاعة الجهني، وأبي الدرداء، وعثمان بن أبي العاص.

[426] قال ابن عبد البر في التمهيد 7/ 145: " أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها علىٰ الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أثبتها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله، روىٰ حرملة بن يحيىٰ قال سمعت عبد الله بن وهب يقول سمعت مالك بن أنس يقول من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة وأشار بيده إلىٰ عنقه ومثل قوله وهو السميع البصير فأشار إلىٰ عينيه أو أذنه أو شيئا من بدنه قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه ثم قال مالك أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال لا يضحىٰ بأربع من الضحايا، وأشار البراء بيده، كما أشار النبي صلىٰ الله عليه وسلم بيده، قال البراء: ويدي أقصر من يد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فكره البراء أن يصف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إجلالا له، وهو مخلوق، فكيف الخالق الذي ليس كمثله شيء، أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا سفيان= =عن هشام بن عروة عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا يزال الناس يتسائلون حتىٰ يقولوا: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا، فليقل: آمنت بالله.

وقال الخطابي في معالم السنن 4/ 331: " مذهب علماء السلف وأئمة الفقهاء أن يجروا مثل هذه الأحاديث علىٰ ظاهرها وأن لا يريغوا لها المعاني ولا يتأولوها لعلمهم بقصور علمهم عن دركها.

حدثنا الزعفراني حدثنا ابن أبي خيثمة حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا بقية عن الأوزاعي، قال كان مكحول والزهري يقولان أمروا الأحاديث كما جاءت. قلت: وهذا من العلم الذي أمرنا أن نؤمن بظاهره وأن لا نكشف عن باطنه وهو من جملة المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في كتابه فقال {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات} [آل عمران: 7] الآية؛ فالمحكم منه يقع به العلم الحقيقي والعمل، والمتشابه يقع به الإيمان والعلم بالظاهر، ونوكل باطنه إلىٰ الله سبحانه؛ وهو معنىٰ قوله {وما يعلم تأويله إلاّ الله} [آل عمران: 7] وإنما حظ الراسخين في العلم أن يقولوا {آمنا به كل من عند ربنا} [آل عمران: 7] وكذلك كل ما جاء من هذا الباب في القرآن كقوله {هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر} [البقرة: 210] وقوله {وجاء ربك والملك صفـًا صفـًا} [الفجر: 22] والقول في جميع ذلك عند علماء السلف هو ما قلنا، وقد روي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة. وقد زل بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلىٰ معرفته بالحديث والرجال فحاد عن هذه الطريقة حين روىٰ حديث النزول ثم أقبل يسأل نفسه عليه فقال إن قال قائل كيف ينزل ربنا إلىٰ السماء قيل له ينزل كيف شاء فإن قال هل يتحرك إذا نزل أم لا، فقال إن شاء تحرك وإن شاء لم يتحرك.

قلت وهذا خطأ فاحش والله سبحانه لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في محل واحد، وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف المخلوقين والله جل وعز متعال عنهما ليس كمثله شيء، فلو جرىٰ هذا الشيخ عفا الله عنا وعنه علىٰ طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يكن يخرج به القول إلىٰ مثل هذا الخطأ الفاحش، وإنما ذكرت هذا لكي يتوقىٰ الكلام فيما كان من هذا النوع فإنه لا يثمر خيراً ولا يفيد رشداً ونسأل الله العصمة من الضلال والقول بما لا يجوز من الفاسد المحال."

يدعوني إلي آخره في الثلث الأخير، ويدل له رواية النسائي: { إن ربكم يمهل، حتىٰ يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديا ينادي[427] .....الحديث. وهذا الحديث رواه عشرون من الصحابة. " قيل: وفيه إشارة إلي استمرار هذا الأمر أمد الدهر، لأن الليل يسري في كل قطر بحسبه، فيكون ثلثا عند قوم، ونصف عند آخرين، وهكذا، ولا متمسك فيه للمشبهة وغيرهم ممن أجراه علي ظاهرة لوجهين: أحدهما: أن المراد نزول ملائكته، وأما قول بعضهم لا يجوز تأويله علي ذلك، لأن الرواية ينزل بفتح الباء دالا علي نزول علمه وقدرته أو رحمته لأنها صفات ذاتية لا تقبل الانفصال فمردود التأويل صحيح علي الأول. وقد "[428] ذكر الفقيه أبو بكر المرادىٰ[429]، تلميذ القاضي أبي بكر الطيب[430] في كتابه المسمي ب: " البيان عن أصول الإيمان " أنه

---

[427] أخرجه النسائي في الكبرىٰ مرفوعا عن أبي هريرة – رضي الله عنه 9/ 180 (10243). ومسلم في صحيحة 1/ 523 (758) وابن خزيمة في صحيحة 2/ 182 (1146). وابن حبان في صحيحة 3/ 102 (921) والدر قطني في كتابه النزول 1/ 135 (59).

[428] ما بين القوسين تعمد المحقق حذفه من (ط)

[429] أبو بكر المرادىٰ [489هـ=1096م]

هو محمد بن الحسن الحضرمي أبو بكر المرادىٰ القيرواني القرطبي، كان رجلا نبيها عالما بالفقه وإماما في أصول الدين، وله في ذلك تصانيف حسان مفيدة، وله حظ وافر من البلاغة والفصاحة.

تاريخ الإسلام 10/ 636. والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة 1/ 282

[430] أبو بكر بن الطيب [338 –403هـ = 950 – 1013م]

هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري ثم البغدادي القاضي أبو بكر بن الطيب من كتبه إعجاز القرآن والأنصاف ومناقب الأعجمية وكثير غيرها

سير أعلام النبلاء 17/ 190 والوافي بالوفيات 3/ 147 وقلادة النحو في وفيات أعيان الدهر 3/ 310

روي من طريق ثابت: ينزل. بضم الياء، أي ينزل غيره من ملائكته[431] وقد قال النسائي في اليوم والليلة[432]: أخبرنا إبراهيم بن يعقوب، ثنا عمر بن حفص بن غياث،

---

[431] جاء في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 3/ 923: " قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: " ينزل ربنا ")، أي: أمره لبعض ملائكته أو ينزل مناديه (" تبارك "): كثر خيره ورحمته وآثار جماله (" وتعالىٰ "): عن صفات المخلوقين من الطلوع والنزول، وارتفع عن سمات الحدوث بكبريائه وعظمته وجلاله، قيل: إنهما = = = جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه للتنبيه علىٰ التنزيه، لئلا يتوهم أن المراد بالإسناد ما هو حقيقته، (" كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا "): قال ابن حجر، أي ينزل أمره ورحمته أو ملائكته، وهذا تأويل الإمام مالك وغيره ويدل له الحديث الصحيح " «إن الله عز وجل يمهل حتىٰ يمضي شطر الليل، ثم يأمر مناديا ينادي فيقول: = =هل من داع فيستجاب له» ؟ " الحديث، والتأويل الثاني، ونسب إلىٰ مالك أيضا، أنه علىٰ سبيل الاستعارة، ومعناه الإقبال علىٰ الداعي بالإجابة واللطف والرحمة وقبول المعذرة، كما هو عادة الكرماء، لا سيما الملوك إذا نزلوا بقرب محتاجين ملهوفين مستضعفين.

قال النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران. فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها علىٰ ما يليق به تعالىٰ، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث. والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف، وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنما تتأول علىٰ ما يليق بها بحسب بواطنها، فعليه: الخبر مئول بتأويلين، أي المذكورين، وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي، وإمام الحرمين، والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان علىٰ صرف تلك الظواهر، كالمجيء، والصورة، والشخص، والرجل، والقدم، واليد، والوجه، والغضب، والرحمة، والاستواء علىٰ العرش، والكون في السماء، وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من مجالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع، فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلىٰ صرف اللفظ عن ظاهره، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نئوله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل السلف، وفيه تأويل إجمالي أو مع تأويله بشيء آخر، وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي، ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح، معاذ الله أن يظن بهم

ذلك، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك ؛ لكثرة المجسمة والجهمية وغيرها من فرق الضلالة، واستيلائهم علىٰ عقول العامة، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم، ومن ثم اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا علىٰ ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك، وقد علمت أن مالكا والأوزاعي، وهما من كبار السلف أولا الحديث تأويلا تفصيليا، وكذلك سفيان الثوري أول الاستواء علىٰ العرش بقصد أمره، ونظيره {ثم استوىٰ إلىٰ السماء} [البقرة: 29]، أي: قصد إليها، ومنهم الإمام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخلف: إن معتقد الجهة كافر، كما صرح به العراقي، وقال: إنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني. وقد اتفق سائر الفرق علىٰ تأويل نحو: {وهو معكم أين ما كنتم} [الحديد: 4]، {ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو رابعهم} [المجادلة: 7] الآية {فأينما تولوا فثم وجه الله} [البقرة: 115] و {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} [ق: 16]، و " «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» "، " «والحجر الأسود يمين الله في الأرض» " وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف علىٰ (الراسخين في العلم) لا الجلالة.

قلت: الجمهور علىٰ أن الوقف علىٰ (إلا الله) وعد، وأوقفه وقفا لازما، وهو الظاهر ؛ لأن المراد بالتأويل معناه الذي أراده تعالىٰ وهو في الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا إله غيره، وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له، ولم يقدر أحد أن يقول: إن هذا التأويل هو مراد الله جزما، ففي التحقيق الخلاف لفظي، ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق باللفظ، ويكلون تعيين المراد بها إلىٰ علمه تعالىٰ، وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين، واختار ابن دقيق العيد توسطا آخر، فقال: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع، فالحق سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن استوىٰ الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين.

قلت: التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين، مع أن التوقف مؤيد بقول السلف، ومنهم الإمام الأعظم، والله أعلم.

ثنا أبي، وثنا الأعمش، وثنا أبو إسحاق، (هو السبيعي) قال حدثنا أبو مسلم الأغر، قال: سمعت أبا هريرة، وأبا سعيد يقولان: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { إن الله يمهل حتىٰ يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديا ينادي، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطي }. وهذا الإسناد علي شرط الشيخين، خلا شيخ النسائي، فلم يخرجا له، وهو ثقة، وثقة النسائي وغيره.

وقال قاسم ابن أصبغ[433] في مصنفة: حدثنا محمد بن مضر، وثنا عبد الرحمن بن سلام القرشي، وثنا داود بن عبد الرحمن، عن هشام بن حسان، عن محمد بن

وقال القاضي: المراد بنزوله: دنو رحمته ومزيد لطفه علىٰ العباد، وإجابة دعوتهم، وقبول معذرتهم، كما هو ديدن الملوك الكرماء والسادة الرحماء إذا نزلوا بقرب قوم ملهوفين محتاجين مستضعفين، وقد روي: «يهبط من السماء العليا إلىٰ السماء الدنيا»، أي: ينتقل من مقتضىٰ صفات الجلال التي تقتضي الأنفة من الأرذال، وعدم المبالاة، وقهر العداة، والانتقام من العصاة إلىٰ مقتضىٰ صفات الجمال المقتضية للرأفة والرحمة وقبول المعذرة والتلطف بالمحتاج، واستقراض الحوائج، والمساهلة، والتخفيف في الأوامر والنواهي، والإغضاء عما يبدو من المعاصي، ولهذا قيل: هذا تجل صوري لا نزول حقيقي، فارتفع الإشكال، والله أعلم بالحال.

[432] عمل اليوم والليلة للنسائي 1/ 340 (4820) ورواه الدار قطني في النزول 1/ 95 (6) وفي 1/ 138 (64) وأبو داود الطيالسي في مسنده 3/ 677 والنسائي في الكبرىٰ 9/ 180 (10243). وأبو عوانه في المستخرج 2/ 28 (2194). والبيهقي في الأسماء والصفات 2/ 372 (947)

[433] قاسم بن أصبغ [247 – 340هـ = 862 – 951 م]

هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني القرطبي، سكن قرطبة، ومات بها، وكان جده من موالي بني أمية، له تصانيف كثيرة نافعة، منها: مسند مالك، وبر الوالدين، والصحيح علي هيئة صحيح مسلم، وأحكام القرآن.

طبقات الحفاظ للذهبي 3/ 49. ولسان الميزان 6/ 367. وبغية الوعاة 2/ 251. والأعلام 5/ 173.

سيرين، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي[434]، أن النبي صلي الله عليه وسلم: قال { تفتح أبواب السماء في كل ليلة، يناد مناد: هل من سائل يعطي، هل من مستغفر يغفر له، هل من مكروب فيفرج عنه، فلا يبقي أحد مسلم يدعو الله في تلك الساعة إلا استجيب له، إلا زانية تسعي بفرجها، أو عشار}[435]

الثاني: أنه كفي بالنزول عن تقرب الله للداعي حينئذ واستجابته، وروي عن الإمام مالك رحمه الله: نزل أمره ورحمته، ويؤيده أنه يقال: نزل فلان عن حقه إذا سامح أو يكون النزول بمعني القول، ومنه: { سأنزل مثل ما أنزل الله "[436] وفي جامع الترمذي عن عمرو بن عبسه[437] مرفوعا: { أقرب ما يكون الرب من العبد، في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن }[438].

---

[434] حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الطبراني في الكبير 9/ 59 (8391). وأحمد في مسنده 26/ 208 (16281). وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني 3/ 197 (1544) والطبراني في الدعاء 1/ 60 (138). والبيهقي في فضائل الأوقات 1/ 124 (25) والطبراني في الأوسط 3/ 154 (2769) وقال: لم يرد هذا الحديث عن هشام إلا داود، تفرد به عبد الرحمن.

[435] عشار أي: آخذ العشر وهو المكاس حتىٰ وإن أخذ أقل من العشر، لأن ذلك باعتبار غالب أحوال المكاسين، وذلك لمضرته الخلق، ولذا قال بعض العارفين: العبودية هي التعظيم لأمر الله، والشفقة علي خلق الله، واستثني الساحر والعشار من جميع خلق الله تشديدا عليهم وتغليظا، أنهم كالآيسين من رحمة الله العامة للخلائق، فإنهم وإن قاموا من النوم ودعوا لم يستجب لهم لعظم مصيبتهم، وصعوبة توبتهم، أو المعني أنهم لا يوافقوا لهذا الغير لما ابتلوا به من الشر الكثير.

شرح مسند أبي حنيفة 1/ 370. ومرقاة المفاتيح 3/ 930. ومرعاة المفاتيح 4/ 233

[436] ما بين القوسين أسقطه المحقق من (ط)

[437] هو عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة السلمي يكني أبا نجيح من السابقين الأولين كان يقال له ربع الإسلام. روي ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ عن عمرو بن عبسة السلمي قال: { أتيت رسول

وفي مسلم عن جابر يرفعه: { إن في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة }[439]

وقال أبو عمر بن عبد البر[440]: كان ابن مسعود يقول: " اللهم أمرتني فأطعت، ودعوتني فأجبت، وهذا سحر فاغفر لي "[441] فقيل له في ذلك، فقال: " إن يعقوب أخر بنيه إلي السحر، في قوله { سوف استغفر لكم ربي } (يوسف 98)

الله صلي الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله من أسلم ؟ قال: { حر وعبد، أو قال عبد وحر } يعني: أبا بكر وبلالا. قال: أنا رابع الإسلام

الطبقات الكبرى لابن سعد 4/ 162. والاستيعاب في معرفة الأصحاب 3/ 1192. وتاريخ دمشق 46/ 249. وأسد الغابة 4/ 239. والإصابة 4/ 545

[438] حديث عمرو بن عبسة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 569 (3579). وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه" وابن أبي شيبة في مسنده 2/ 262 (757). وأحمد في مسنده 32/ 177 (19435). والنسائي في سننه 1/ 279 (572) وابن خزيمة في صحيحة 2/ 182 (1147). وفي التعليق علي ابن خزيمة قال الألباني: إسناده صحيح والطبراني في الدعاء 1/ 58 (132) والحاكم في المستدرك 1/ 453 (1162). وقال: هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه.

[439] حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 1/ 521 (166). وأحمد في مسنده 22/ 255 (14355) وأبو يعلي الموصلي في مسنده 4/ 189 (2281) وقال حسين سليم أسد في تعليقه: رجاله رجال الصحيح. وابن حبان في صحيحة 6/ 301 (2561).

[440] أبو عمر عبد البر [368 – 463هـ = 978 – 1071م]

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي من كبار علماء الإسلام فقيه ومحدث، ومؤرخ، وأديب ولد بقرطبة وولي قضاء لشبونة وشفترين، وترك تصانيف ضخمة كبيرة كثيرة نافعة منها، الدرر في اختصار المغازي والسير، والتمهيد شرح الموطأ، والاستذكار وهو اختصار التمهيد وجامع بيان العلم وفضله.

وروي حماد بن سلمة عن الجريري: { أن داود عليه السلام سأل جبريل عليه السلام، فقال: أي الليل أسمع ؟ قال: لا أدري غير أن العرش يهتز في السحر }[442].

قال: ولم يزل الصالحون يرغبون في الدعاء والاستغفار عند السحر.

ويكرر هذا الكلام وحديث سؤال داود جبريل مرة أخري، وهو مقدار ثلث الليل الآخر، وقيل: من مقدار نصف الليل إلي آخره، وكل هذا مروي في أحاديث صحيحة ثابتة.

- ومنها عند الاستغفار بعد النوم من الليل:

ففي الصحيحين عن عبادة، أن النبي صل الله عليه وسلم – قال: { من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير، والحمد لله وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، ودعا، إلا استجيب له }[443].

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس 1/ 367. وترتيب المدارك 8/ 127 وبغية الملتمس في تاريخ الأندلس 1/ 489. وفيات الأعيان 7/ 66 والأعلام 8/ 240

[441] ذكره ابن عبد البر في الاستذكار 2/ 530، وفي التمهيد 7/ 159. وذكره ابن بطال في شرح صحيح البخاري 3/ 139. وبدر الدين العيني في عمدة القارئ شرح صحيح البخاري 7/ 201

[442] هذا الأثر عن الجريري أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة 7/ 68 (34251). وأحمد بن حنبل في الزهد 1/ 60 (365). وأبو نعيم في الحلية 6/ 203

[443] حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – خرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 2/ 54 (1154) وأبو داود في سننه 4/ 314 (5060). وقال الألباني: صحيح. والترمذي في سننه 5/ 480 (3414) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. والنسائي في الكبرئ 9/ 317 (10631). وابن ماجة في سننه 2/ 1276(3878). وابن حبان في صحيحة 6/ 330 (2596) والبيهقي في الآداب 1/ 281 (684)

وفي سنن أبي داود، والنسائي، وابن ماجة، عن معاذ بن جبل، عن النبي صلي الله عليه وسلم – قال: { ما من مسلم يبيت علي ذكر طاهرا فيتعار من الليل، ويسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه }[444] وتعار بفتح التاء المثناة من فوق، بعدها عين مهملة، ثم راء مشددة، معناه: استيقظ. وقيل تكلم. وقيل: تمطي.[445]

ومنها: ما بين الظهر والعصر يوم الأربعاء:

ذكره الحليمي[446]، وأورد فيه عن جابر، { دعاء رسول الله صلي الله عليه وسلم – بمسجد الفتح يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء،

---

[444]) حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 4/ 310 (5042). والنسائي في السنن الكبرىٰ 9/ 296(10573). وابن ماجة في سننه 2/ 1277 (3881). وقال الألباني: صحيح. وأحمد في مسنده 36/ 411 (22092). والبزار في مسنده 7/ 120 (2676). والطبراني في المعجم الكبير 20/ 118 (235)

[445] وتعار من الليل: أي استيقظ من الليل

قال ابن حجر في فتح الباري 3/ 40: " تعار بمهملة وراء مشددة قال في المحكم تعار الظليم معارة صاح والتعار أيضا السهر والتمطي والتقلب علىٰ الفراش ليلا مع كلام وقال ثعلب اختلف في تعار فقيل انتبه وقيل تكلم وقيل علم وقيل تمطىٰ وأن انتهىٰ وقال الأكثر التعار اليقظة مع صوت وقال بن التين ظاهر الحديث أن معنىٰ تعار استيقظ لأنه قال من تعار فقال فعطف القول علىٰ التعار انتهىٰ ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ لأنه قد يصوت بغير ذكر فخص الفضل المذكور بمن صوت بما ذكر من ذكر الله تعالىٰ وهذا هو السر في اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه وإنما يتفق ذلك لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتىٰ صار حديث نفسه في نومه ويقظته فأكرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته وقبول صلاته. انتهي

[446] المنهاج في شعب الإيمان 1/ 563

بين الصلاتين، فعرفت البشر في وجهه }[447]. قال جابر: " فلم ينزل بي أمر مهم، في غائظ إلا توخيت تلك الساعة، فأدعو فيها، فأعرف الإجابة ".

قال: ويحتمل أن يكون وجه هذا الحديث، ما ورد أن يوم الأربعاء، يوم نحس مستمر، أي علي المفسدين، لا علي المصلحين، وفي قول جابر " غائظ " إشارة إلي كونه مظلوما.

- ومنها: الأفياء: ذكره الحليمي، قال: ويروي بخبر[448]. وأما الدعاء في الأفياء، قيل: هي وقت تحول الظلال عند الزوال، وقيل: وقت فواتها قبل غروب الشمس.

---

[447] حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أخرجه أحمد في مسنده 22/ 425 (14563). والبخاري في الأدب المفرد 1/ 371 (704). والبيهقي في شعب الإيمان 5/ 387 (3591)، وقال الألباني في تعليقه علي الأدب المفرد: حديث حسن

[448] قال الحليمي في المنهاج 1/ 537: " والرابع في الأفياء، روي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: { تحروا الدعاء في الأفياء } فقيل معناه: أن يتحول الظلال عن الزوال من جانب إلي جانب، وقيل معناه: إذا فات الأفياء وذلك قبل غروب الشمس " أ. هـ

قلت: أخرج البيهقي في الشعب 4/ 458 (2809) عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم: { إذا زالت الأفياء، وراحت الأرواح، فاطلبوا إلي الله حوائجكم فيها، فإنها ساعة الأوابين، وانه كان للأوابين غفورا } وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة 7/ 228 (35561) موقوفا علي علي رضي الله عنه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية مرفوعا من حديث ابن أبي أوفي 7/ 227 وقال: غريب من حديث مسعر، لم نكتبه إلا عنه وذكره الألباني في الضعيفة 6/ 143 (2636) وقال حديث ضعيف.

ومنها: عند الآذان: فعن أنس يرفعه { إذا نودي للصلاة ،فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء }[449].

رواه ابن الجوزي في التبصرة.

وأما الأحوال:

- فمنها: دبر الصلوات: ففي سنن النسائي، والترمذي، عن عبد الرحمن بن سابط[450]، عن أبي أمامة، قلنا: يا رسول الله، أي الدعاء أسمع ؟ قال: { جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات }[451]. قال ابن القطان[452]: وهو منقطع، ابن سابط

---

[449] حديث أنس – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 31 (29248). وأبو يعلي الموصلي في مسنده 7/ 119 (4072). والطبراني في الدعاء 1/ 166 (485). وأبو نعيم في الحلية 3/ 54. 6/ 308. وأبو داود الطيالسي في مسنده 3/ 576 (2220) =

= وأخرجه النسائي في الكبرىٰ 9/ 33 (9817) موقوفا علي أنس بلفظ { إذا أقيمت الصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء }.

[450] عبد الرحمن بن سابط [118هـ =736م]

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط بن أبي حميصة القرشي الجمحي، أبوه عبد الله من صحابة النبي – صلي الله عليه وسلم – وعبد الرحمن من كبار التابعين وفقهائهم، قال يحيي بن معين: عبد الرحمن بن سابط الجمحي مكي ثقة. وكذا قال أبو زرعة وكثير من أئمة الحديث

الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 5/ 240 ورجال صحيح مسلم 1/ 410 وأسد الغابة 3/ 252 وتاريخ ابن أبي خثيمة 1/ 219. والإصابة 4/ 87

[451] حديث أبي أمامة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا النسائي في السنن الكبرىٰ 9/ 47 (9856). وفي عمل اليوم والليلة 1/ 186 (108) والترمذي في سننه 5/ 526 (3499). وقال: هذا حديث حسن، وقد روي عن أبي ذر وابن عمر عن النبي – صلي الله عليه وسلم أنه قال: { جوف الليل الآخر الدعاء فيه أفضل أو أرجي } ونحو هذا وأخرجه عبد الرزاق في مصنفة 2/ 424 (3948). والبيهقي في الدعوات الكبير 2/ 238 (670)

لم يسمع من أبي أمة، قاله: يحيي بن معين. وقوله " أسمع " أي: أولي بالسماع، والإجابة، أو يكون التقدير: أي أوقات الدعاء، أسمع فيه الدعاء، ورجع إلي معني الأول.

جوف: دبر، طرفان مستعاران، لكنهما هنا: مرفوعان، لأنهما خبران، لقوله أي الدعاء أسمع ؟ كأنه قال: الدعاء أسمع كذا، فوضع الظرف مكان الخبر، اتساعا، كقولهم خلفك أمامك، أو مرفوعان علي حذف المضاف، وإقامتهما مقام المضاف إليه، أي الدعاء أسمع، دعاء جوف الليل.[453] بقي في الحديث إشكال، وهو أن الآخر

---

[452] ابن القطان [562-628هـ = 1167-1230م] هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الفاسي قرطبي الأصل من أهل فاس ولي القضاء وهو من كبار أئمة الحديث ومن علماء الجرح والتعديل له مصنفات منها: بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام.

المعين في طبقات المحدثين 1/ 194. وتاريخ الإسلام للذهبي 13/ 866. تذكرة الحفاظ 4/ 134. وسير أعلام النبلاء 22/ 306. والأعلام 4/ 321

[453] " جوف الليل ": روي بالرفع، وهو الأكثر علىٰ أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف علىٰ حذف مضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه مرفوعا، أي: دعاء جوف الليل أسمع، وروي بنصب جوف علىٰ الظرفية، أي: في جوفه، قال الطيبي: ويجوز جره علىٰ مذهب من يرىٰ حذف المضاف وترك المضاف إليه علىٰ إعرابه اهـ، وهو غير موجود في النسخ، ولم ترد به الرواية، ثم قال: لا بد من تقدير مضاف في السؤال كأنه قيل: أي الساعات أسمع من باب نهاره صائم، يعني أسمع فيها الدعاء وأقرب إلىٰ الإجابة، فالرفع حينئذ في الجواب بتقدير هو والنصب بتقدير الإعراب قال: وأما من يرىٰ تقدير مضاف في الجواب كله قيل دعاء حرف الليل، (والآخر): صفة جوف، فيتبعه في الإعراب، قيل: والجوف الآخر من الليل هو وسط النصف الآخر من الليل بسكون السين لا بالتحريك. (" ودبر الصلوات المكتوبات "): عطف علىٰ (جوف)، تابع له في الإعراب

مرقاة المفاتيح 2/ 768

مرفوع علي الصفة لجوف، والجوف وسط، فكيف يكون آخرا يحتمل تأويله، علي إرادة الجزء، وسماه جوفا، لشرفه، لأنه موضع التجليات[454]

---

[454] قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتح الباري 11/ 133: " باب الدعاء بعد الصلاة)

أي المكتوبة وفي هذه الترجمة رد علىٰ من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع متمسكا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبد الله بن الحارث عن عائشة كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم إذا سلم لا يثبت إلا قدر ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره جالسا علىٰ هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر فقد ثبت أنه كان إذا صلىٰ أقبل علىٰ أصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة علىٰ أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه علىٰ اصحابه قال بن القيم في الهدي النبوي وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلىٰ الله عليه وسلم أصلا ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن وخص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلىٰ الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا أرشد إليه أمته وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما قال وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها قال وهذا اللائق بحال المصلي فإنه مقبل علىٰ ربه مناجيه فإذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهىٰ موقفه وقربه فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل إذا انصرف عنه ثم قال لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتىٰ بها أن يصلي علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة قلت وما ادعاه من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال له يا معاذ إني والله لأحبك فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك أخرجه أبو داود والنسائي وصححه بن حبان والحاكم وحديث أبي بكرة في قول اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يدعو بهن دبر كل صلاة أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الحاكم وحديث سعد الآتي في باب التعوذ من البخل قريبا فإن في بعض طرقه المطلوب وحديث زيد بن أرقم سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يدعو في دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شيء الحديث أخرجه أبو داود والنسائي وحديث صهيب رفعه كان يقول إذا انصرف من الصلاة

وقال البزار في مسنده: حدثنا طالوت بن عباد[455]، ثنا بكر بن خنيس، عن أبي عمران الجونىٰ، عن الجعد، عن أنس، قال: " ما صلىٰ بنا رسول الله – صلي الله عليه

اللهم أصلح لي ديني الحديث أخرجه النسائي وصححه بن حبان وغير ذلك فإن قيل المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة والمراد به بعد السلام إجماعا فكذا هذا حتىٰ يثبت ما يخالفه حدثني إسحاق، أخبرنا يزيد، أخبرنا ورقاء، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: «كيف ذاك؟» قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال. قال: «أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدون عشرا، وتكبرون عشرا» تابعه عبيد الله بن عمر، عن سمي، ورواه ابن عجلان، عن سمي، ورجاء بن حيوة، ورواه جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء، ورواه سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم

وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن وأخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة علىٰ النافلة وفهم كثير ممن لقيناه من الحنابلة ان مراد بن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ " أ.هـ

[455] هو طالوت بن عباد الصيرفي [238هـ =852م] وقال عنه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان 4/ 346: " طالوت بن عباد الصيرفي [أَبُو عثمان] صاحب تلك النسخة العالية شيخ معمر ليس به بأس. قال أبو حاتم: صدوق.

وأما ابن الجوزي فقال: من غير تثبت ضعفه علماء النقل.

قلت: إلىٰ الساعة أفتش فما وقفت بأحد ضعفه وقد وقع لي حديثه بعلو في المنتقىٰ من حديث المخلص.

ومات سنة 238 وله أكثر من تسعين سنة. انتهىٰ.

وسلم – صلاة مكتوبة قط، إلا قال حين أقبل علينا بوجهه: { اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يخزي، وأعوذ بك من كل صاحب يردي، وأعوذ بك من كل أمل يلهي، وأعوذ بك من كل فقر ينسي، وأعوذ بك من كل غني يطغي }[456]

وقال: لم يسند أبو عمران، عن الجعد سواه.[457]

قال ابن بطال[458]: وروي عن النبي – صلي الله عليه وسلم – أنه قال: { وضعت الصلوات في خير الساعات، فاجتهدوا في الدعاء دبر الصلوات }[459]. وأسند الطبري عن أنس، قال: { إذا أقيمت الصلاة، فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء }[460].

---

[456] حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البزار في مسنده 14/ 33 (7449) وله شاهد عند ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 48 (29378) " عن علي الأزدي أن داود عليه السلام كان يقول: { اللهم إني أعوذ بك من غني يطغي، ومن فقر ينسي، ومن هوي يردي، ومن عمل يخزي } وأخرجه ابن المقريء في معجمه 1/ 363 (1194)

[457] مسند البزار والمسمي البحر الزخار 14/ 33

[458] شرح صحيح البخاري لابن بطال 10/ 94

[459] ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال 4/ 125 فقال: " رواه ابن حبيب في الواضحة عن ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل مرفوعا { جعلت الصلوات في خير الساعات فاجتهدوا فيها في الدعاء }. وذكره ابن حجر في لسان الميزان 5/ 255 وقال: حديث منكر. وذكره ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح 29/ 240 وسكت عنه.

[460] حديث أنس – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 31 (29248) بلفظ { إذا كان عند الأذان فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء، وإذا كان عند الإقامة لم يزد دعوة } وأبو يعلي الموصلي في مسنده 7/ 119 (4072) والطبراني في الدعاء 1/ 166 (485) وأبو نعيم في الحلية 3/ 54

وروي عن جعفر بن محمد قال: " الدعاء بعد المكتوبة، أفضل من الدعاء بعد النافلة، كفضل النافلة علي المكتوبة "

ومنها: بين الأذان والإقامة: فعن أنس قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: { الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة }[461] أخرجه أبو داود، والترمذي بإسناد لين، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة، وابن حبان في صحيحة، بإسناد آخر صحيح.

قال الحليمي: ويجوز أن يختص بالاستجابة من إذا سمع للصلاة آتاها، وأقامها، كما أمر بها، ليكون استجابة دعائه، ثوابا عاجلا بمسارعته، لما أمر به.

ومنها: مجالس الذكر: ففي صحيح مسلم، عن أبي سعيد، وأبي هريرة، قال النبي صلي الله عليه وسلم: { لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده }[462]

وأخرجه موقوفا علي أنس النسائي في الكبرىٰ 9/ 33 (9817) وفي عمل اليوم والليلة 1/ 169(72) ومن حديث أبي أمامة الباهلي أخرجه مرفوعا الطبراني في الكبير 8/ 102 (7496) وفي مسند الشابين 2/ 410 (1601) ومن حديث جابر أخرجه مرفوعا أحمد في مسنده 23/ 42 (14689)

[461] حديث أنس – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 1/ 144 (521). والترمذي في سننه 1/ 415 (212) وقال: حديث حسن. وقال الألباني صحيح. والنسائي في الكبرىٰ 9/ 33 (9816). وأبو يعلي الموصلي في مسنده 6/ 353 (3679) وقال المحقق حسين سليم أسد: إسناده صحيح. وابن خزيمة في صحيحة 1/ 221 (425). وابن حبان في صحيحة 4/ 593 (1696). والطبراني في الأوسط 4/ 239 (4053) وأحمد في مسنده 20/ 41(12584) والبيهقي في السنن الكبرىٰ 1/ 604 (1937)

[462] حديث أبي سعيد، وأبي هريرة – رضي الله عنهما – أخرجه مسلم في صحيحة 4/ 2074 (2700). والترمذي في سننه 5/ 459 (3378) وقال هذا حديث حسن صحيح. وأبو يعلي الموصلي في مسنده 11/ 20 (6159). وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح وابن حبان في

ومنها اجتماع المسلمين: ففي الصحيحين، من حديث أم عطية أنه صلي الله عليه وسلم: { أمر الحيض، وذوات الخدور، أن يخرجن ليشهدن دعوة المؤمنين }[463]

ومنها: عند نزول المطر، وإقامة الصلاة، ورؤية الكعبة، والصف في سبيل الله:

ففي سنن البيهقي، عن أبي أمامة، أن رسول الله – صل الله عليه وسلم – قال: { تفتح أبواب السماء، ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن: عند التقاء الصفوف، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة، ورؤية الكعبة }[464]

وفي سنده، عفير بن معدان، قال أبو حاتم: لا يشتغل به[465] ،وقال الشافعي: أخبرني من لا أتهمه عن عبد العزيز بن عمر عن مكحول، عن النبي صل الله عليه وسلم – أنه

صحيحة 3/ 45 (768). وأحمد في مسنده 15/ 480 (9772). وأبو داود الطيالسي في مسنده 4/ 140 (2508)

[463] حديث أم عطية – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 2/ 21 (974). وفي أكثر من موضع في صحيحة غير هذا الموضع وأخرجه مسلم في صحيحة 2/ 605 (890). وأبو داود في سننه 1/ 296 (1136). والترمذي في سننه 2/ 419 (539). والنسائي في سننه 3/ 180 (1559). وابن حبان في صحيحة 7/ 57 (2817) وابن خزيمة في صحيحة 2/ 361 (1467). وأحمد في مسنده 34/ 396 (20799)

ولفظ مسلم { أمرنا رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أن نخرجهن في الفطر والأضحىٰ العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال { لتلبسها أختها من جلبابها }

[464] حديث أبي أمامة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الطبراني في المعجم الكبير 8/ 169 (7713). والبيهقي في السنن الكبرىٰ 3/ 502 (6460) والبيهقي في معرفة السنن والآثار 5/ 186 (7239).

قال: { اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث }[466] قال: وقد حفظت عن غير واحد، طلب الإجابة، عند نزول الغيث، وإقامة الصلاة.

قال البيهقي: وقد روينا في حديث موصول، عن سهل بن سعد، عن النبي صلي الله عليه وسلم: { الدعاء لا يرد عند البأس، ووقت المطر }[467]

ومنها في السجود:

ففي مسلم، عن أبي هريرة، قال النبي – صلي الله عليه وسلم: { أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء }[468] وعن ابن عباس مرفوعا: { وأما السجود، فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم }[469]

---

[465] تهذيب الكمال في أسماء الرجال 20/ 177 (والضعفاء والمتروكون لإبن الجوزي 2/ 216 والمغني في الضعفاء 2/ 436 للذهبي وتاريخ الإسلام 4/ 459. والجامع في الجرح والتعديل 2/ 212

[466]) أخرجه الشافعي في الأم 1/ 289. والبيهقي في معرفة السنن والآثار 5/ 186 (7236). ويحيي بن سلام في تفسيره 1/ 455 وأورد السيوطي في جمع الجوامع 1/ 675 [53/ 3415] وعزاه إلي الشافعي والبيهقي في المعرفة وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير 1/ 235 (1026) وقال: صحيح وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة 3/ 453 (1469) وقال ضعيف، وله شواهد إذا ضمت إلي هذا المرسل خذيها قوة وارتقي إلي مرتبة الحسن إن شاء الله تعالي.

[467] حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 3/ 21 (2540) والحاكم في المستدرك 2/ 124 (2534). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه، وقال صحيح، أخرجه البيهقي في الكبرئ 3/ 502 (6459). والبيهقي أيضا في معرفة السنن والآثار 5/ 186 (7238). والطبراني في الكبير 6/ 135 (5756). وأخرجه البغوي في مصابيح السنة 1/ 276 (469)

ومنها: عقب تلاوة القرآن، وختمه:

ففي سنن البيهقي، عن أنس مرفوعا: { مع كل ختمه دعوة مستجابة }[470]

ومن طريق أخري له: { عند ختم القرآن، دعوة مستجابة، وشجرة في الجنة }[471].

قال: وفي إسناده ضعف، وروي الدارمي عن حميد الأعرج[472]، قال: { من قرأ القرآن ثم دعا، أمن علي دعائه أربعة آلاف ملك }[473]

---

[468] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 1/ 350 (482). وأبو داود في سننه 1/ 231 (875) وقال الألباني صحيح. وابن حبان في صحيحة 5/ 254 (1928). والنسائي في سننه 2/ 226 (1137) وأحمد في مسنده 15/ 274 (9461). وأبو يعلي في مسنده 12/ 12 (6658) والطبراني في الدعاء 1/ 197 (613) والبيهقي في الكبرئ 2/ 158 (2686).

[469] حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه مسلم في صحيحة 1/ 348 (479) وأبو داود في سننه 1/ 232 (876). والنسائي في سننه 2/ 189 (1045) وقال الألباني صحيح. وابن خزيمة في صحيحة 1/ 336 (674). وابن حبان في صحيحة 13/ 410 (6045) وأحمد في مسنده 3/ 386 (1900) والبيهقي في معرفة السنن والآثار 3/ 29 (3547). وأبو يعلي الموصلي في مسنده 4/ 275 (2387) والدارمي في سننه 2/ 837 (1365) وعبد الرزاق في مصنفة 2/ 145 (2839)

[470] حديث أنس – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البيهقي في شعب الإيمان 3/ 433 (1919) وأبو نعيم في الحلية 7/ 260

[471] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 3/ 434 (1920)

[472] حميد الأعرج [ت 130هـ = 747م]

هو حميد بن قيس الأعرج مولي آل الزبير بن العوام وكان قارئ أهل مكة وكان ثقة كثير الحديث وثقة يحيي بن معين وضعفه أحمد بن حنبل.

الطبقات الكبرئ لابن سعد 6/ 33 وتاريخ ابن أبي حيثمة 1/ 242 والجرح والتعديل لابن أبي حاتم 2/ 96. والثقات لابن حبان 6/ 189 والكامل في ضعفاء الرجال 3/ 71، 72.

وروي الترمذي عن عمران بن حصين، قال النبي – صلي الله عليه وسلم: { من قرأ القرآن، فليسأل الله به، فإنه سيجئ أقوام، يسألون به الناس }[474]. ومن أحسن ما يدعو به: ما ذكره البيهقي في دلائل النبوة، وغيره، أن النبي – صلي الله عليه وسلم. كان يدعو عند ختم القرآن: { اللهم ارحمني بالقرآن، واجعله لي إماما، ونورا، وهدي، ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله لي حجة يا رب العالمين }[475]

ومنها: عند احتضار الميت:

---

[473] حديث حميد الأعرج – رضي لله عنه أخرجه موقوفا الدارمي في سننه 4/ 2184 (3524) وقال المحقق حسين سليم أسد: إسناده ضعيف لضعف قزعة بن سويد، وهو موقوف علي حميد الأعرج، وذكره الحافظ ابن حجر في اتحاف المهرة 18/ 546 (24160) وعزاه إلي الدارمي فقط. وذكره الدكتور مرزوق بن هياس الزهراني في كتابه القطوف الدانية فيما أنفرد به الدارمي عن الثمانية 1/ 421، 1497/ 3558. وقال " لم أقف عليه في مصدر آخر"

[474] حديث عمران بن حصين – رضي الله عنه أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 179 (2917). وقال: " هذا حديث حسن ليس إسناده بذاك " وأحمد في مسنده 33/ 202(19997). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 124 (30002). والبزار في مسنده 9/ 36 (3553). والطبراني في الكبير 18/ 166 (370). والبيهقي في شعب الإيمان 4/ 198 (2388). والآجري في أخلاق أهل القرآن 1/ 108 (42)

[475] أورده حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين 1/ 278. وقال الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/ 329: " رواه أبو منصور الأرجائي في فضائل القرآن، وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل " وذكره ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر 2/ 464. وقال: " حديث معضل " وأورده البهوتي في كشاف القناع عن متن الإقناع 1/ 428. وقال: " رواه أبو منصور المظفر بن الحسين في فضائل القرآن، وأبو بكر الضحاك في الشمائل، لكن قال ابن الجوزي: حديث معضل، وقال: لا أعلم ورد عن النبي – صلي الله عليه وسلم – في ختم القرآن حديث غيره " انتهي.

ففي صحيح مسلم، عن أم سلمة: دخل النبي – صل الله عليه وسلم – علي أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: { إن الروح إذا قبض تبعه البصر } فضج ناس من أهله، فقال: { لا تدعوا علي أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون علي ما تقولون } . ثم قال: { اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في عليين }[476]

ومنها: عند صياح الديكة:

ففي الترمذي عن أبي هريرة أن النبي –صلي الله عليه وسلم قال: { إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمير، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأي شيطانا }[477]. حديث حسن.

وأما الدعاة:

فمنها: دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب:

---

[476] حديث أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 2/ 634 (920) ولنسائي في سننه 4/ 4 (1825). وأبو داود في سننه 3/ 190 (3115) وقال الألباني: صحيح والترمذي في سننه 3/ 298 (977) وقال الترمذي: " ديث أم سلمة حديث حسن صحيح ". وابن مداجة في سننه 1/ 465 (1447) وأحمد في مسنده 44/ 322 (26739). وابن حبان في صحيحة 7/ 247 (3005) وأخرجه الحاكم في المستدرك 4/ 17 (6758) وقال الذهبي في تعليقه: " علي شرط البخاري ومسلم إن لم يكونا أخرجاه " وأخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ 4/ 107 (7124)

[477] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 4/ 128 (3303). ومسلم في صحيحة 4/ 2092 (2729) وأبو داود في سننه 4/ 327 (5102) والترمذي في سننه 5/ 508 (3459). وقال: " هذا حديث حسن صحيح ". والنسائي في الكبرىٰ 10213 (11327). وابن حبان في صحيحة 3/ 285 (1005). وأحمد في مسنده 14/ 370 (8764)

وفي مسلم، عن أم الدرداء، عن النبي – صلي الله عليه وسلم: { دعوة المرء المسلم، لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل }[478]. وقال الطرطوشي: وهذا الحديث يفيد فائدة عظيمة، لأنه إذا استجيب لك في أخيك، لأنه غائب عنك، رجونا أن يستجاب للملك فيك، لأنك غائب عنه، وهذا المعني داخل فيما روي أن الله سبحانه أوحي إلي موسي: " ياموسي ادعني بلسان لم تعصني به "[479]

وفي سنن أبي داود، عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب }[480]. وأما ما أخرجه الحاكم من حديث موسي بن إسماعيل، ثنا المبارك بن حسان، عن عطاء عائشة، قال: سئل رسول الله –

---

[478] حديث أم الدرداء – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا مسلم مرفوع في صحيحة 4/ 2094 (2733). وأحمد في مسنده 45/ 540 (27559). والبخاري ي الأدب المفرد 1/ 219 (625) وقال الألباني: صحيح. وأخرجه ابن ماجة في سننه 2/ 966 (2895). والبيهقي في شعب الإيمان 11/ 350 (8643) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 21 (29161) وأبو نعيم في معرفة الصحابة 6/ 3495 (7924)

[479] لم أقف عليه. بعد طول بحث هذا ليس حديثا عن النبي –صلي الله عليه وسلم

[480] حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 2/ 89 (1535) والبخاري في الأدب المفرد 1/ 325 (623) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 21 (29159) والترمذي في سننه = = 4/ 352 (1980) وقال الترمذي: " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ". والخرائطي في مكارم الأخلاق 1/ 255 (783). والطبراني في الكبير 13/ 33 (74). والطبراني في الدعاء 1/ 395 (1329)

صلي الله عليه وسلم: أي الدعاء أفضل ؟ قال: { دعاء المرء لنفسه }[481] وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ومنها الصائم، والإمام العادل، والمظلوم: ففي ابن ماجة، والترمذي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، والمظلوم }[482] وقال الترمذي: حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحة. وفي الصحيحين قال لمعاذ: { اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب }[483] وفي صحيح ابن حبان، عن أبي ذر: قلت يا رسول الله، ما كانت صحيفة

---

[481] حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا الحاكم في المستدرك 1/ 727 (1992). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد 1/ 377 (715). وجاء في التعليق علي الحديث:ضعيف الإسناد، فيه المبارك بن حسان، ضعيف وليس في شيء من الكتب الستة. وأخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم 4/ 382 (1567) وقال محققه إسناده ضعيف. وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير 2/ 321 (654). وقال تفرد به مبارك بن حسان وهو ضعيف

[482] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه الترمذي في سننه 5/ 578 (3598). وعند الترمذي: " الصائم حتي يفطر " وليس الصائم حين يفطر " كما ذكر المصنف – رضي الله عنه – والفارق بينهما كبير فالأولي تفيد أن دعوة الصائم مستجابة طول النهار ما دام صائما، وأما الثانية فمعناها: أن الدعوة المستجابة للصائم حين يفطر فقط. وأخرجه ابن ماجة في سننه 1/ 557 (1752) ونص ابن ماجة موافق لنص الترمذي (الصائم حتىٰ يفطر) وليس (حين يفطر) وأخرجه ابن حبان في صحيحة 8/ 214 (3428) وأحمد في مسنده 15/ 463 (9743). وأبو داود الطيالسي في مسنده 4/ 310 (2707) والخرائطي في مكارم الأخلاق 1/ 276 (587) والطبراني في الأوسط 7/ 145 (7111)

[483] حديث ابن عباس – رضي الله عنها – أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلي اليمن { اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب } أخرجه البخاري في صحيحة 3/ 129 (2448) ومسلم في صحيحة 1/ 50 (29). والترمذي في سننه 4/ 368(2014). وقال

إبراهيم؟، قال: { كانت أمثالا كلها، أيها الملك المبتلي المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها علي بعض، ولكن بعثتك، لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أرداها، ولو كانت كافرة }[484]. وفي معجم الطبراني بإسناد جيد عن أبي هريرة يرفعه: { لا ترد دعوة المظلوم، وإن كان فاجرا، فجوره علي نفسه }[485]

ومنها: دعوة الوالد والمسافر: ففي سنن أبي داود وابن ماجة، عن أبي جعفر، عن أبي هريرة قال النبي صل الله عليه وسلم: { ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر ودعوة المظلوم }[486]

رواه الترمذي، وقال: { دعوة الوالد علي ولده }[487]. وقال المزي[488] في الأطراف[489]: إن الترمذي قال " حسن " وكأنه وقع كذلك في بعض النسخ منه، وأبو

الترمذي: " وفي الباب عن أنس، وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو، وأبي سعيد. وهذا حديث حسن صحيح.

[484] حديث أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا ابن حبان في صحيحة 2/ 76 (361) وأبو نعيم في الحلية 1/ 18. والشجري في ترتيب الأمالي 1/ 269. وابن حجر الهيثمي في موارد اظمآن 1/ 53.

[485] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الطبراني في الأوسط 2/ 41 (1182) وأبو داود الطيالسي في مسنده 4/ 93 (20450) والخرائطي في مكارم الأخلاق 1/ 276 (588)

[486] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أحمد في مسنده 16/ 153 (10196). وأبو داود في سننه 2/ 89 (1536) وابن ماجة في سننه 2/ 1270 (3862). والخرائطي في مكارم الأخلاق 1/ 281 (599). والطبراني في الدعاء 1/ 392 (1314) وأبو داود الطيالسي في مسنده 4/ 251 (2639)

[487] رواه الترمذي في سننه 5/ 502 (3448) وقال: { ودعوة الوالد علي ولده }.

وراوه أيضا ابن حبان في صحيحة 6/ 416 (2699) ورواه الطبراني في الدعاء 1/ 394 (1325) ونص روايته: { ودعوة الوالد علي ولده } وفي الحديث الذي بعده عند الطبراني 1/ 394

جعفر، قال الترمذي: يقال له المؤدب، ولا يعرف أسمه. وقال المزي: يقال: أنه محمد بن علي بن الحسين، ويقال: غيره.

ومنها: دعاء الرجل الصالح: ففي مسلم، عن عمر، قال النبي صلي الله عليه وسلم: { يأتي عليكم أويس، له والدة، وهو بها بر، ولو أقسم علي الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل }[490]. الحديث

ومنها: دعوة الضطر: كالغريق، والمعطل في مفازة، وقد أشرف علي الهلاك: لحديث الثلاثة الذين وقعوا في الغار، واستد بالصخرة[491] وهو الصحيح. وحديث

(1326) { دعوة الوالد لولده } وعند البيهقي في شعب الإيمان 10/ 292 (7513) { دعاء الوالد علي ولده } وكذلك هي رواية الطبراني في الأوسط 1/ 12 (24) والبخاري في الأدب المفرد 1/ 25 (32) وعبد بن حميد في مسنده 1/ 416 (1421) وأحمد في مسنده 16/ 413 (10708)

[488] المزي [654 – 742هـ = 1256 – 1341م]

هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزي، ولد بحلب، ونشأ بدمشق وتوفي بها، نبغ في اللغة، وفي الحديث وعلومه، صنف كتبا هامه وبالغة الأثر منها: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (35 مجلد) وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف (13 مجلد) قال ابن طولون: ومن المعلوم أن المحدثين بعده عيال علي هذين الكتابين.

تذكرة الحفاظ 1/ 276. وديوان الإسلام 4/ 204. وفهرس الفهارس 1/ 154. والأعلام 8/ 236.

[489] تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف 10/ 432 للحافظ المزي الناشر المكتب الإسلامي والدار القيمة. الطبعة الثانية 1403هـ تحقيق عبد الصمد شرف الدين

[490] حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أخرجه مسلم في صحيحة 4/ 1968، 1969 (2542). وأحمد في مسنده 1/ 372 (266). والبزار في مسنده 1/ 479(342). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 397 (32344). وأبو يعلي الموصلي في مسنده 1/ 187 (212) والبيهقي في شعب الإيمان 9/ 128 (6380)

الوشاح، رواه البخاري أيضا. { إن أهل بيت فقدوا وشاحا لهم، فجعلوا يعذبون الجارية، حتىٰ فتشوا قبلها، فبينا كذلك، إذا هم بحديا في الهواء، ألقته، فوقع عليهم، فقالت: هو الذي تتهموني به، والله يعلم أني كنت بريئة، وكانت تنشد:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ..... إلا أنه من بلده الكفر أنجاني[492]

قال العلماء: أقرب الدعاء إجابة، دعاء الحال، وهو أن يكون صاحبه مضطرا، لا بد له أن يدعو لأجله، فمن صدق اللجوء والاستعانة أجيب في الحال[493]. قال تعالي

---

[491] حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار واستد عليهم بالصخرة رواه أخرجه مرفوعا من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – البخاري في صحيحة 3/ 91 (2272) ومسلم في صحيحة 4/ 2099 (2743). وأبو داود في سننه 3/ 256 (3387). وابن حبان في صحيحة 3/ 178 (897) والطبراني في الكبير 12/ 304 (13188) والبيقهي في السنن الكبرىٰ 6/ 194(11640)

[492] حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 1/ 95 (439). وابن حبان في صحيحة 4/ 535 (1655) وابن خزيمة في صحيحة 2/ 286 (1332). والبيهقي في شعب الإيمان 2/ 358(1060). وأبو نعيم في حلية الأولياء 2/ 71. وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة 1/ 80 (87) وقال الألباني: صحيح. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح علي شرط البخاري

وهذا نص البخاري: { عن عائشة، أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب، فأعتقوها، فكانت معهم، قالت: فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته – أو وقع منها – فمرت به حدياة وهو ملقىٰ، فحسبته لحما فخطفته، قالت: فالتمسوه، فلم يجدوه، قالت: فاتهموني به، قالت: فطفقوا يفتشون حتىٰ فتشوا قبلها،= = قالت: والله إني لقائمة معهم، إذ مرت الحدياة فألقته، قالت: فوقع بينهم، قالت: فقلت هذا الذي اتهمتموني به، زعمتم وأنا منه بريئة، وهو ذا هو، قالت: «فجاءت إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأسلمت»، قالت عائشة: «فكان لها خباء في المسجد – أو حفش –» قالت: فكانت تأتيني فتحدث عندي، قالت: فلا تجلس عندي مجلسا، إلا قالت: ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا... ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

قالت عائشة: فقلت لها ما شأنك، لا تقعدين معي مقعدا إلا قلت هذا؟ قالت: فحدثتني بهذا الحديث

{ أمن يجيب الضطر إذا دعاه } (النمل 62). وهذا تلقين للمضطر، أن لا يذهل عن الدعاء في حال الاضطرار، وإشارة إلي أن دعائه مستجاب، وقال تعالي: { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم } (الأنفال 9)

ومنها: الولد البار بوالديه: لحديث أويس[494] وفي الصحيح: { إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من ولد صالح يدعو له }[495]

ومنها: دعاء المريض: ففي سنن ابن ماجة[496].....[497]

ومنها: من ذكر الله حتىٰ غلبه النوم: ففي الترمذي عن شهر بن حوشب[498]، عن أبي أمامة، قال سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: { من أوي إلي فراشة

---

[493] دعاء المضطر ترجي إجابته، ويسمي دعاء الحال أيضا وهو أن يكون صاحبه مضطر لابد له مما يدعو لأجله

حكي هذا القشيري عن سهل بن عبد الله في الرسالة القشيرية 2/ 421 وشهاب الدين الأقفهسي الشافعي في آداب الأكل 1/ 75

[494] سبق تخريجه،وهو عند مسلم في صحيحة من حديث عمر بن الخطاب 4/ 1968. وأحمد في مسنده 1/ 372

[495] سبق تخريجه وقد أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة في سننه 6/ 251. والترمذي في سننه 3/ 652

[496] أخرجه ابن ماجة في سننه 1/ 463(1441) من حديث ميمون بن مهران عن عمر بن الخطاب مرفوعا { إذا دخلت علي مريض فمره أن يدعو لك، فإن دعاءه كدعاء الملائكة }. وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة 1/ 507 (557). وضعفه النووي والألباني وأخرجه الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق 1/ 228 وقال: إسناده حسن

وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 11/ 428 (8779)

[497])بياض في الأصل

طاهرا فذكر الله، حتىٰ نازله النعاس، لم يتقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئا من خير الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه }[499] وقال حسن غريب

تنبيه: لك أن تقول ما خصوص هذه الأمور، بالإجابة مع الحديث السابق: { يستجاب لكم } بأحد أمور ثلاثة فالاستجابة محققة من غير تقييد بزمان ولا مكان ولا حال.

والجواب: أن الاستجابة ليس فيها إجابة المراد، بل هو أو غيره من الثلاث، وأما هذه الأماكن، فيرجي فيها الإجابة بالمراد، أو يفرق بين الإجابة والاستجابة.

---

[498] شهر بن حو شب [20-100هـ = 641 -718م] هو شهر بن حوشب الأشعري فقيه قارئ من رجال الحديث شامي الأصل سكن العراق وهو متروك الحديث

الكامل في الضعفاء 5/ 57. والمجروحين لابن حبان 1/ 61. والجرح والتعديل لابن أبي حاتم 4/ 382 والأعلام 3/ 178

[499] حديث أبي أمامة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 540 (3526) وقال: " حديث حسن غريب. وقد روي هذا أيضا عن شهر بن حوشب عن أبي طيبة عن عمرو بن عبسة عن النبي صل الله عليه وسلم " انتهي

وأخرجه أيضا ابن أبي شيبة في مصنفة 1/ 111 (1265) والطبراني في الدعاء 1/ 57(127) والطبراني أيضا في الكبير 8/ 125 (7568). وابن السني في عمل اليوم والليلة 1/ 658 (719) وقال الألباني: ضعيف

الفصل السابع في علامات الإجابة

منها: تيسر الدعاء علي الداعي: قال الشيخ الزاهد أبو عبد الله القرشي[500]: " إذا فُتح علي العبد باب الدعاء تيسرت له الإجابة "[501] وروي شهر بن حوشب أن أم الدرداء قالت له: (يا شهر إن شفق المؤمن في قلبه كشعله أحرقها في النار) ثم قالت: (يا شهر، ألا تجد القشعريرة) قلت: نعم، قالت: (فادع الله، فإن الدعاء يستجاب عند ذلك)[502]. وقال: أبو رُهْم: مما يشعر به عند الدعاء العطاس[503]

---

[500] أبو عبد الله القرشي [544 – 599هـ = 1150 –1203م]

هو محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله القرشي الهاشمي، زاهد، أندلسي الأصل، من الجزيرة الخضراء أقام بمصر مدة وسكن القدس وتوفي بها، قال الذهبي في تاريخ الإسلام 42/ 409: " أبو عبد الله القرشي الهاشمي الزاهد الأندلسي نزيل بيت المقدس، كان إماما كبيرا عارفا قانتا مخبتا من أهل الجزيرة الخضراء، ذكره ابن خلكان فقال: " له كرامات ظاهرة " وله كلمات وجمل في آداب المعاملات ومحاسبة النفس جمعها بعض تلاميذه في كتاب " الفصول "

سيرأعلام النبلاء 12/ 400، والأعلام 5/ 319، وفيات الأعيان 4/ 305

[501] أخرج ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 22 (29168) عن ابن عمر مرفوعا { من فتح له من الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة }

وعند الترمذي في سننه 5/ 552 (3548) عن ابن عمر مرفوعا { من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية }

وهذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك 1/ 675 (1833). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه والطبراني في الدعاء 1/ 386 (1296)

[502] حديث شهر بن حوشب عن أم الدرداء، أخرجه البيهقي موقوفا علي أم الدرداء في شعب الإيمان 2/ 382 (1098)، وأخرجه الطبري في تفسيره 13/ 387 موقوفا علي أبي الدرداء، وأورده السيوطي في الدر المنثور 4/ 11 وقال: " أخرجه الحكيم الترمذي وابن جرير وأبو الشيخ من طريق شهر بن حوشب عن أبي الدرداء

وقال الحليمي: الدعاء إذا استجمع أشراطه فهو مستجاب. قال صلي الله عليه وسلم: { ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم، ولا إثم، إلا أعطاه الله تعالي، إحدي ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه مثلها }[504]

فبان بهذا الحديث أن الاستجابة ثلاثة أقسام: أحدها: إعطاء السائل عين ما سأل. وثانيها: تعويضه عنه في الدنيا مثله: إما خيرا يعطيه، أو شرا يصرفه عنه. وثالثها: تعويضه في الآخرة. وإذا أوجب الله علي عبده حقا، ثم رضي منه بالبدل والفدية، لم يكن للعبد أن لا يحتسب ما عوضه الله تعالي من دعاء أجابه له، فظهر أنه لا رد في شيء من هذه الأقسام، لأن الرد أن لا يعطي شيئا أصلا.[505] انتهي. واعلم أن الدعاء

---

[503] عن أبي رهم السماعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { إن مما يستجاب به عند الدعاء العطاس } أخرجه الطبراني في الكبير 22/ 336 (843)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 1/ 365 (1116) و 5/ 2888 (6785)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني 5/ 95 (2638) وقال الألباني في ضعيف الجامع 1/ 288 حديث ضعيف

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { من السعادة العطاس عند الدعاء } أخرجه البيهقي في شعب الإيمان 11/ 511 (8924)، وقال البيهقي: هذا إسناد فيه ضعف. وقال الألباني في الضعيفة 13/ 324 (6140) { من السعادة العطاس عند الدعاء } ضعيف

[504] سبق تخريجه وهو عند مسلم في صحيحة 4/ 2096 والبخاري في الأدب المفرد 1/ 228

[505] قال القرطبي في تفسيره 2/ 308: " قوله تعالي { أجيب دعوة الداع إذا دعان" أي أقبل عبادة من عبدني، فالدعاء بمعنىٰ العبادة، والإجابة بمعنىٰ القبول. دليله ما رواه أبو داود عن النعمان بن بشير عن النبي صلىٰ الله= = عليه وسلم قال: (الدعاء هو العبادة قال ربكم ادعوني أستجب لكم) فسمي الدعاء عبادة، ومنه قوله تعالىٰ: " إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين «1» " [غافر: 60] أي دعائي. فأمر تعالىٰ بالدعاء، وحض عليه، وسماه عبادة، ووعد بأن يستجيب لهم.

يتضمن الاستجابة كما قال تعالي { دعوني استجب لكم } (غافر 60) وقال { أمن يجيب المضطر إذا دعاه } (النمل 62) قيل: وهذا الوعد مقيد بالمشيئة بدليل الآية الأخري، وهو قوله: { بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء } (الأنعام 41) قال الخطابي[506] وغيره والأحسن أن يقال: إن الاستجابة لا تتخلف أصلا عملا بظاهر المطلق، والاستجابة مفسرة في الحديث بإحدي الثلاث خلال. والإشكال

روىٰ ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: (أعطيت أمتي ثلاثا لم تعط إلا الأنبياء كان الله إذا بعث نبيا قال ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ادعوني أستجب لكم، وكان الله إذا بعث النبي قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ما جعل عليكم في الدين من حرج، وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيدا علىٰ قومه، وجعل هذه الأمة شهداء علىٰ الناس، (. وكان خالد الربعي يقول: عجبت لهذه الامة في" ادعوني أستجب لكم" [غافر: 60] أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط. قال له قائل: مثل ماذا؟ قال مثل قوله:" وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات «2» " [البقرة: 25] فها هنا شرط، وقوله:" وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق «3» " [يونس: 2] فليس فيه شرط العمل، ومثل قوله:" فادعوا الله مخلصين له الدين «4» " [غافر: 14] فها هنا شرط، وقوله:" ادعوني أستجب لكم" ليس فيه شرط. وكانت الأمم تفزع إلىٰ أنبيائها في حوائجهم حتىٰ تسأل الأنبياء لهم ذلك. فإن قيل: فما للداعي قد يدعو فلا يجاب؟ فالجواب أن يعلم أن قوله الحق في الآيتين" أجيب"" أستجب" لا يقتضي الاستجابة مطلقا لكل داع علىٰ التفصيل، ولا بكل مطلوب علىٰ التفصيل، فقد قال ربنا تبارك وتعالىٰ في آية أخرىٰ:" ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين «5» " [الأعراف: 55] وكل مصر علىٰ كبيرة عالما بها أو جاهلا فهو معتد، وقد أخبر أنه لا يحب المعتدين فكيف يستجيب له. وأنواع الاعتداء كثيرة، يأتي بيانها هنا وفي" الأعراف" إن شاء الله تعالىٰ. وقال بعض العلماء: أجيب إن شئت، كما قال:" فيكشف ما تدعون إليه إن شاء «6» " [الانعام: 41] فيكون هذا من باب المطلق والمقيد. وقد دعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم في ثلاث فأعطي اثنتين ومنع واحدة ". تفسير القرطبي 2/ 309

[506] شأن الدعاء للخطابي ص 12، 13

إنما الإجابة بمحض المسؤول، وليس كذلك. وقال الرازي[507]: إنما يستجاب من الدعاء ما وافق القضاء. وقيل: بل يعوض الداعي من دعائه عوضا ما، فربما كان ذلك العوض، هو الإسعاف بمطلوبة، وذلك إذا وافق القضاء، فإن لم يساعده القضاء فإنه يعطي الداعي سكينة في نفسه، وانشراحا في صدره، يسهل معه تحمل ما يرد عليه من البلاء[508]، واستأنسوا بحديث أبي هريرة[509]. والتحقيق أن تأخر الإجابة بالمسؤول ليس علامة علي الرد، لأن وعد الله لا يخلف، ولكن له أسباب: منها: عدم موافقة القضاء، فيحصل التعويض حنيئذ، وربما كان ذلك خيرا من المدعو بكثير، ومنها عدم استجماعه لشروط الدعاء، وإخلاله بآدابه. ومنها: الإيذان بمحبة الله للعبد: فقد

---

[507] تفسير الرازي 5/ 265، والمسمي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير

[508] شأن الدعاء ص 13 وتفسير الرازي 5/ 265

[509] وحديث أبي هريرة مرفوعا { ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم، إلا أعطاه الله تعالي إحدي ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنها مثلها } رواه مسلم في صحيحة 4/ 2096 وأحمد في مسنده 15/ 74

وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { ما علي ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها، أو كف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم } رواه أحمد في مسنده 37/ 448 (22785) والترمذي في سننه 5/ 566 (3573). وقال الترمذي: " وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه " والطبراني في الأوسط 1/ 53 (147)

وله شاهد ثان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند الترمذي في سننه 5/ 462 (3381) وأحمد في مسنده 23/ 162 (14879) وله شاهد ثالث من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند أحمد في مسنده 17/ 213 (11133) والبخاري في الأدب المفرد 1/ 248 (710) وقال الألباني في صحيح. وأخرجه أيضا أبو يعلي الموصلي في مسنده 2/ 296 (1019)

روي عن يحيي بن سعيد[510] قال رأيت رب العزة في النوم[511]، فقلت: يارب كم أدعوك فلا تستجيب لي فقال: يا يحيي إني أحب أن أسمع صوتك[512] وقال يحيي:

---

[510] يحيي بن سعيد [120 – 198هـ = 737 – 813م]. هو يحيي بن سعيد بن فروخ، القطان التميمي، من كبار حفاظ الحديث، ومن أئمة الجرح والتعديل، من أقران مالك وشعبه، كان من سادات أهل زمانه حفظا وورعا، وعقلا، وفهما، ودينا، وعلما، من تلامذته أحمد بن حنبل ويحيي بن معين وعلي بن المديني

الثقات لابن حبان 7/ 611، ومشاهير علماء الأمصار 1/ 255، ورجال صحيح مسلم 2/ 339، وتاريخ بغداد 16/ 203، وتهذيب الأسماء واللغات 2/ 154، وتاريخ الإسلام 4/ 1244، والأعلام للزركلي 8/ 147

[511] لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني كلام ماتع، رائق، يشفي الغليل حول رؤية الله عز وجل، ورؤية رسول الله صلي الله عليه وسلم في النوم، رأينا أن ننقله بنصه لما فيه من فائدة، فقال رضوان الله عليه، في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري 12/ 384: " كان محمد يعني بن سيرين إذا قص عليه رجل أنه رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره، وسنده صحيح، ووجدت له ما يؤيده، فأخرج الحاكم، من طريق عاصم بن كليب حدثني أبي، قال: قلت لابن عباس رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم، في المنام، قال: صفه لي، قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به، قال: قد رأيته. وسنده جيد، ويعارضه ما أخرجه بن أبي عاصم من وجه آخر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: "من رآني في المنام، فقد رآني، فإني أرىٰ في كل صورة" وفي سنده صالح مولىٰ التوأمة وهو ضعيف، لاختلاطه، وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط، ويمكن الجمع بينهما بما قال القاضي أبو بكر بن العربي رؤية النبي صلىٰ الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك علىٰ الحقيقة، ورؤيته علىٰ غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثل، قال: وشذ بعض القدرية فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلا، وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة، وقال بعض المتكلمين: هي مدركة بعينين في القلب، قال: وقوله فسيراني، معناه: فسيرىٰ تفسير ما رأىٰ، لأنه حق وغيب ألقي فيه، وقيل: معناه فسيراني في القيامة، ولا فائدة في هذا التخصيص، وأما قوله

فكأنما رآني فهو تشبيه، ومعناه أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام، فيكون الأول حقا وحقيقة، والثاني حقا وتمثيلا، قال: وهذا كله إذا رآه علىٰ صورته المعروفة، فإن رآه علىٰ خلاف صفته فهي أمثال فإن رآه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وفيه وعلىٰ العكس فبالعكس، وقال النووي قال عياض يحتمل أن يكون المراد بقوله فقد رآني أو فقد رأىٰ الحق أن من رآه علىٰ صورته في حياته كانت رؤياه حقا، ومن رآه علىٰ غير صورته كانت رؤيا تأويل، وتعقبه فقال هذا ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت علىٰ صفته المعروفة أو غيرها انتهىٰ ولم يظهر لي من كلام القاضي ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله أنه يراه حقيقة في الحالين لكن في الأولىٰ تكون الرؤيا مما لا يحتاج إلىٰ تعبير والثانية مما يحتاج إلىٰ التعبير، قال القرطبي: اختلف في معنىٰ الحديث فقال قوم: هو علىٰ ظاهره، فمن رآه في النوم رأىٰ حقيقته، كمن رآه في اليقظة سواء قال وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا علىٰ صورته التي مات عليها وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقىٰ من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم علىٰ غائب لأنه جائز أن يرىٰ في الليل والنهار مع اتصال الأوقات علىٰ حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنىٰ مسكة من عقل، وقالت طائفة: معناه أن من رآه رآه علىٰ صورته التي كان عليها ويلزم منه أن من رآه علىٰ غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث، ومن المعلوم أنه يرىٰ في النوم علىٰ حالة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به، وتقع تلك الرؤيا حقا كما لو رؤىٰ ملأ دارا بجسمه مثلا فإنه يدل علىٰ امتلاء تلك الدار بالخير، ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله، فإن الشيطان لا يتمثل بي، فالأولىٰ أن تنزه رؤياه وكذا رؤيا شيء منه أو مما ينسب إليه عن ذلك فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته، قال: والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثا، بل هي حق في نفسها، ولو رؤي علىٰ غير صورته، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو من قبل الله، وقال وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد رأىٰ الحق أي رأىٰ الحق الذي قصد إعلام الرائي به، فإن كانت علىٰ ظاهرها وإلا سعىٰ في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرىٰ بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي، وإما لينزجر عنه، وإما لينبه علىٰ حكم يقع له في دينه أو دنياه وقال بن بطال قوله

فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرؤياه في اليقظة وصحتها وخروجها علىٰ الحق وليس المراد أنه يراه في الآخرة لأنه سيراه يوم القيامة في اليقظة، فتراه جميع أمته، من رآه في النوم ومن لم يره منهم، وقال ابن التين: المراد من آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذ غائبا عنه فيكون بهذا مبشرا لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته، قاله القزاز، وقال المازري: إن كان المحفوظ فكأنما رآني في اليقظة فمعناه ظاهر وإن كان المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر= = إليه، فإنه إذا رآه في المنام جعل ذلك علامة علىٰ أنه يراه بعد ذلك في اليقظة، وأوحىٰ الله بذلك إليه صلىٰ الله عليه وسلم، وقال القاضي: وقيل معناه سيرىٰ تأويل تلك الرؤيا في اليقظة، وصحتها، وقيل معنىٰ الرؤيا في اليقظة: أنه سيراه في الآخرة، وتعقب بأنه في الآخرة يراه جميع أمته، من رآه في المنام، ومن لم يره، يعني فلا يبقىٰ لخصوص رؤيته في المنام مزية، وأجاب القاضي عياض باحتمال أن تكون رؤياه له في النوم علىٰ الصفة التي عرف بها، ووصف عليها، موجبة لتكرمته في الآخرة وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة، ونحو ذلك من الخصوصيات، قال ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه صلىٰ الله عليه وسلم مدة، وحمله بن أبي جمرة علىٰ محمل آخر فذكر عن بن عباس أو غيره أنه رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في النوم، فبقي بعد أن استيقظ متفكرا في هذا الحديث فدخل علىٰ بعض أمهات المؤمنين ولعلها خالته ميمونة، فأخرجت له المرآة التي كانت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم فنظر فيها، فرأىٰ صورة النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولم ير صورة نفسه، ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام، ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأرشدهم إلىٰ طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك، قلت: وهذا مشكل جدا ولو حمل علىٰ ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلىٰ يوم القيامة ويعكر عليه أن جمعا جما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف وقد اشتد إنكار القرطبي علىٰ من قال من رآه في المنام فقد رأىٰ حقيقته، ثم يراها كذلك في اليقظة كما تقدم قريبا وقد تفطن بن أبي جمرة لهذا فأحال بما قال علىٰ كرامات الأولياء فإن يكن كذلك تعين العدول عن العموم في كل راء ثم ذكر أنه عام في أهل التوفيق وأما غيرهم فعلىٰ الاحتمال فإن خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء كما يقع للصديق بطريق الكرامة والإكرام وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة انتهىٰ والحاصل من

الأجوبة ستة أحدها أنه علىٰ التشبيه والتمثيل ودل عليه قوله في الرواية الأخرىٰ فكأنما رآني في اليقظة ثانيها أن معناها سيرىٰ في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير ثالثها أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه رابعها أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك وهذا من أبعد المحامل خامسها أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام سادسها أنه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه وفيه ما تقدم من الإشكال، وقال القرطبي: قد تقرر أن الذي يرىٰ في المنام أمثلة للمرئيات لا أنفسها غير أن تلك الأمثلة تارة تقع مطابقة وتارة يقع معناها، فمن الأول رؤياه صلىٰ الله عليه وسلم عائشة وفيه فإذا هي أنت فأخبر أنه رأىٰ في اليقظة ما رآه في نومه بعينه ومن الثاني رؤيا البقر التي تنحر والمقصود بالثاني التنبيه علىٰ معاني تلك الأمور ومن فوائد رؤيته صلىٰ الله عليه وسلم تسكين شوق الرائي لكونه صادقا في محبته ليعمل علىٰ مشاهدته وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله فسيراني في اليقظة أي من رآني رؤية معظم لحرمتي ومشتاق إلىٰ مشاهدتي وصل إلىٰ رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه قال ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنىٰ صورته وهو دينه وشريعته فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان قلت وهذا جواب سابع والذي قبله لم يظهر لي فإن ظهر فهو ثامن قوله ولا يتمثل الشيطان بي في رواية أنس في الحديث الذي بعده فإن الشيطان لا يتمثل بي ومضىٰ في كتاب العلم من حديث أبي هريرة مثله لكن قال لا يتمثل في صورتي،وفي حديث جابر عند مسلم وبن ماجه إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل بي، وفي حديث بن مسعود عند الترمذي وبن ماجه "إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي" وفي حديث أبي قتادة الذي يليه وإن الشيطان لا يتراءىٰ بالراء بوزن يتعاطىٰ ومعناه لا يستطيع أن يصير مرئيا بصورتي وفي رواية غير أبي ذر يتزايا بزاي وبعد الألف تحتانية وفي حديث أبي سعيد في آخر الباب فإن الشيطان لا يتكونني أما قوله لا يتمثل بي فمعناه لا يتشبه بي وأما قوله في صورتي فمعناه لا يصير كائنا في مثل صورتي، وأما قوله: لا يتراءىٰ بي، فرجح بعض الشراح رواية الزاي عليها، أي لا يظهر في زيي، وليست الرواية الأخرىٰ ببعيدة من هذا المعنىٰ، وأما قوله "لا يتكونني" أي لا يتكون كوني، فحذف المضاف ووصل المضاف إليه بالفعل، والمعنىٰ: لا يتكون في صورتي، فالجميع راجع إلىٰ معنىٰ واحد، وقوله: لا يستطيع، يشير إلىٰ أن الله تعالىٰ وإن أمكنه من التصور في أي صورة أراد فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقد ذهب إلىٰ هذا جماعة فقالوا في الحديث إن محل ذلك إذا رآه الرائي علىٰ صورته التي كان

عليها ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتىٰ قال لا بد أن يراه علىٰ صورته التي قبض عليها حتىٰ يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة والصواب التعميم في جميع حالاته بشرط أن تكون صورته الحقيقية في وقت ما سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي قال المازري اختلف المحققون في تأويل هذا الحديث فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلىٰ أن المراد بقوله من رآني في المنام فقد رآني أن رؤياه صحيحة لا تكون أضغاثا ولا من تشبيهات الشيطان قال ويعضده قوله في بعض طرقه فقد رأىٰ الحق قال وفي قوله فإن الشيطان لا يتمثل بي إشارة إلىٰ أن رؤياه لا تكون أضغاثا ثم قال المازري وقال آخرون بل الحديث محمول علىٰ ظاهره والمراد أن من رآه فقد أدركه ولا مانع يمنع من ذلك ولا عقل يحيله حتىٰ يحتاج إلىٰ صرف الكلام عن ظاهره وأما كونه قد يرىٰ علىٰ غير صفته أو يرىٰ في مكانين مختلفين معا فإن ذلك غلط في صفته وتخيل لها علىٰ غير ما هي عليه وقد يظن بعض الخيالات مرئيات لكون ما يتخيل مرتبطا بما يرىٰ = = في العادة فتكون ذاته صلىٰ الله عليه وسلم مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية، والإدراك لا يشترط فيه تحديق البصر، ولا قرب المسافة، ولا كون المرئي ظاهرا علىٰ الأرض، أو مدفونا، وإنما يشترط كونه موجودا ولم يقم دليل علىٰ فناء جسمه صلىٰ الله عليه وسلم، بل جاء في الخبر الصحيح ما يدل علىٰ بقائه، وتكون ثمرة اختلاف الصفات، اختلاف الدلالات، كما قال بعض علماء التعبير: إن من رآه شيخا فهو عام سلم، أو شابا فهو عام حرب.

ويؤخذ من ذلك ما يتعلق بأقواله، كما لو رآه أحد يأمره بقتل من لا يحل قتله، فإن ذلك يحمل علىٰ الصفة المتخيلة، لا المرئية،

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون معنىٰ الحديث إذا رآه علىٰ الصفة التي كان عليها في حياته، لا علىٰ صفة مضادة لحاله، فإن رؤىٰ علىٰ غيرها كانت رؤيا تأويل، لا رؤيا حقيقة، فإن من الرؤيا ما يخرج علىٰ وجهه، ومنها ما يحتاج إلىٰ تأويل، وقال النووي: هذا الذي قاله القاضي ضعيف، بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كانت علىٰ صفته المعروفة، أو غيرها، كما ذكره المازري، وهذا الذي رده الشيخ تقدم عن محمد بن سيرين إمام المعبرين اعتباره، والذي قاله القاضي توسط حسن، ويمكن الجمع بينه، وبين ما قاله المازري بأن تكون رؤياه علىٰ الحالين حقيقة، لكن إذا كان علىٰ صورته، كأن يرىٰ في المنام علىٰ ظاهره لا يحتاج إلىٰ تعبير، وإذا كان علىٰ غير صورته

كان النقص من جهة الرائي، لتخيله الصفة علىٰ غير ما هي عليه، ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلىٰ التعبير،

وعلىٰ ذلك جرىٰ علماء التعبير، فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فإنه يسأل عن صفته، فإن وافق الصفة المروية، وإلا فلا يقبل منه، وأشاروا إلىٰ ما إذا رآه علىٰ هيئة تخالف هيئته، مع أن الصورة كما هي، فقال أبو سعد أحمد بن محمد بن نصر: من رأىٰ نبيا علىٰ حاله وهيئته، فذلك دليل علىٰ صلاح الرائي، وكمال جاهه وظفره بمن عاداه، ومن رآه متغير الحال عابسا مثلا، فذاك دال علىٰ سوء حال الرائي، ونحا الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة إلىٰ ما اختاره النووي، فقال: بعد أن حكىٰ الخلاف ومنهم من قال: إن الشيطان لا يتصور علىٰ صورته أصلا، فمن رآه في صورة حسنة، فذاك حسن في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جوارحه شين، أو نقص، فذاك خلل في الرائي من جهة الدين، قال: وهذا هو الحق، وقد جرب ذلك فوجد علىٰ هذا الأسلوب، وبه تحصل الفائدة الكبرىٰ في رؤياه، حتىٰ يتبين للرائي هل عنده خلل أو لا، لأنه صلىٰ الله عليه وسلم نوراني مثل المرآة الصقيلة، ما كان في الناظر إليها من حسن أو غيره تصور فيها، وهي في ذاتها علىٰ أحسن حال، لا نقص فيها ولا شين،

وكذلك يقال في كلامه صلىٰ الله عليه وسلم في النوم، إنه يعرض علىٰ سنته، فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي، أو بصره، قال: وهذا خير ما سمعته في ذلك،

ثم حكىٰ القاضي عياض عن بعضهم قال: خص الله نبيه بعموم رؤياه كلها، ومنع الشيطان أن يتصور في صورته، لئلا يتذرع بالكذب علىٰ لسانه في النوم، ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة علىٰ صحة حالهم في اليقظة، واستحال تصور الشيطان علىٰ صورته في اليقظة، ولا علىٰ صفة مضادة لحاله، إذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل، ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة، حمىٰ الله حماها لذلك من الشيطان وتصوره، وإلقائه، وكيده، وكذلك حمىٰ رؤياهم أنفسهم، ورؤيا غير النبي للنبي عن تمثيل بذلك لتصح رؤياه في الوجهين، ويكون طريقا إلىٰ علم صحيح لا ريب فيه،

ولم يختلف العلماء في جواز رؤية الله تعالىٰ في المنام، وساق الكلام علىٰ ذلك، قلت: ويظهر لي في التوفيق بين جميع ما ذكروه: أن من رآه علىٰ صفة، أو أكثر مما يختص به فقد رآه، ولو كانت سائر الصفات مخالفة، وعلىٰ ذلك فتتفاوت رؤيا من رآه، فمن رآه علىٰ هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذي

لا يحتاج إلىٰ تعبير، وعليها يتنزل قوله: فقد رأىٰ الحق، ومهما نقص من صفاته فيدخل التأويل بحسب ذلك ويصح إطلاق أن كل من رآه في أي حالة كانت من ذلك فقد رآه حقيقة.

تنبيه: جوز أهل التعبير رؤية الباري عز وجل في المنام مطلقا، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤيا النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وأجاب بعضهم عن ذلك بأمور قابلة للتأويل في جميع وجوهها، فتارة يعبر بالسلطان، وتارة بالوالد، وتارة بالسيد، وتارة بالرئيس في أي فن كان، فلما كان الوقوف علىٰ حقيقة ذاته ممتنعا، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب، كانت رؤياه تحتاج إلىٰ تعبير دائما، بخلاف النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فإذا رؤىٰ علىٰ صفته المتفق عليها، وهو لا يجوز عليه الكذب، كانت في هذه الحالة حقا محضا، لا يحتاج إلىٰ تعبير،

وقال الغزالي: ليس معنىٰ قوله رآني، أنه رأىٰ جسمي وبدني، وإنما المراد أنه رأىٰ مثالا، صار ذلك المثال آلة يتأدىٰ بها المعنىٰ الذي في نفسي إليه، وكذلك قوله: "فسيراني في اليقظة " ليس المراد أنه يرىٰ جسمي وبدني، قال: والآلة تارة تكون حقيقية، وتارة تكون خيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفىٰ، ولا شخصه، بل هو مثال له علىٰ التحقيق، قال: ومثل ذلك من يرىٰ الله سبحانه = = وتعالىٰ في المنام، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة، ولكن تنتهي تعريفاته إلىٰ العبد بواسطة مثال محسوس من نور، أو غيره، ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف، فقول الرائي: رأيت الله تعالىٰ في المنام، لا يعني أني رأيت ذات الله تعالىٰ كما يقول في حق غيره، وقال أبو القاسم القشيري ما حاصله: إن رؤياه علىٰ غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو، فإنه لو رأىٰ الله علىٰ وصف يتعالىٰ عنه وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك لا يقدح في رؤيته، بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل، كما قال الواسطي: من رأىٰ ربه علىٰ صورة شيخ، كان إشارة إلىٰ وقار الرائي، وغير ذلك، وقال الطيبي: المعنىٰ من رآني في المنام بأي صفة كانت، فليستبشر ويعلم أنه قد رأىٰ الرؤيا الحق التي هي من الله، وهي مبشرة، لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب للشيطان، فإن الشيطان لا يتمثل بي، وكذا قوله: فقد رأىٰ الحق، أي رؤية الحق، لا الباطل، وكذا قوله: فقد رآني، فإن الشرط والجزاء إذا اتحدا، دل علىٰ الغاية في الكمال، أي فقد رآني رؤيا ليس بعدها شيء،

وذكر الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: أنه يؤخذ من قوله: "فإن الشيطان لا يتمثل بي " أن من تمثلت صورته صلىٰ الله عليه وسلم في خاطره من أرباب القلوب، وتصورت له في عالم سره،

أنه يكلمه أن ذلك يكون حقا، بل ذلك أصدق من مرأىٰ غيرهم، لما من الله به عليهم من تنوير قلوبهم، انتهىٰ.

وهذا المقام الذي أشار إليه هو الإلهام، وهو من جملة أصناف الوحي إلىٰ الأنبياء، ولكن لم أر في شيء من الأحاديث وصفه بما وصفت به الرؤيا أنه جزء من النبوة، وقد قيل في الفرق بينهما: إن المنام يرجع إلىٰ قواعد مقررة، وله تأويلات مختلفة، ويقع لكل أحد بخلاف الإلهام، فإنه لا يقع إلا للخواص، ولا يرجع إلىٰ قاعدة يميز بها، بينه وبين لمة الشيطان، وتعقب بأن أهل المعرفة بذلك ذكروا أن الخاطر الذي يكون من الحق يستقر، ولا يضطرب، والذي يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر، فهذا إن ثبت كان فارقا واضحا،

ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك، قال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع، بعد أن حكىٰ عن أبي زيد الدبوسي من أئمة الحنفية، أن الإلهام ما حرك القلب لعلم يدعو إلىٰ العمل به من غير استدلال، والذي عليه الجمهور: أنه لا يجوز العمل به، إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح، وعن بعض المبتدعة، أنه حجة، واحتج بقوله تعالىٰ: { فألهمها فجورها وتقواها }، وبقوله: { وأوحىٰ ربك إلىٰ النحل }، أي: ألهمها، حتىٰ عرفت مصالحها، فيؤخذ منه مثل ذلك للآدمي، بطريق الأولىٰ، وذكر فيه ظواهر أخرىٰ، ومنه الحديث قوله صلىٰ الله عليه وسلم: { اتقوا فراسة المؤمن }، وقوله لوابصة: { ما حاك في صدرك فدعه، وإن أفتوك }، فجعل شهادة قلبه حجة مقدمة علىٰ الفتوىٰ، وقوله: " قد كان في الأمم محدثون "، فثبت بهذا أن الإلهام حق، وأنه وحي باطن، وإنما حرمه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه، قال: وحجة أهل السنة الآيات الدالة علىٰ اعتبار الحجة، والحث علىٰ التفكر في الآيات، والاعتبار، والنظر في الأدلة، وذم الأماني والهواجس والظنون، وهي كثيرة مشهورة، وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان، وقد يكون من النفس، وكل شيء احتمل أن لا يكون حقا لم يوصف بأنه حق، قال: والجواب عن قوله: { فألهمها فجورها وتقواها } أن معناه: عرفها طريق العلم، وهو الحجج، وأما الوحي إلىٰ النحل فنظيره في الآدمي فيما يتعلق بالصنائع، وما فيه صلاح المعاش، وأما الفراسة فنسلمها لكن لا نجعل شهادة القلب حجة، لأنا لا نتحقق كونها من الله، أو من غيره. " انتهىٰ ملخصا

كنت قد شكوت ذلك إلي شيخ كنت أجالسه، فقال: لا تكره ذلك، فإن الله قد بارك لعبد في حاجة أذن له بالدعاء فيها. وكان يقال: الدعاء يوجب الحضور، وقضاء الحاجة يوجب الانصراف، والمقام علي الباب، أتم من الانصراف بالمشار، ولهذا قال بعضهم: لو استجيب للعبد في كل ما سأل، لخرج من حد العبودية، وإنما أمر بالدعاء ليكون عبد لله، والله سبحانه يفعل ما يشاء.

- ألا ومنها: الإقامة علي المعاصي، وقصد اتباع الشهوات[513] كما قيل:-

---

[512] رؤية يحيي بن سعيد لرب العزة في المنام ذكرها القشيري في الرسالة القشيرية 2/ 563، الناشر دار المعارف، القاهرة، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود بن الشريف. وذكرها أيضا الثعلبي في تفسيره 4/ 526 والمسمي الكشف والبيان عن تفسير القرآن. الناشر دار التفسير بجدة السعودية الطبعة الأولي 1436هـ = 2015م. وعبد القادر الجيلاني في كتابه الغنيه لطالبي طريق الحق 2/ 74. الناشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولي 1417هـ 1997م تحيق صلاح محمد عويضة.

وقوله: { إني أحب أن أسمع صوتك } له شاهد عند الطبراني في الأوسط 2/ 60 (1245) عن عمرو بن مرة قال: { إن مما أنزل الله عز وجل: إن الله ليبتلي العبد وهو يحب ليسمع تضرعه }

وله شاهد آخر مرفوعا عن أبي أمامة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل يقول للملائكة: { انطلقوا إلي عبدي فصبوا عليه البلاء صبا فيحمد الله، فيرجعون فيقولون: صببنا عليه البلاء صبا كما أمرتنا، فيقول: ارجعوا فإني أحب أن أسمع صوته } رواه البيهقي في الشعب 7/ 149 (9801) والطبراني في الكبير (7697) وله شاهد آخر من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا عند الطبراني في الأوسط 8/ 216 (8442)

[513] جاء في اللباب في علوم الكتاب 3/ 298: " فإن قيل: إنه تعالىٰ قال {ادعوني أستجب لكم}، وقال هنا {أجيب دعوة الداع إذا دعان}، وقال {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السواء ويجعلكم} [النمل: 62] ثم إنا نرىٰ الداعي يبالغ في الدعوات والتضرع، فلا يجاب.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أن هذه الآيات، وإن كانت مطلقة إلا أنه وردت في آية أخرىٰ مقيدة، وهو قوله تعالىٰ: {بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شآء} [الأنعام: 41] والمطلق يحمل علىٰ المقيد.

وثانيها: قوله – عليه الصلاة والسلام –: «دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدىٰ ثلاث: ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل»، قالوا: وما الاستعجال، يا رسول الله؟ قال: يقول: قد دعوتك يا رب قد دعوتك يا رب، قد دعوتك يا رب، فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء

وثالثها: أن قوله {أستجب لكم} يقتضي أن الداعي عارف بربه، ومن صفات الرب سبحانه وتعالىٰ أنه لا يفعل إلا ما وافق قضاءه وقدره، وعلمه وحكمته، فإذا علم العبد أن صفة ربه هكذا، استحال منه أن يقول بقلبه أو بعقله يا رب، أفعل الشيء الفلاني، بل لا بد وأن يقول: أفعل هذا الفعل، إن كان موافقا لقضائك وقدرك؛ وعند هذا يصير الدعاء المجاب مشروطا بهذه الشرائط، فزال السؤال.

ورابعها: أن لفظ الدعاء والإجابة يحتمل وجوها كثيرة:

فقيل: الدعاء عبارة عن: التوحيد والثناء علىٰ الله تعالىٰ؛ لقول العبد يا الله الذي لا إله إلا أنت، فدعوتهن ثم وحدته وأثنيت عليه فهذا يسم دعاء بهذا التأويل، فسمي قبوله إجابة للتجانس، ولهذا قال ابن الأنباري: «أجيب» ههنا بمعنىٰ «أسمع»؛ لأن بيهن السماع والإجابة نوع ملازمة، فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر، فقولنا: «سمع الله لمن حمده»، أي: أجاب الله، فكذا هاهنا قوله: {أجيب دعوة الداع}، أي: أسمع تلك الدعوة، فإذا حملنا قوله تعالىٰ {ادعوني أستجب لكم} علىٰ هذا الوجه، زال الإشكال.

وقيل: المراد من الدعاء التوبة من الذنوب؛ وذلك لأن التائب يدعو الله تعالىٰ بتوبته، فيقبل توبته، فإجابته قبول توبته إجابة الدعاء، فعلىٰ هذا الوجه أيضا يزول الإشكال.

وقيل: المراد من الدعاء العبادة، قال عليه الصلاة والسلام: الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالىٰ: {إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} [غافر: 60] فالدعاء هاهنا هو العبادة. وإذا ثبت ذلك، فإجابة الله للدعاء عبارة عن الوفاء بالثواب للمطيع؛ كما قال

{ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله} [الشورىٰ: 26] روىٰ شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – يقول: «أعطيت أمتي ثلاثا، لم تعط إلا للأنبياء: كان الله إذا بعث النبي، قال:» ادعني أستجب لك «، وقال لهذه

ندعو فيرتفع الدعاء وإنما..... تقف الذنوب بوجهه فيعود

كيف السبيل إلي وصول دعائنا ..... وطريقة بذنوبنا مسدود

وفي الصحيح: فيمن أكل وشرب ولبس حراما وهو يدعو فأني يستجاب لذلك[514]. وقال ابن عمر لابن عامر، وقد سأله أن يدعو له: " لا يقبل الله صدقه من

الأمة:» ادعوني أستجب لكم «وكان الله إذا بعث النبي، قال له:» ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الأمة: {وما جعل عليكم في الدين من حرج} [الحج: 78] وكان الله تبارك وتعالىٰ إذا بعث النبي جعله شهيدا علىٰ قومه، وجعل هذه الأمة شهداء علىٰ الناس «

وخامسها: {أجيب دعوة الداع} إن وافق القضاء وأجيب إن كانت الإجابة خيرا له، أو أجيبه إن لم يسأل محالا.

وسادسها: روىٰ عبادة بن الصامت؛ أن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال: "ما علىٰ الأرض من رجل مسلم يدعوا الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم "

وسابعها: إن الله يجيب دعاء المؤمن في الوقت، ويؤخر إعطاء من يجيب مراده، ليدعوه فيسمع صوته، ويعجل إعطاء من لا يحبه؛ لأنه يبغض صوته.

[514] أخرج مسلم في صحيحة 2/ 703 (1015) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين: فقال: { يا أيها الناس كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم } (المؤمنون 51) وقال: { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم } (البقرة 172) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلي السماء، = = يارب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يستجاب لذلك } أخرجه مسلم في صحيحة 2/ 703 (1015)، والترمذي في سننه 5/ 220 (2989). وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أيضا أحمد في مسنده 14/ 89 (8348) والدارمي في سننه 3/ 1786 (2759) وقال محققه: إسناده صحيح علي شرط مسلم

غلول، وقد كنت علي البصرة، ولا أظنك تسلم من شرها "[515] أي أعلم إقلاعك عن ذلك حتىٰ أدعو لك.

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: حدثنا جرير بن حازم، عن وهب، قال: بلغني أن نبي الله موسي – صلي الله عليه وسلم – مر برجل "يدعو ويتضرع"، فقال: " يا رب ارحمه فإني قد رحمته "، فأوحي الله تعالي إليه: لو دعاني حتىٰ تتقطع قواه، ما استجبت له، حتىٰ ينظر في حقي عليه [516]. وسئل جعفر الصادق: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ فقال: " لأنكم تدعون ما لا تعرفونه "[517]

- ومنها الاستعجال للإجابة: ففي الصحيحين { يستجاب لأحدكم ما لم يعجل }[518]. وفي أثر إسرائيلي: يقول الله: " يا داود: من انقطع إلي كفيته، ومن سألني

---

[515] حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 1/ 204 (224) والمرفوع قوله { لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غُلول } والباقي من كلام ابن عمر لابن عامر وأخرجه أيضا أحمد في مسنده 9/ 308 (5419). وابن حبان في صحيحة 8/ 152 (3366). وأبو داود الطيالسي في مسنده 3/ 397 (1986). وابن أبي شيبة في مصنفة 1/ 13 (26) والترمذي في سننه 1/ 5 (1) وقال الترمذي: " هذا الحديث شيء في هذا الباب أحسن "

[516] الزهد لأحمد بن حنبل 1/ 74 (451). وحكاه عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان 1/ 88. وفي شفاء العليل 1/ 115 وفي عدة الصابرين 1/ 147

[517] روي ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1/ 689 (1220) " قال رجل لإبراهيم بن آدهم – رضي الله عنه – قال الله تعالي: { ادعوني استجب لكم } (غافر 60) فما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ فقال له إبراهيم: من أجل خمسة أشياء، قال: وما هي ؟ قال: عرفتم الله، فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن، فلم تعلموا بما فيه، وقلتم نحب الرسول صلي الله عليه وسلم، وتركتم سننه، وقلتم نلعن إبليس، وأطعتموه، والخامسة: تركتم عيوبكم، وأخذتم في عيوب الناس "

[518] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – سبق تخريجه وهو عند البخاري في صحيحة 8/ 74. ومسلم في صحيحة 4/ 2095

أعطيته، ومن دعاني أجبته، لكن يدعو الداعي، ولم يتم قضائي، فلم تزل دعوته معلقة، وقد استجبتها له، حتىٰ يتم قضائي، فأعطيه ما سأل ".[519]

[519] لم أقف عليه. وفي صحيح البخاري 8/ 105 (6502) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { إن الله قال: من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب، أو ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، تردي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته } والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحة 2/ 58 (347). والبيهقي في الكبرىٰ 3/ 482 (3695). وابو نعيم في الحلية 1/ 4. والبيهقي في الأسماء والصفات 2/ 447 (1029).

الفصل الثامن في بيان حكمه التكليفي[520]

وينقسم للأحكام الخمسة:

فالواجب منه: ما تضمنه الفاتحة في الصلاة. والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم في العمر مرة[521]، وكلما ذكر عند الطحاوىٰ والحليمي، والدعاء للميت في الصلاة علي الجنازة، والسلام الأول في الصلاة فإنه دعاء بالسلامة.

---

[520] الحكم التكليفي هو: خطاب الله تعالي، المتعلق بأفعال المكلفين، علي جهة الاقتضاء، أو التخيير، أو الوضع.

والخطاب في الأصل: توجيه الكلام للغير ليفهمه، ويطلق علي الكلام نفسه. والمراد به هنا: كلام الله تعالي، فهو المشرع وحده دون غيره. ومعني تعلق الخطاب بأفعال المكلفين: ارتباطه بهذه الأفعال، علي وجه يبين صنفها، من كونها مطلوبة الفعل، أو الترك، أو مخيرا فيها.

والاقتضاء معناه الطلب، سواء كان طلب فعل، أم كان طلب ترك، فطلب الفعل إن كان جازما فهو الواجب. وإن كان غير جازم، فهو المندوب، وطلب الترك إن كان جازما، فهو الحرام، وإن كان غير جازم فهو المندوب،

والتخيير أي المساواة بين الفعل والترك هو المباح

روضة الناظر لابن قدامة 1/ 99. وشرح التلويح علي التوضيح 1/ 22. والبحر المحيط في أصول الفقه 1/ 172

[521] قال القرطبي في تفسيره 14/ 232: " أمر الله تعالىٰ عباده بالصلاة علىٰ نبيه محمد صلىٰ الله عليه وسلم دون أنبيائه تشريفا له، ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة، التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه. الزمخشري: فإن قلت الصلاة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة. وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجبها كلما جرىٰ ذكره. وفي الحديث: (من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله). وروىٰ أنه قيل له: يا رسول الله، أرأيت قول الله عز وجل:" إن الله وملائكته يصلون علىٰ النبي" فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: (هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله تعالىٰ وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي

وأما المندوب: فكالقنوت في الصبح، وسمع الله لمن حمده، أي استجاب الله، ولهذا تعدي باللام، وإلا قيل: سمع الله من حمده، نظرا للمعني المذكور. وكذا دعاء الاستسقاء، وأكثره استغفار لطلب الغيث. وكأدعية الصباح والمساء، والأحوال العارضة، ومنه تشميت العاطس، وغير ذلك.

وأما المحرم: فهو طلب نفي ما دل السمع.، من كتاب أو سنه علي ثبوته: كالدعاء للكفرة بالمغفرة[522]، ونفي تخليدهم في النار، وجعله القرافئ كفرا[523]، لتضمنه تكذيب خبر الصادق في قوله: { إن الله لا يغفر أن يشرك به } (النساء 48 ،116)

قال: ومنه السؤال بطلب الراحة من أهوال يوم القيامة[524]، وفي هذا نظر، ففي الصحيح: { سبعة يظلهم الله تحت ظله، يوم لا ظل إلا ظله }[525]. وقال تعالي: {

علي إلا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالئ وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين. ولا أذكر. عند عبد مسلم فلا يصلي علي إلا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالئ وملائكته لذينك الملكين آمين (. ومنهم من قال: تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره، كما قال في آية السجدة وتشميت العاطس. وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر. وكذلك قال في إظهار الشهادتين. والذي يقتضيه الاحتياط: الصلاة عند كل ذكر، لما ورد من الأخبار في ذلك

[522] قال النووي في الإجماع شرح المهذب 5/ 144: " وأما الصلاة علي الكافر والدعاء له بالمغفرة، فحرام بنص القرآن والإجماع ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوئ 12/ 489 " الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع " وذلك لقوله تعالي { ولا تصل علي أحد منهم مات أبدا ولا تقم علي قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا = = = وهم فاسقون } (التوبة 84) وقوله تعالي: { وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعده وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم } (التوبة 114)

[523] الفروق للقرافي 4/ 259، 260

وهم من فزع يومئذ آمنون } (النمل 89) فإذا سأل العبد حصول هذا المقام، فهو غير ملوم.

طلب ثبوت ما دل السمع علي نفيه، كطلب خلود مؤمن عدو له في النار، وجعله من الطراز الأول للقطع بأن الله لا يخلد المؤمن في النار، أو طلب استدامة الحياة للراحة من آلام الموت، أو الدعاء لجميع بني آدم بالسلامة من إبليس ومكايده، مع قوله تعالي { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا }(فاطر 6). أو الدعاء بأن يري الله في اليقظة، أو طلب أن يفوض إليه من أمور الحاكم ما هو مختص بالقدرة القديمة من الإيجاد والإعدام ،والقضاء النافذ، وقد دل القاطع العقلي علي استحالة ثبوت ذلك لغير الله، فيكون طلبه كفرا، وقد وقع فيه بعض جهال الصوفية، فيقولون: فلان أعطي

---

(524) الذي ذكره القرافي في الفروق 4/ 260 " الثالث: أن يسأل الداعي الله تعالي أن يريحه من البعث حتىٰ يستريح من أهوال يوم القيامة، وقد أخبر تعالي عن بعث كل أحد من الثقلين فيكون هذا الدعاء كفرا، لأنه طلب لتكذيب الله تعالي في خبره "

قلت: والفارق كبير بين أن يسأل الداعي الله تعالي أن يريحه من البعث، كما قال القرافي وبين أن يسأل الداعي الله تعالي أن يريحه من أهوال البعث كما ذكر المصنف.

فالأول: منهي عنه، ولا يجوز شرعا. والثاني: جائز لأنه صح أنه عليه الصلاة والسلام قال: { ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة }

أخرجه ابن ماجة في سننه 2/ 1266 (3851) من حديث أبي هريرة وقال الألباني صحيح

(525) حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 1/ 133 (660). ومسلم في صحيحة 2/ 715 (1031). والنسائي في سننه 8/ 222(5380). والترمذي في سننه 4/ 598 (2391). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ". وأخرجه ابن خزيمة في صحيحة 1/ 185 (358). وابن حبان في صحيحة 10338 (4486)

كلمة كن، ويسألون الله ذلك[526]، وقد قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: إن بناء الكنائس كفرا، إذا بناها مسلم، ويكون ردة في حقه لا ستلزامه إرادة الكفر[527]

واعلم أن الداعي بهذه الأمور قصدا مع علمه بالمنع الوارد فيه كافر بلا شك. قال الشيخ عز الدين: ولا يعذر أحد بجهل ذلك لوجوب معرفة ذلك علي المكلف عينا وقال القرافي: والجهل بما تؤدي إليه هذه الأمور لا يكون عذرا للداعي عند الله، لأن القاعدة الشرعية دلت علي أن كل جهل يمكن المكلف دفعه لا يكون حجة للجاهل، فإن التعلم قبل العمل واجب[528]، وقد قال نوح عليه السلام: { رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم } (هود 47)

وأما الدعاء المحرم الذي لا ينهي إلي الكفر فجعله القرافي بالاستقراء اثني عشرا قسما[529]:

أحدها: طلب ما هو مستحيل عقلا كسؤال أن يجعل في مكانين متباعدين في زمن واحد ليطلع علي أحوال أهل الإقليمين، فهذا سوء أدب علي الله[530]، ولا يطلب من الملوك إلا ما جرت عادتهم بفعله. وكسؤال السلامة من الآلام والأعراض والأسقام[531]

---

[526] الفروق للقرافي 4/ 262

[527] الفروق للقرافي 4/ 264

[528] الفروق للقرافي 4/ 264

[529] الفروق 4/ 265

[530] الفروق للقرافي 4/ 266

[531] قال ابن الشاط في إدرار الشروق 4/ 266: " ما قاله من أن الدعاء بالكون في مكانين في زمن واحد حرام لم يأت عليه بحجة غير ما أشار إليه من القياس علىٰ الملوك وهو قياس فاسد لجواز العجز عليهم وامتناعه عليه تعالىٰ.

ثانيها: طلب ما هو مستحيل عادة إلا أن يكون نبيا أو وليا، فإن عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خرق العادات، وقد سألوا عيسي في نزول المائدة من السماء فنزلت، وكذا سألوا خروج ناقة بفصل من الصخرة الصماء فخرجت، وكسؤال أن يستغني عن التنفس في الهواء ليأمن الاختناق علي نفسه[532] أو العافية من المرض أبد الدهر لينتفع بقواه، وحواسه أو الولد من غير جماع، أو الثمر من غير شجر[533]

وقال: ومنه قول بعضهم: " اللهم لا ترم نفسا في شدة " فإن عادة الله جرت بذلك[534]. وقولهم: اللهم أعطنا خير الدنيا والآخرة واصرف عنا شر الدنيا والآخرة[535]، لأن ذلك يستحيل عادة، إلا أن يقصد به الخصوص. ومن هذا الباب

وما قاله من أن العبد مأمور أن لا يطلب إلا ما يتصور وقوعه هو عين الدعوىٰ، وما قاله من أنه يلزم أن يكون متهكما بالربوبية ممنوع ولا وجه لما قاله إلا القياس علىٰ الملوك، وما باله يقيسه تعالىٰ عليهم في قصد التعجيز والتهكم ولا يقيسه عليهم في قصد المبالغة والغلو في التعظيم والتفخيم فقد خوطب الملوك بنسبة المستحيلات العقلية والعادية إليهم علىٰ وجه الغلو في ترفيعهم لا علىٰ قصد تعجيزهم بل لقائل أن يقول من خاطب الله تعالىٰ بمثل ذلك تعين أن يكون للمبالغة في التعظيم كما هو الواجب في حقه أو قاصدا للتعجيز أو غير قاصد لهذا ولا لهذا، فعلىٰ التقدير الأول لا حرج بل يكون مطيعا مأجورا، وعلىٰ التقدير الثاني يكون عاصيا وعلىٰ التقدير الثالث يكون مطيعا بصورة الدعاء مثابا عليه غير مطيع ولا عاص بالقصد لعروه عنه

[532] الفروق للقرافي 4/ 269

[533] الفروق للقرافي 4/ 269

[534] أي عادة الله تبارك وتعالي، جارية قطعا بوقوع بعض الأنفس في الشدائد، بل لا تكاد نفس تسلم من شدة في مدة حياتها. الفروق 4/ 269

[535] أخرج ابن أبي شيبة في مصنفة عن عائشة رضي الله عنها 6/ 21 (29165) { كان رسول الله – صلي الله عليه وسلم – يحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوي ذلك }

وعن عائشة – رضي الله عنها – أنها كانت تصلي، فقال لها النبي – صلي الله عليه وسلم: { عليك من الدعاء بالكوامل الجوامع }، قولي: { اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم،

ربط المسببات بالأسباب فلا يطلب أحد من ذوي الألباب وقوع المسبب من غير سبب، لما فيه من سوء الأدب. وقد قال بعضهم: " يا بني أجعل عملك ملجأ، وأدبك دقيقا " أي ليكن استكثارك من الأدب أكثر من استكثارك من العمل[536]. ويحكي أن إبليس ظهر لعيسي عليه السلام، فقال له: " ألست تقول: إنه لن يصل إليك إلا ما كتب لك، قال: نعم، قال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل، فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم، فقال: يا ملعون، إن الله سبحانه أراد أن يختبر عباده، وليس للعبيد أن يختبروه[537]

ثالثها: طلب نفي ما دل الشرع علي نفيه، لأنه تحصيل حاصل، كقوله { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } (البقرة 286) مع قوله عليه السلام: { رفع عن أمتي

وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم } أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده 3/ 148 (1674)، وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 44 (29345)، وإسحاق بن راهوية في مسنده 2/ 590 (1165)، وأحمد في مسنده 41/ 474 (25019) والبخاري في الأدب المفرد 1/ 222 (639) وابن ماجة في سننه 2/ 1264 (3846)

[536] قال القرافي في الفروق 3/ 96: " قال رويم لابنه: " يا بني: اجعل عملك ملحا، وأدبك دقيقا" أي استكثر من الأدب، حتىٰ تكون نسبته في الكثرة نسبة الدقيق إلىٰ الملح، وكثير من الأدب مع قليل من العمل الصالح، خير من كثير من العمل، مع قلة الأدب، وهذه القاعدة قد تقدم التنبيه عليها، وهي أن الله تعالىٰ أمر عباده أن يتأدبوا معه، كما يتأدبوا مع أماثلهم، فإن ذلك هو الممكن في عبادة الله تعالىٰ، فإنه لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية، ولما كان الأدب مع الملوك أعظم نفعا لفاعله، وأجدىٰ عليه من كثير الخدمة مع قلة الأدب، كان الواقع مع الله تعالىٰ ذلك، وكذلك صدق الوعد والوفاء بالالتزام، من محاسن الأخلاق بين العباد، وفي معاملة الملوك، ولما عظم هذا المعنىٰ جعل هو سبب الوجود بدلا من المصالح في نفس الأفعال فتأمل ذلك"

[537] أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد 1/ 203 (1405)

الخطأ والنسيان }[538] فيكون الدعاء بذلك سوء أدب علي الله، لما فيه من عدم الفائدة. وأما قوله تعالي: { ربنا آتنا ما وعدتنا علي رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد } (آل عمران 194) فلما كان حصول الوعد مشروط بشرط الوفاء علي الإيمان، وهذا الشرط مشكوك فيه، ساغ طلبه فكأنهم لم يطلبوا إلا الوفاء علي الإيمان. وأما قوله: { وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين } (الأعراف 47) فإن من المعلوم أن من دخل الجنة لا يلج النار، فالقائل ذلك هم أصحاب الأعراف، لا أهل الجنة كما قال المفسرون[539]، فهم علي خوف من سوء العاقبة، وأفعال القيامة توجب الدهش عن المعلومات.

---

[538] حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه ابن حبان مرفوعا في صحيحة 16/ 202 (7219) ولفظه { إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه }، وأخرجه بهذا اللفظ أيضا الطبراني في الصغير 2/ 52 (765) وفي الكبير 11/ 133 (11274)، والدار قطني في سننه 5/ 300 (4351)، والحاكم في المستدرك 2/ 216 (2801) وقال: " هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين، ولم يخرجاه " وقال الذهبي في التلخيص: " علي شرط البخاري ومسلم ". وبلفظ { إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه } رواه ابن ماجة مرفوعا في سننه 1/ 659 (2045) وقال البوصيري في الزوائد: " إسناده صحيح، إن سلم من الانقطاع، والظاهر أنه منقطع " وقال الألباني: " صحيح "، وأخرجه الطبراني في الأوسط 8/ 161 (8273)

[539] قال بذلك أكثر المفسرين وعامتهم.

تفسير الطبري 12/ 466. وتفسير الماتريدي 4/ 433 وتفسير البغوي 2/ 195. وتفسير القرطبي 7/ 214

ومنه اللهم لا تهلك هذه الأمة بالخسف العام، والريح العاصف، فإن في الصحيح، أنه صلي الله عليه وسلم، سأل ربه ذلك، فأجابه[540].

وقولهم للمريض: اللهم اجعل هذه المرضة كفارة، فقد دلت النصوص علي ذلك، فلا حاجة لدعائه. هذا حاصل ما ذكره القرافي[541]، وفيه نظر. وفي كتاب الذكر

---

[540] عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { سألت ربي عز وجل ثلاثا: سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالسنه العامة، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعيتها }

رواه مسلم في صحيحة 4/ 2216 (2890)، وابن خزيمة في صحيحة 2/ 224 (1217). وابن حبان في صحيحة 16/ 219 (7237)، واحمد في مسنده 3/ 141 (1574). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 311 (31695). وأبو يعلي الموصلي في مسنده 2/ 84 (734) وقال الألباني والأرناؤوط وحسين سليم أسد: صحيح.

وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { إن الله زوىٰ لي الأرض» – أو قال: – " إن ربي زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوىٰ أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة بعامة، ولا أسلط عليهم عدوا من سوىٰ أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها – أو قال بأقطارها – حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضا، وحتىٰ يكون بعضهم يسبي بعضا، وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله }، أخرجه مسلم في صحيحة 4/ 2215 (2889)، وأبو داود في سننه 4/ 97 (4252). والترمذي في سننه = =4/ 472 (2176) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحة 15/ 109 (6714). وأحمد في مسنده 37/ 117 (22452)

لجعفر الفريابي: حدثنا عبد الأعلي بن حماد، ثنا وهيب عن موسي بن عقبه عن محمد بن المنكدر يرفعه إلي النبي - صلي الله عليه وسلم - في آخر سورة البقرة: قال: { هي قرآن وهي دعاء، وهي ترضي الرحمن عز وجل }[542]. وفيه أن الأوزاعي قال: كان بعض السلف يقول: " اللهم اغفر لي ساعة أتت علي، وكنت فيها خاطئا أو ساهيا ". وقال ابن القاص من أصحاب الشافعي: " استحب أن يزيد المصلي في القنوت { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا } (البقرة 286) إلي آخر الآية، واستحسنه الروياني [543] لكن استغربه النووي من جهة كراهة القرآن في غير القيام، لا من جهة كونه دعاء تحصيل حاصل[544].

رابعها: أن يرد الشرع بإثبات شيء، ولا حاجة إلي طلب إثباته، لأنه تحصيل حاصل، والطالب إما جاهل أو متجاهل، كما لو قال: أوجب علي الحج إلي بيتك، والصلاة إلي الكعبة. وأما سؤال الوسيلة للنبي صلي الله عليه وسلم مع القطع

---

[541] الفروق للقرافي 4/ 260 وما بعدها

[542] أخرجه ابن الضريس عن محمد بن المنكدر مرفوعا في فضائل القرآن 1/ 90 (184) ولفظه: { في آخر سورة البقرة: هي قرآن، وهو دعاء، وهن يدخلن الجنة، وهن يرضين الرحمن }
فضائل القرآن لابن الضريس البجلي (ت:294هـ) ط دار الفكر. دمشق، 1408هـ تحقيق: غزوة بدير.
وفي الصحيحين عن أبي مسعود البدري الأنصاري قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم - { من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه }.
أخرجه البخاري في صحيحة 6/ 188 (5008) وفي أكثر من موضع من صحيحة غير هذا. وأخرجه مسلم في صحيحة 1/ 555 (808). والترمذي في سننه 5/ 159 (2881) وقال: " هذا حديث حسن صحيح "

[543] بحر المذهب للروياني 2/ 233. والشرح الكبير للرافعي 4/ 253 والنجم الوهاج في شرح المنهاج 2/ 300. وعجالة المحتاج إلي توجيه المنهاج 1/ 281

[544] روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي 1/ 331. والمجموع شرح المهذب للنووي 4/ 16

بحصولها له، فأجاب القرافي[545]: بأنه أعطيها مرتبة علي دعائنا، واعلم أن دعائنا يحصل له، فحسن أمرنا بالدعاء، لأنه سبب هذا الأمر، وحسن الأخبار بحصولها لأنه أعلم بوقوع السبب ". وفيما ذكره نظر، وقد صرح ابن المنير بجواز الدعاء بالمقطوع به، وتمسك بسؤال الوسيلة[546].

وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم: { اللهم ثبت قلبي علي دينك }[547]، وكذلك قوله: { اللهم اهدني لأحسن الأخلاق }[548]. وقوله: { اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد }[549] ونحوه، مما قطع بحصوله من الدعاء به. نعم في صحيح

---

[545] الفروق للقرافي 4/ 302. والمسمي أنوار البروق في أنواء الفروق

[546] الراجح جواز الدعاء بالمقطوع به، ثبت ذلك في أحاديث كثيرة صحيحة منها ما رواه البخاري في صحيحة 6/ 86 (4719) وغيره عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة }
وأخرجه ابن خزيمة في صحيحة 1/ 220 (420). والنسائي في سننه 2/ 26 (680). وأبو داود في سننه 1/ 146 (529). والترمذي في سننه 1/ 413 (211) وقال الترمذي " حديث جابر حسن غريب " وأخرجه أحمد في مسنده 23/ 120 (14817)

[547] حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 538 (3522) وقال هذا حديث حسن. وقال الألباني صحيح. وأخرجه أحمد في مسنده 44/ 278 (26679) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 25 (29197). وإسحاق بن راهويه في مسنده 4/ 112 (1879). والطبراني في الكبير 23/ 334 (772)

[548] حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 1/ 534 (771)، وأبو داود في سننه 1/ 201 (760). والنسائي في سننه 2/ 129 (897). والترمذي في سننه 5/ 485(3421). وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح "

[549] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 1/ 149 (744). ومسلم في صحيحة 1/ 419 (598). والنسائي في سننه 1/ 50 (60). وأبو داود في سننه 1/ 207

مسلم، عن ابن مسعود أن أم حبيبة قالت: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال النبي صلي الله عليه وسلم –: { قد سألت الله عز وجل لآجال مضروبة وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، ولن يعجل الله شيئا قبل حله، أو يؤخر شيئا عن حله، فلو كنت سألت الله أن يعتقك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر كان خيرا وأفضل }[550].

- ومنه الدعاء بالموت: ففي الصحيح عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا علي خبّاب نعوده، فقال: { لولا أن النبي صلي الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت، لدعوت به }[551]

خامسها: طلب نفي ما دل السمع الآحادىٔ علي ثبوته:

كقوله: اللهم اغفر للمسلمين جميع ذنوبهم، وقد دلت الأحاديث الصحيحة علي أنه لا بد من دخول طائفة من المسلمين النار، وخروجهم منها بشفاعة أو غيرها، فلو غفر ذنوبهم كلها لم يدخل أحد منهم النار. فإن قيل: قد سبق في آداب الدعاء أن

---

(781). وابن ماجة في سننه 1/ 264 (805)، وقال الألباني صحيح. وأخرجه أيضا أحمد في مسنده 12/ 81 (7164)

[550] حديث أم المؤمنين أم حبيبة – رضي الله عنها – أخرجه مسلم في صحيحة 4/ 2050 (2663)، وابن حبان في صحيحة 7/ 235 (2969)، وأحمد في مسنده 7/ 439 (4441)، وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 19 (29139)

[551] حديث خبّاب – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 7/ 121 (5672). والنسائي في سننه 4/ 4 (1823). والترمذي في سننه 3/ 292 (970). وقال الترمذي: " وفي الباب عن أنس وأبي هريرة وجابر. وحديث خباب حديث حسن صحيح "، وأخرجه ابن ماجة في سننه 2/ 1394 (4163). وأحمد في مسنده 34/ 556 (21079). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 107 (29855)

تقول: اللهم اغفر لي ولجميع المسلمين، وأخبر تعالي عن الملائكة أنهم يقولون: { فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم } (غافر: 7) وقوله: { ويستغفرون لمن في الأرض } (الشوري: 5) فالجواب عن الأول أن الداعي بذلك، إن أراد في بعض الأشياء صح أن يشرك معه غيره إذ لا محذور، وإن أراد مغفرة جميع ذنوبه، صح ذلك في حقه، لأنه لم يتعين كونه من الداخلين في النار، وأما في جميع المسلمين، فإن أراد المغفرة من حيث الجملة صح، إذ لا منافاة، وإن أراد مغفرة جميع الذنوب[552]، فهو يحرم لما سبق. وعن طلب الثاني: أن طلب المغفرة للمؤمنين، لا عموم فيه، لكونها أفعالا في سياق الإثبات، ومنه: اللهم استر عوراتي يوم القيامة عن الأبصار، فقد صح أن الخلق يحشرون حفاة عراة.[553]

---

[552] هذا تخصيص بلا مخصص، فقد جاءت نصوص كثيرة من القرآن والسنة تحث علي الدعاء للمؤمنين والمؤمنات قال تبارك وتعالي { ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب } (إبراهيم 41) وقال تعالي: { والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا } (الحشر 10)

وقال تعالي: { فاعلم أنه لا له إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات } (محمد 19)

وأخرج الطبراني في مسند الشاميين 3/ 234 (2155) عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: { من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة }

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { ما من عبد يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله عليه عن كل مؤمن ومؤمنة مضي أو هو كائن إلي يوم القيامة بمثل ما دعا به } أخرجه عبد الرزاق في مصنفة 2/ 217 (3123) وابن بشران في الأمالي 1/ 166 (244)

[553] يحشر الناس يوم القيامة عرايا، عرايا الأبدان، عرايا المشاعر، عرايا الأحاسيس، بلا أدني ساتر، فالنفاق مفضوح، والإخلاص مكشوف، والحقد باد للعيان، والحب يشار إليه بالبنان. وقد روي البخاري في الآداب المفرد 1/ 539 (970) عن جابر بن عبد الله مرفوعا { يحشر الله العباد عراة

سادسها: طلب ثبوت أمر دل السمع الآحادي علي نفيه: كقولهم: اللهم اجعلني أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة[554]، لا ستريح من غمها. وقد صح أن هذا من الخصائص المحمدية، فقد سأل مقام النبوة.

غرلا بهما، ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب، أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبة بمظلمة، قلت وكيف ؟ وإنما نأتي الله عراه بهما ؟ قال: بالحسنات والسيئات }

أخرجه أحمد في مسنده 25/ 431 (16042). وابن أبي شيبة في مسنده 2/ 347 (851). والحاكم في المستدرك 4/ 618 (8715). وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقة الذهبي علي تصحيحة وأخرجه الطبراني في الكبير 13/ 132 (331)

ولهذا الرعب القاتل قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – لم يكن رسول الله صلي الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: { اللهم إني أسالك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتيٰ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي }

أخرجه ابن حبان في صحيحة 3/ 241 (961) وقال الألباني في تعليقة: حديث صحيح،وأخرجه أحمد في مسنده 8/ 403 (4785). وأبو داود في سننه 4/ 318 (5074). وابن ماجة في سننه 2/ 1273 (3871). والبخاري في الأدب المفرد 1/ 411 (1200) والنسائي في الكبرىٰ 9/ 210 (10325)

[554] عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { أنا سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع }

أخرجه أبو داود في سننه 4/ 218 (4673)، وقال الألباني: صحيح، وهذا لفظ أبي داود والحديث أخرجه البخاري في صحيحة 4/ 134 (3340) ومسلم في صحيحة 4/ 1782 (2278) والترمذي في سننه 4/ 622 (2434)

والإسلام يحض المؤمن علي أن يكون رجل القمة في ميدان عمله، وأن لا يرضي بالدون أبدا قال تعالي: { ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما } (الفرقان 74) وقال

سابعها: .....0[555] كقوله اللهم اغفر لي إن شئت ففي الحديث النهي عنه، والمعني فيه خلوه عن إظهار الحاجة إلي الله وغني العبد.

ثامنها: أن يعلقه بشأن الله كقوله: اللهم افعل بي ما أنت أهله في الدنيا والآخرة، وهذا الدعاء وإن استحبه بعضهم، فهو قبيح لأنه سبحانه كما هو أهل لمغفرة الذنوب، فهو أهل للمؤاخذة عليها، ونسبتها إليه واحدة، فمن نجا فبفضله، ومن هلك فبعدله، فالداعي بذلك طلب من الله أن يفعل به إما الخير وإما الشر، فاشتبه التخيير في المسئول.

ثم إنه إنما يستقيم علي مذهب المعتزلة بوجوب رعاية المصالح.

تاسعها: أن يرتبة علي استئناف المشيئة، كقوله: اللهم قدر لي الخير، والدعاء بوضعه اللغوي إنما يتناول المستقبل دون الماضي، لأنه طلب، وهذا إنما يصح علي مذهب الخوارج أن لا قضاء. وكذا قوله: اللهم اقض لنا الخير. وإن قيل: قدر واقض معناهما واحد كما في حديث الاستخارة { واقدر لي الخير حيث كان }[556] فالمراد هنا التيسير علي سبيل المجاز، فإن أريد هذا المعني جاز الإطلاق.

تعالي: { قل إن صلاتي ونسكيٰ ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين } (الأنعام 162 ،163)

[555] هنا كلام غير واضح في (ص) وفي (ط) نقط وقد أتممناه من الفروق للقرافي 4/ 285 ونصه " الدعاء المعلق علىٰ مشيئة الله تعالىٰ"

[556] حديث الاستخارة أخرجه عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – مرفوعا البخاري في صحيحة 8/ 81 (6382) وأبو داود في سننه 2/ 89 (1538). والترمذي في سننه 2/ 345 (480) وقال الترمذي: " وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، وأبي أيوب، وحديث جابر: حديث حسن صحيح "

عاشرها: أن يدعو بالألفاظ العجمية لجواز اشتمالها علي ما ينافي خلال الربوبية، فمنع العلماء من ذلك، لقوله تعالي: { فلا تسألن ما ليس لك به علم } (هود 46) فدل علي أن العلم بالجواز شرط في جواز السؤال.

حادي عشرها: الدعاء علي غير الظالم، لأنه سعي في إضرار غير مستحق فيكون حراما، كسائر المساعي الضارة. فإن قلت: فالله تعالي عالم بخفيات الأمور، فلا يجيب دعاء من دعا ظلما، فلا يضره ذلك.

قلت: لاشك أنه لا يؤثر بل المدعو عليه، لا يخلو غالبا من ذنوب اقترفها وسيئات اكتسبها من غير جهة الداعي فيستجيب الله تعالي دعاء هذا الداعي الظالم بدعائه، ويجعله سببا للانتقام من هذا المدعو عليه، كما ينفذ فيه سهم العدو الكافر، وسيف القاتل له ظلما، إما مؤاخذة له بذنوبه، أو رفعا في درجاته، مع أن صاحب السيف والسهم ظالم، فكذلك صاحب الدعاء ظالم بدعائه، ويعاقب هذا الداعي أيضا علي دعائه، فإنه بغير حق، نعم لو كان هذا المدعو عليه بريا[557] من الذنوب، جاز استجابة هذا الدعاء، لرفع الدرجات له.

قلت: وفي سنن أبي داوود عن أبي الدرداء قال: قال النبي – صلي الله عليه وسلم -: { إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلي السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت

---

[557] بريا: أي بريئا خاليا من الذنوب، قال أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث 2/ 253: " فلان نقي الثياب إذا كان بريا من الدنس والآثام. وفلان دنس الثياب إذا كان مغموصا عليه في دينه "

غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت. 224هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن. الطبعة الأولي 1384هـ = 1964م تحقيق د. محمد عبد المعيد خان

إلي الذي لعن: فإن كان لذلك أهلا، وإلا رجعت إلي قائلها }[558]. وهذا فيه تأثير الدعاء في غير الظالم، إن كان أهلا للدعاء عليه. أما الدعاء علي الظالم: فقال مالك وجماعة بجوازه[559] لقوله تعالي: { ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل } (الشورىٰ 41). ولكن الأحسن الصبر، والعفو لقوله { ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور } (الشورىٰ 43) أي معزومها[560] ومطلوبها عند الله، فإن زاد في

---

[558] حديث أبي الدرداء – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 4/ 277 (4905) وقال الألباني: حديث حسن، وأخرجه البزار في مسنده 10/ 24 (4084). والبيهقي في شعب الإيمان 7/ 149 (4799)، وابن أبي الدنيا في الصمت 1/ 206 (381)

وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا عند أحمد في مسنده 7/ 132 (4036). والطبراني في الدعاء 1/ 576 (2084) والطحاوي في شرح مشكل الآثار 9/ 326 (3707)

وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت 1/ 203 (372) موقوفا علي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { لا يقف أحدكم علي رجل يظلم ظلما، فإنه اللعنة تنزل من السماء علي من يحضره إذا لم يرفعه عنه، ولا يقف أحدكم علي رجل يقتل = = ظلما فإن اللعنة تنزل من الله علي من يحضره إذا لم يرفع عنه } رواه الطبراني في الكبير 11/ 260 (11675) والبيهقي في شعب الإيمان 10/ 66 (7173). وأبو نعيم في حلية الأولياء 3/ 345

[559]) ذهب إلي جواز الدعاء علي الظالم كثير من العلماء ومنهم مالك.

الفروق للقرافي 4/ 292. والذخيرة للقرافي المالكي 2/ 234 وشرح مختصر خليل 1/ 290. والفواكه الدواني 1/ 183. وحاشية الصاوي علي الشرح الصغير 1/ 329.وشرح صحيح البخاري لابن بطال 3/ 6. وشرح النووي علي مسلم 11/ 50. وفتح الباري شرح صحيح البخاري 2/ 241

[560] قال ابن الشاط في إدرار الشروق 4/ 293: " ليس في الآية التي استدل بها دليل علىٰ جواز الدعاء علىٰ الظالم، وإنما فيها الدليل علىٰ جواز الانتصار والانتصار هو الانتصاف منه علىٰ درجة لا يكون فيها زيادة علىٰ قدر الظلم وبالوجه الذي أبيح الانتصاف به، وجواز الانتصاف لا يستلزم

الإحسان علي ذلك فدعا له بالصلاح، والخروج عن الظلم، فقد أحسن إلي نفسه بالعفو، وتحصيل مكارم الأخلاق[561].

وقد روىٰ أن الإنسان إذا دعا بمكروه أو خير، قالت له الملائكة: " ولك بمثل ما قلت "[562]. وفي سنن أبي داود عن عائشة، أنها سرقت لها ملحفة، فجعلت تدعو علي

جواز الدعاء عليه إلا أن يكون الدعاء بتيسير أسباب الانتصاف منه فقد يسوغ دعوىٰ دلالة الآية علىٰ ذلك ضمنا لا صريحا، وأما الدعاء بغير ذلك فلا يدل عليه لا بضمن ولا صريح، وما قاله من أنه إن زاد علىٰ ذلك بأن دعا له فقد أحسن إلىٰ نفسه وإلىٰ الجاني صحيح أيضا، وما عقب به من ذلك الحديث المخبر عن الملائكة تقول ولك مثله إن كان أراد حمله علىٰ إطلاقه في الدعاء بالمكروه، وكذلك في الدعاء بالمحبوب فلا أرىٰ ذلك صحيحا بل إن دعا علىٰ ظالم بأن يصاب بمثل ما أصاب به فلا يقول الملك ولك مثله، وإنما يقول الملك ذلك إذا دعا علىٰ بريء أو علىٰ جان بأزيد في جنايته هذا في جانب المكروه، وأما الدعاء في جانب المحبوب فلا أراه إلا علىٰ إطلاقه والله تعالىٰ أعلم.

[561] ذكر القرافي المالكي هذا الكلام وغيره في الفروق 4/ 292، 293.

[562] الذي ورد في ذلك مقيد بالدعاء بالخير لا بالشر فعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول { ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بالمثل } رواه مسلم في صحيحة 4/ 2094 (2732) وأبو داود في سننه 2/ 89 (1534). وابن ماجة في سننه 2/ 966 (2895). وأحمد في مسنده 45/ 539 (27558)

وورد في الصحيح النهي عن الدعاء علي الغير، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم { لا تدعوا علي أنفسكم، ولا تدعوا علي أولادكم، ولا تدعوا علي أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجيب لكم }

رواه مسلم في صحيحة 4/ 2304 (3009) وأبو داود في سننه 2/ 88 (1532) وابن حبان في صحيحة 13/ 51 (5742)

من سرقها، فجعل النبي – صلي الله عليه وسلم – يقول: { لا تسبخي عنه }[563] أي لا تخففي. وقد صح أنه صلي الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال: { اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم }[564]. وفي حديث عائشة، قالت: قال رسول الله – صلي اله عليه وسلم: { من دعا علي من ظلمه فقد انتصر }[565]. أخرجه الترمذي، وقال: غريب، وفي سنده ميمون الأعور أبو حمزة تكلم فيه من قبل حفظه "[566]

تنبهات:

---

[563] حديث عائشة – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 2/ 80 (1497). والنسائي في الكبرىٰ 7/ 6 (7318) وأحمد في مسنده 40/ 214 (24183). والطبراني في الأوسط 4/ 184 (3295) وإسحاق بن راهوايه في مسنده 3/ 639 (1222). وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 74 (29577)

وقوله { لا تسبخي } معناه: لا تخففي عنه الإثم الذي استحقه بالسرقة بدعائك عليه.

معالم السنن للخطابي 4/ 122، وشرح البخاري لابن بطال 1/ 357، وعون المعبود شرح سنن أبي داود 4/ 255

[564] حديث أبي موسي الأشعري – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 2/ 89 (1537) وأحمد في مسنده 32/ 493 (19719) والنسائي في الكبرىٰ 8/ 29 (8577) والبزار في مسنده 8/ 129 (3136) والحاكم في المستدرك 2/ 154 (2629) وقال: " هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين، وأغلب ظني أنهما لم يخرجاه " وقال الذهبي: علي شرط البخاري ومسلم

[565] حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أخرجه مرفوعا الترمذي في سننه 5/ 554 (3552) وابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 74 (29576) وأبو يعلي في مسنده 7/ 433 (4454) والقضاعي في مسند الشهاب 1/ 242 (386). وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وقال الألباني: حديث ضعيف

[566] سنن الترمذي 5/ 554

الأول: حيث قلنا بجواز الدعاء علي الظلم، فله شرطان: أحدهما: أن لا يدعو عليه بملابسة معصية من معاصي الله، ولا الكفر، فإن إرادة المعصية والكفر، معصية وكفر، بل يدعو عليه بأنكاد الدنيا[567]، وكان أبو العباس بن المنير يتوقف في جواز

---

[567] قال ابن الشاط في إدرار الشروق 4/ 294: " وحيث قلنا بجواز الدعاء علىٰ الظالم فلا يدع عليه بملابسة معصية من معاصي الله تعالىٰ ولا بالكفر فإن إرادة المعصية معصية وإرادة الكفر كفر)

قلت: ليس هذا الإطلاق عندي بصحيح بل إن اقترن بإرادة المعصية قول في المعصية التي هي قول أو فعل في المعصية التي هي فعل فذلك معصية وإلا فلا علىٰ ما اقتضاه قوله – صلىٰ الله عليه وسلم – «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم» فإرادة الكفر داخلة تحت عموم الحديث المذكور ولا أعلم لهذا الحديث الآن معارضا فلا كفر والله تعالىٰ أعلم. هذا في إرادة المرء أن يعصي أو أن يكفر فكلا الإرادتين معصية لا كفر. والله تعالىٰ أعلم.

وقوله (بل تدعو عليه بإنكاد الدنيا ولا تدع عليه بمؤلمة لم تقتضها جنايته عليك بأن يجتني عليك جناية فتدعو عليه بأعظم منها فهذا حرام عليك؛ لأنك جان عليه بالمقدار الزائد والله تعالىٰ يقول {فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم} [البقرة: 194] فتأمل هذه الضوابط ولا تخرج عنها).

قلت: ما قاله فيه صحيح.

فإن قال اللهم ارزقه سوء الخاتمة أو غير ذلك من العبارات الدالة علىٰ طلب الكفر هل يكون هذا الداعي كافرا أو لا لأن إرادة الكفر كفر والطالب مريد لما طلبه؟

قلت: الداعي له حالتان: تارة يريد الكفر بالعرض لا بالذات، فيقع تابعا لمقصوده، لا أنه مقصوده، فهذا ليس بكافر كما قال – عليه السلام – «وددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا فأقتل» فقد طلب رسول الله – صلىٰ الله عليه وسلم – أن يقتل في سبيل الله وقتل الأنبياء كفر، لكنه – عليه السلام – مراده ومقصوده منازل الشهداء، وما عدا ذلك وقع تابعا لمقصوده، لا أنه مقصوده، فمثل هذا لا حرج فيه من هذا الوجه، وكذلك ما حكاه الله تعالىٰ عن أحد ابني آدم من قوله {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار} [المائدة: 29]، مقصوده إنما هو السلامة من القتل، لا من أن يقتل ويصدر منه معصية القتل، وإن لزم عن ذلك معصية أخيه بمباشرة القتل لا يضره ذلك"

الدعاء علي الظالم بالفتنة في دينه، لأنه مستلزم تمني وقوع المعاصي والمخالفات، وقال: وكان في النفس ذلك عني تأملت حديث سعد[568] فوجدته سائغا، والسبب في جوازه أن وقوع المعاصي لم يقصده من حيث كونها معصية، بل من حيث أدائها إلي نكاية الظالم وعقوبته، وهذا كما قيل في تمني الشهادة، أنه مشروع، وإن كان صاحبها تمني قتل الكافر، وهذا معصية ووهن في الدين، ولكن الغرض في تمني الشهادة ثوابها[569]، ونفسها، ووجدت في دعوات الأنبياء عليهم ذلك:

قال الله سبحانه وتعالي حكاية عن موسي: { ربنا اطمس علي أموالهم واشدد علي قلوبهم فلا يؤمنوا } (يونس 88) فدعا عليهم ببقائهم علي الكفر، وعدم الإيمان[570]. وقال عن نوح عليه السلام: { ولا تزد الظالمين إلا ضللا } (نوح 24)

---

[568] والمراد حديث جابر بن سمرة، حين شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص، إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقام واحد من أهل الكوفة متهما لسعد – رضي الله عنه – أنه لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. فقال سعد اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعه، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن.

أخرجه البخاري في صحيحة 1/ 151 (755). وعبد الرزاق في مصنفة 2/ 360 (3707). وابن حبان في صحيحة 5/ 168 (1859). والطبراني في الكبير 1/ 140 (308). والبيهقي في الكبرىٰ 2/ 94 (2483)

[569] نفائس الأصول في شرح المحصول 2/ 635 للقرافي. الناشر مكتبة نزار مصطفي الباز الطبعة الأولي 1416هـ=1995م تحقيق عادل أحمد عبد الموجود

[570] قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل 3/ 90: " وقد صوب الله عز وجل قول موسىٰ وهارون عليهما السلام {ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما} فهذا موسىٰ وهارون عليهما السلام، قد أرادا وأحبا أن لا يؤمن فرعون، وأن يموت كافرا، إلىٰ النار، وقد جاء عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إنه دعا علىٰ عتبة بن أبي وقاص أن يموت كافرا، إلىٰ النار فكان كذلك، (قال أبو محمد) وأصدق الله عز

وتأملت في الأدعية المنقولة عن نبينا صلي الله عليه وسلم فوجدتها لا تتعدي مصائب الدنيا والآجال، كقوله: { اللهم سبعا كسبع يوسف }[571]. وكقوله: { اللهم عليك بفلان }[572]. وكقوله: { اللهم سلط عليه كلبا من كلابك }[573] فأكله الأسد، ولو وجد في دعواته عليه السلام خلاف ذلك، لكان سائغا لغيرة من الأنبياء.

وجل أنا عن نفسي التي هو أعلم بما فيها مني أن الله تعالىٰ يعلم أني لأسر بموت عقبة بن أبي معيط كافرا، وكذلك أمر أبي لهب، لأذاهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولتتم كلمة العذاب عليهما، وأن المرء ليسر بموت من استبلغ في أذاه ظلما، بأن يموت علىٰ أقبح طريقة، وقد روينا هذا عن بعض الصالحين في بعض الظلمة ولا حرج علىٰ من ائتسىٰ بمحمد وبموسىٰ، وبأفضل ابني آدم صلىٰ الله عليه وسلم وليت شعري أي فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب في النار وبين الدعاء عليه بأن يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الأمرين وحسبنا الله ونعم الوكيل " أ. هـ وذهب إلي قريب من هذا ابن حجر في فتح الباري 2/ 241 وبدر الدين العيني في عمدة القارئ 6/ 10

[571] حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 6/ 114 (4774) ومسلم في صحيحة 4/ 2155 (2798) وابن حبان في صحيحة 14/ 548 (6585). وأحمد في مسنده 7/ 257 (4206) والترمذي في سننه 5/ 379 (3254) وقال " هذا حديث حسن صحيح "

[572] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلىٰ جزور بني فلان، فيضعه علىٰ ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقىٰ القوم فجاء به، فنظر حتىٰ سجد النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وضعه علىٰ ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئا، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم علىٰ بعض، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه، حتىٰ جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش». ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمىٰ: «اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن

الثاني: أن يدعو عليه بقضية مثل قضيته، أو دونها، حتىٰ لا يكون ظالما في الزيادة، قال تعالي: { فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم } (البقرة 194). فلو قال: اللهم ارزقه سوء الخاتمة، وقصد الكفر، فقد كفر، وإن قصد ضرر المدعو عليه فلا، لأنه لم يقصده[574].

نعم في حديث سعيد علي المرأة التي خاصمته، فقال: " اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واقتلها في أرضها "[575]. قال صاحب المفهم [576]: هذا يدل علي أن سعيدا استجاز الدعاء علي الظالم، بأكثر مما ظلم فيه، وفيه إشكال مع قوله: { وجزاؤ سيئة سيئة مثلها } (الشورىٰ 40) فكما لا يجوز أن يأخذ من الظالم أو

عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» – وعد السابع فلم يحفظ –، قال: فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صرعىٰ، في القليب قليب بدر "

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه 1/ 57 (240). ومسلم في صحيحه 3/ 1418 (1794). والنسائي في سننه 1/ 161 (307). وابن خزيمة في صحيحه 1/ 383 (785). وابن حبان في صحيحه 14/ 530 (6570) وأحمد في مسنده 7/ 73 (3962)

[573] أخرجه الحاكم مرفوعا في المستدرك 2/ 588 (3984) عن نوفل بن أبي عقرب عن أبيه. قال: " صحيح الإسناد ولم يخرجاه " وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة 2/ 338، وأبو نعيم في معرفة الصحابة 5/ 2488 (6050)

[574] الفروق للقرافي 4/ 294 وحاشيته إدرار الشروق لابن الشاط في نفس الصفحة

[575] حديث سعيد بن يزيد – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا، مسلم في صحيحة 3/ 1231، (1610) وأبو داود في سننه 4/ 264 (4772)، وأحمد في مسنده 3/ 182 (1640)، وأبو يعلي الموصلي في مسنده 2/ 249 (951) والبيهقىٰ فى الكبرىٰ 6/ 162 (11533) والطبرانىٰ فى الكبير 1/ 149(342)

[576] هو أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس القرطبي [578 – 656هـ = 1182 –1258م] من فقهاء المالكية، العلماء بالحديث، وفنونه، ولد بقرطبة، وتوفي بالأسكندرية، له تصانيف مفيدة، منها: المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، واختصار صحيح البخاري، ومختصر الصحيحين

الغصب زيادة علي القصاص، لذلك لا يجوز أن يدعو عليه بزيادة، لإمكان الاستجابة، فتحصل الزيادة الممنوعة، وإنما الذي يجوز أن يدعو به، أن يقول: اللهم خذ لي صفي منه، اللهم افعل به ما فعل ونحوه[577].

ويجاب عنه: بالفرق بين الدعاء علي الظالم بأكثر مما ظلم فيه، ومن أم يفعل به أكثر مما ظلم، أن الدعاء ليس مقطوعا بإجابته، فإذا صدر عن المظلوم بحكم حرقته بمظلمته، وشدة موجدته لم يقل إنه صدر عنه محرم، وغاية ذلك أن يكون ترك الأولي، لأنه منتصر ولم يصبر[578]، ويدل علي جواز ذلك ماروي أن النبي صلي الله عليه وسلم رأي رجلا خلق الثياب، فأمره أن يلبس ثوبيه، فلما لبسهما قال: { ما له ضرب الله عنقه، أليس هذا خيرا له }[579]. وروي أبو داود عن سعيد بن غزوان عن أبيه، أنه مر بين يدي النبي صلي الله عله وسلم بتبوك وهو يصلي، فقال: { قطع صلاتنا، قطع الله أثره }[580] قال: فما قمت عليهما في يومي هذا – يعني رجليه – فدل هذا علي أن الدعاء المذكور ليس محرما[581].

---

[577] المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم 4/ 537 لأبي العباس القرطبي (ت. 656هـ) الناشر دار ابن كثير دمشق الطبعة الأولي 1417هـ = 1996م تحقيق محيي الدين ديب ميستو

[578] المرجع السابق 4/ 537

[579] حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أخرجه مالك في الموطأ 5/ 1336 (3372). وابن حبان في صحيحة 12/ 236 (5418) والحاكم في المستدرك 4/ 203 (7369). وقال: " هذا حديث صحيح علي شرط مسلم " والبيهقي في دلائل النبوة 6/ 244

[580]) أخرجه أبو داود في سننه 1/ 188 (705). وأحمد في مسنده 38/ 248 (23197) والبيهقي في الكبرئ 2/ 390 (3491). وابن أبي شيبة في مسنده 2/ 229 (717)

[581] هذه الزيادة ذكرها البيهقي في الكبرئ 2/ 390. وفي دلائل النبوة 5/ 243. وفي مسند الشابين للطبراني 3/ 195

وأما قوله: إن أراد الشر للظالم، وتمناه، فيقول بجواز ذلك، ليرتدع الظالم عن شره، أو غيره ولا يريد وقوعه به، ولا يتمناه[582]

الثاني: من الظلمة من إذا علم المسامحة والعفو زاد طغيانه، ولا يردعه إلا إظهار الدعاء عليه، فليكن العفو بينك وبين الله عنه، ولا يظهر له[583] ذلك.

ثاني عشرها: طلب وقوع المحرمات في الوجود.

كقوله: اللهم أمته كافرا، أو اسقه خمرا، أو أعنه المكس الفلاني، أو وطأ الأجنبية الفلانية، أو يسر له الولاية الفلانية، وهي مشتملة علي معصية، أو يطلب ذلك لعدوه،

---

[582] المفهم لما أشكل من تخليص كتاب مسلم 4/ 538

والدعاء علي الأهل والمال والولد منهي عنه لما روي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { لا تدعو علي أنفسكم، ولا تدعوا علي أولادكم، ولا تدعوا علي خدمكم، ولا تدعوا علي أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالي ساعة نيل فيها عطاء، فيستجيب لكم } رواه مسلم في صحيحة 4/ 2304 (3009) وأبوا داود في سننه 2/ 88 (1532) وابن حبان في صحيحة 13/ 51 (5742). والبيهقي في الدعوات الكبير 2/ 326 (657). والطحاوي في شرح مشكل الآثار 9/ 169 (3539) وقال أبو داود: " هذا الحديث متصل، عبادة بن الوليد بن عبادة لقي جابرا " وقال الألباني: صحيح

[583] ذهب فريق من العلماء إلي أن الظلمة إن كانوا منتهكين لحرمة الدين، يُدعي عليهم بالهلاك، وإلا يدعي لهم بالتوبة، كما قال صلي الله عليه وسلم { اللهم اهد دوسا وأت بهم } وروي أن أبا بكر وزوجته – رضي الله = = عنهما – كانا يدعوان علي عبد الرحمن ابنيهما يوم بدر بالهلاك إذا حمل علي المسلمين، وإذا أدبر يدعوان له بالتوبة.

فتح الباري 1/ 352 وعمدة القاري 7/ 27 والبحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج 14/ 522

وقد روي: { من دعا لفاسق بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله }[584] ومحبة معصية الله محرمة.

وأما الكروه فله أسباب:

أحدها: الأماكن كالدعاء في الكنائس، والحمامات، ومواضع النجاسات، والقاذورات، ومواضع اللعب، والمعاصي، والأسواق التي يغلب فيها وقوع العقود الفاسدة[585]، والأيمان الفاسدة، فهذا يكره الدعاء فيه، لأن الدعاء ينبغي أن يكون علي أحسن الهيئات في أحسن البقاع، ولهذا نهي عن الصلاة في مثل هذه الأماكن ،

---

[584] لم أجده بلفظ { من دعا لفاسق بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله } وإنما ورد بلفظ { من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله } وهو بهذا اللفظ أخرجه موقوفا علي الحسن البصري البيهقي في الشعب 12/ 41 (8986) وابن أبي الدنيا في الصمت 1/ 144 (230)

وموقوفا علي أبي سفيان الثوري أخرجه أبو نعيم في الحلية 7/ 46

وموقوفا علي يوسف بن أسباط أخرجه أبو بكر الدينوي في المجالسة وجواهر العلم 6/ 61 (2373) وأبو نعيم في الحلية 8/ 240

وقال العجلونىٰ في كشف الخفاء 2/ 295 (2474) حديث: { من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصي الله }

ذكره البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا في الصمت من قول الحسن البصري. وأخرجه أبو نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قوله.

وذكره الزمخشري في تفسير هود والغزالي أيضا في موضعين آخرين من الأحياء لكنه لم يرو في المرفوع، نعم في المرفوع كما لابن أبي الدنيا في الصمت، وابن عدي في الكامل، وأبي يعلي والبيهقي في شعبه عن أنس بسند ضعيف: { إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق } وروي ابن عدي عن عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بشير رفعه { من وقر صاحب بدعة، فقد أعان علي هدم الإسلام } وأسانيده كلها ضعيفة، بل قال ابن الجوزي كلها موضوعه"

[585] الفروق للقرافي 4/ 298

ثانيهما[586] الهيئات كالدعاء مع النعاس، وفرط الشبع، ومدافعة الأخبثين، أو ملامسة النجاسة، وغيره، من الحالات التي لا تناسب التقرب ،

(ثالثها: الكراهة)[587] كونه سببا لتوقع فساد القلوب، وحصول الكبرياء، والخيلاء، كما كره مالك لأئمة المساجد الدعاء عقب الصلوات المكتوبات جهرا للحاضرين[588]، ليجتمع علي هذا الإتمام التقدم في الصلاة، وشرف كونه نصب نفسه واسطة، بين الله وعباده في تحصيل مصالحهم عائدة بالدعاء، فيوشك أن تعظم نفسه عنده فيفسد قلبه، ويعصي ربه[589] وقد سأل بعضهم (عمر)[590] في الدعاء لقومه، فقال: لا إني أخاف أن (تشمخ)[591] حتي تصل إلي الثريا[592]

رابعها: أن يكون متعلقة مكروها، كالدعاء بالإعانة علي اكتساب الرزق بالحجامة[593]، وغيره عن الحرف الدنية، مع القدرة علي الاكتساب بغيرها.

---

[586] في (ط) بابها

[587] ما بين القوسين بياض في (ص)، ونقاط في (ط)

[588] الفروق للقرافي 4/ 300، والفواكه الدواني 1/ 214، حاشية العدوي 1/ 311.

[589] الدر الثمين والمورد المعين 1/ 309. وشرح ابن ناجي علي متن الرسالة 1/ 180.

[590] ما بين القوسين ساقط من (ط)

[591] ما بين القوسين ساقط من (ط)

[592]) الفروق للقرافي 4/ 300 وشرح ابن ناجي علي متن الرسالة 1/ 180

[593] الحجامة: وسيلة قديمة للتداوي، وهي عبارة عن امتصاص الدم الزائد أو الفاسد في الرأس والبدن، وهي شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع علي الجلد فيحدث فيه تهيجا، ويجذب الدم أو المادة الفاسدة في الدم بقوة، والحاجم أو الحجام من يحترف الحجامة. وعن ابن عباس مرفوعا { نعم العبد الحجام يذهب بالدم، ويخف الصلب، ويخلو البصر } أخرجه ابن ماجة 2/ 1151 والترمذي 4/ 391 والحاكم 4/ 235

معجم اللغة العربية المعاصرة 1/ 450 والقاموس الفقهي 1/ 78 والمعجم الوسيط 1/ 158. والتعريفات الفقهية 1/ 76. ولسان العرب 12/ 117 ومختار الصحاح 1/ 67

وهل يجوز أخذ أجرة علي الحجامة ؟وما حكم أجر الحجام ؟

جاء في البحر المحيط الثجاج 27/ 510: " في اختلاف أهل العلم في حكم أجر الحجّام:

قال النوويّ رحمه الله: اختَلَف العلماء في كسب الحجام، فقال الأكثرون من السلف والخلف: لا يحرم كسب الحجام، ولا يحرم أكله، لا علىٰ الحر، ولا علىٰ العبد، وهو المشهور من مذهب أحمد، وقال في رواية عنه، قال بها فقهاء المحدثين: يحرم علىٰ الحر دون العبد، واعتمدوا علىٰ هذه الأحاديث وشبهها، واحتج الجمهور بحديث ابن عباس بأن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- احتجم وأعطىٰ الحجام أجره، قالوا: ولو كان حراما لم يعطه، رواه البخاري ومسلم، وحملوا هذه الأحاديث التي في النهي علىٰ التنزيه، والارتفاع عن دني الأكساب، والحث علىٰ مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، ولو كان حراما لم يفرق فيه بين الحر والعبد، فإنه لا يجوز للرجل أن يطعم عبده ما لا يحل. انتهىٰ.

وقال في "الفتح": اختلف العلماء في هذه المسألة، فذهب الجمهور إلىٰ أنه حلال، واحتجوا بحديث: "احتجم النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- وأعطىٰ الحجام أجره"، متفق عليه، فقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "احتجم النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، وأعطىٰ الحجام أجره، ولو علم كراهية لم يعطه"، رواه البخاري، وقالوا: هو كسب، فيه دناءة، وليس بمحرم، فحملوا الزجر عنه علىٰ التنزيه.

ومنهم من ادعىٰ النسخ، وأنه كان حراما، ثم أبيح، وجنح إلىٰ ذلك الطحاوي، وتعقب بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال.

وذهب أحمد، وجماعة إلىٰ الفرق بين الحر والعبد، فكرهوا للحر؛ الاحتراف بالحجامة، ويحرم عليه الإنفاق علىٰ نفسه منها، ويجوز له الإنفاق علىٰ الرقيق، والدواب منها، وأباحوها للعبد مطلقا، وعمدتهم حديث محيصة؛ أنه سأل النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- عن كسب الحجام؟ فنهاه، فذكر له الحاجة، فقال: "اعلفه نواضحك". أخرجه مالك، وأحمد، وأصحاب "السنن"، ورجاله ثقات.

خامسها: عدم تعينه قربة، بل يطلق علي سبيل العادة، والاستراحة في الكلام وتحسين اللفظ، كما يجري في المجالس من قولهم، ما أقوي فرس فلان أبلاها الله بذيبة أو سبع أو نحوه، ولا يريدون شيئا من حقيقة التقرب فهو مكروه. وأشار بعضهم إلي تحريمه. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: { تربت يمينك }[594] وذلك لأمر غلب عليه استعماله في غير الدعاء، فزال حكم الدعاء منه، فإذا استعمل في غير الدعاء، فقد استعمل مما هو موضوع له عرفا.

وذكر ابن الجوزي؛ أن أجر الحجام إنما كره؛ لأنه من الأشياء التي تجب للمسلم علىٰ المسلم إعانة له، عند الاحتياج له، فما كان ينبغي له أن يأخذ علىٰ ذلك أجرا. وجمع ابن العربي بين قوله -صلىٰ الله عليه وسلم-: "كسب الحجام خبيث"، وبين إعطائه الحجام أجرته، بأن محل الجواز، ما إذا كانت الأجرة

علىٰ عمل معلوم، ويحمل الزجر علىٰ ما إذا كان علىٰ عمل مجهول، ذكره في "الفتح"

قال الجامع عفا الله تعالىٰ عنه: عندي أن ما ذهب إليه الجمهور من حمل النهي علىٰ التنزيه هو الأرجح؛ لما تقدم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث قال: "احتجم النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، وأعطىٰ الحجام أجره، ولو علم كراهية لم يعطه"، وفي لفظ: "ولو كان حراما لم يعطه"، ولحديث أنس -رضي الله عنه-: "وكلم أهله، فوضعوا عنه من خراجه"، فإن فيه تقريره -صلىٰ الله عليه وسلم- له علىٰ أخذ الأجرة من الحجامة، ودفعها خراجا لمواليه، والله تعالىٰ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب ".

[594] حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 1/ 250 (310). وأحمد في مسنده 21/ 415 (14010) والدار في سننه 1/ 591 (791) وأبو عوانة في المستخرج 1/ 244 (832)

سادسها: كثرة السجع[595] في الدعاء كما سبق في الأدب

سابعها: الاعتداء في الدعاء، أي التعدي طوره، ففي مصنف ابن أبي شيبة: أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك المقر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني سل الله الجنة، وعذ به من النار، فإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: سيكون قوم يعتدون في الدعاء }[596] وفي سنن أبي داود ونحوه[597]

ثامنها: تخصيص نفسه بالدعاء إذا كان إماما، أو داعيا لجماعة، كما سبق[598]

تاسعها: التحجر ففي البخاري عن أبي هريرة، أن أعرابيا قال وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدا، فلما سلم النبي صلي الله عليه وسلم قال للأعرابي: { لد حجرت واسعا } يريد رحمة الله عز وجل[599]

---

[595] في (ط) السمع

[596] حديث عبد الله بن مغفل – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا ابن أبي شيبة في مصنفة 6/ 53 (29411). وأحمد في مسنده 27/ 351 (16796). وابن ماجة في سننه 2/ 1271 (3864) وقال الألباني: صحيح. وابن حبان في صحيحة 15/ 166 (6763) والحاكم في المستدرك 1/ 724 (1979) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " والبيهقي في السنن الكبرىٰ 1/ 303 (947) والطبراني في الدعاء 1/ 38 (58)

[597] حديث عبد الله بن مغفل – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا أبو داود في سننه 1/ 24 (96). وقال الألباني: صحيح.

[598] في حديث ثوبان – رضي الله عنه – مرفوعا { لا يؤمن رجل قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم، فإن فعل فقد خانهم }

أخرجه أبو داود في سننه 1/ 22 والترمذي في سننه 2/ 189 والبخاري في الأدب المفرد 1/ 375 وأحمد في مسنده 37/ 96

عاشرها: دعاء الإنسان علي أهله وماله، ففي السنن عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { لا تدعوا علي أنفسكم ولا تدعوا علي أولادكم، ولا تدعوا علي خدمكم، ولا تدعوا علي أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء مستجيب }[600]، ويلحق بذلك مخالفة الآداب السابقة. والمباح ما عدا ذلك.

وها هنا فروع منثورة: -

مسألة: يجوز الدعاء للكافر بالهداية، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن دوسا قد عصت وأبت، فادع الله عليها، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، فقال الناس: هلكت دوس، فقال: { اللهم اهد دوسا، وائت بهم }[601]

ويجوز الدعاء عليهم:

قال النبي صلي الله عليه وسلم: { اللهم اشدد وطأتك علي مضر }[602]

---

[599] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 8/ 10 (6010). وأحمد في مسنده 13/ 211 (7802) وأبو داود في سننه 1/ 103 (380) والنسائي في سننه 3/ 14 (1216) وقال الألباني: صحيح وابن خزيمة في صحيحة 2/ 39 (864) وابن حبان في صحيحة 3/ 267 (987)

[600] حديث جابر سبق تخريجه وهو عند مسلم في صحيحة 4/ 2304 وأبو داود في سننه 2/ 88. وابن حبان في صحيحة 13/ 51

[601] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 4/ 44 (2937). وفي الأدب المفرد 1/ 214 (611) ومسلم في صحيحة 4/ 1957(2524). وابن حبان في صحيحة 3/ 260 (980). وأحمد في مسنده 15/ 486 (9784) والطبراني في الكبير 8/ 226 (8221) وقال الألباني: صحيح

[602] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه { اللهم اشد وطأتك علي مضر } أخرجه مرفوعا البخاري في صحيحة 1/ 160 (804) ومسلم في صحيحة 1/ 467 (675) والنسائي في سننه 2/ 201

ورأيت في كلام بعض الصوفية: أنه لا يجوز الدعاء للكافر، وأجاب عن دعاء إبراهيم صلي الله عليه وسلم لأبيه بالمغفرة:

لأنه كان أظهر له الإيمان، فلما أخبره الله بنفاقه تبرأ منه.

وأيضا: فإن الدعاء للكافر، كان مباحا في ذلك الوقت، وكان الغفران من جهة العقل جائز، ثم حرمه الله بقوله: { إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم } (التوبة 80). ولعل هذا بناه علي مذهبهم في الموافاه، والمذهب خلافه.

مسألة:

يجوز الدعاء علي من ظلم المسلمين، أو ظلمه وحده، وقد أخبر الله بدعاء الأنبياء علي الكفار، وقال صلي الله عليه وسلم يوم الأحزاب: { ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا شغلونا عن الصلاة الوسطي }[603]. وقال: { اللهم اشدد وطأتك علي مضر }[604]. وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع، { أن رجلا أكل عند رسول الله صلي الله عليه وسلم بشماله، فقال: كل بيمنك، فقال: لا أستطيع. قال: لا استطعت

(1073) وابن خزيمة في صحيحة 1/ 314 (621). وابن حبان في صحيحة 5/ 323 (1986). والدار قطن في سننه 2/ 368 (1690) وأحمد في مسنده 16/ 96 (10072)

[603] حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 1/ 437 (628). وابن ماجة في سننه 1/ 224 (686) وقال الألباني: صحيح. وأحمد في مسنده 6/ 256 (3716). وابن حبان في صحيحة 5/ 41 (1746) وأبو يعلي الموصلي في مسنده 8/ 457 (5044). والبزار في مسنده 5/ 388 (2022). وابن أبي شيبة في مسنده 1/ 204 (301) والطيالسي في مسنده 1/ 285 (364)

[604]) سبق تخريجه قريبا

ما يمنعه إلا الكبر، فما رفعه إلي فيه }[605]. وهذا الرجل هو بشر الأشجعي[606] وكذلك قصة سعد، لما شكاه أهل الكوفة، ودعا علي من كذب عليه، واستجيبت دعوته فيه[607]. قال الروياني في البحر في كتاب الصلاة[608]: " لا يجوز أن يؤمن علي دعاء الكافر لأن دعاءه غير مقبول،

قال تعالي: { وما دعاء الكافرين إلا في ضلال } (الرعد 14). وقال آخرون: قد يستجاب دعاؤه، كما استجيب لإبليس دعاؤه بالإنظار[609].

---

[605] حديث سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 3/ 1599 (2021). وابن حبان في صحيحة 14/ 442 (6512). وقال الألباني: صحيح. وأحمد في مسنده 27/ 60 (16530). والدارمي في سننه 2/ 1293 (2075). وأبو عوانه في المستخرج 5/ 164 (8251).والطبراني في الكبير 7/ 14 (6236). والبيهقي في شعب الإيمان 8/ 29 (5453). وابن أبي شيبة في مصنفة 5/ 132 (24445)

[606] قال النووي في شرح صحيح مسلم 13/ 192: " هذا الرجل هو بسر بضم الباء وبالسين المهملة بن راعي العير، بفتح العين وبالمثناه، الأشجعي، كذا ذكره ابن منده وأبو نعيم الأصبهاني وابن ماكولا، وآخرون، وهو صحابي مشهور، عده هؤلاء من الصحابة رضي الله عنهم "

[607] قصة سعد بن أبي وقاص مع أهل الكوفة كما في حديث جابر بن سمره سبق تخريجها وهي عند البخاري في صحيحة 1/ 151. وابن حبان في صحيحة 5/ 168 والطبراني في الكبير 1/ 140

[608] بحر المذهب في فروع المذهب الشافعي 2/ 305 للروياني أبو المحاسن عبد الواحد بن اسماعيل (ت. 502هـ) دار الكتب العلمية 2009م

[609] قال سفيان الثوري رضي الله عنه: " لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه، فإن الله تعالي أجاب شر خلق الله إبليس لما قال { رب فأنظرني إلي يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين } (ص 79، 80)، نزهة المجالس ومنتخب النفائس 1/ 85

مسألة: هل يجوز لأحد أن يسأل الله تعالي العصمة في دعائه ؟

اختلفوا فيه: فذهب بعضهم إلي المنع، لأنه يؤدي إلي تعطيل وصف محبة الله، فامتنع السؤال به، قال تعالي: { إن الله يحب التوابين } (البقرة 222) وفي الصحيح: { إن الله أعظم فرحا بتوبة عبده }[610] وحصول هذا الفرح موقوف علي التوبة، ومع العصمة تنتفي التوبة، وقد وقع هذا في حديث صحيح: { لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرون، يغفر لهم }[611]. وكان بعضهم يكثر سؤال

---

[610] من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أخرجه البخاري في صحيحة 8/ 67، 68 (6308) ومسلم في صحيحة 4/ 2013(2744) والترمذي في سننه 4/ 659(2498). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفيه عن أبي هريرة والنعمان بن بشير، وأنس بن مالك عن النبي صلي الله عليه وسلم. وابن حبان في صحيحة 2/ 384 (618) وأحمد في مسنده 6/ 131 (3627) ومن حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 4/ 2102 (2675). والترمذي في سننه 5/ 547 (3538) وقال الترمذي: " وفي الباب عن ابن مسعود، والنعمان بن بشير، وأنس، وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه "

وأحمد في مسنده 16/ 298 (10498). وابن ماجة في سننه 2/ 1419 (4247). وابن حبان في صحيحة 2/ 387 (621)

ومن حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 4/ 2103 (2745). وأحمد في مسنده 30/ 358 (18408) والداري في سننه 3/ 1793 (2770) والبزار في مسنده 8/ 187 (3220) والطيالسي في مسنده 2/ 142 (831)

قلت: وفي الباب عن أبي سعيد الخدري: عند أحمد، وابن ماجة، وأبي يعلي ومسند ابن الجعد وعن البراء بن عازب: عند مسلم، وأحمد، وأبي يعلي.

[611] حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أخرجه مرفوعا مسلم في صحيحة 4/ 2106 (2749) والترمذي في سننه 4/ 672 (2526) وابن حبان في صحيحة 16/ 396 (7387) وقال الألباني صحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرك 4/ 274 (7622) وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد

العصمة، فقيل له في المنام: إذا سألتم الله العصمة فلمن أغفر وعلي من أتوب وذهب بعضهم إلي الجواز، وقد استعمل مالك رحمه الله، هذه العبارة فقال: " ونسأل الله العصمة " ذكره الخليلي في كتاب الإرشاد، وكذلك استعملها الشافعي رحمه الله في الرسالة.[612]

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي في حزب البحر: " ونسألك العصمة " ويشهد له ما أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: { إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم وليقل: اللهم

ولم يخرجاه " وشاهده حديث عبد الله بن عمرو. وقال الذهبي في التلخيص " صحيح " وأخرجه أحمد في مسنده 13/ 445 (8082)

[612] عن عبد الله بن أبي أوفي قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: { من كانت له حاجة إلي الله تبارك وتعالي، أو إلي أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه، ثم ليصلي ركعتين، ثم يثني علي الله عز وجل، ويصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم، وليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين، أسألك عزائم مغفرتك، والعصمة من كل ذنب، والسلامة من كل أثم } رواه الحاكم في المستدرك 1/ 466 (1199). والبيهقي في الشعب 4/ 546 (2995)، فقد ورد هنا النص علي طلب العصمة= = ولهذا قال العراقي وفيه جواز سؤال العصمة من كل الذنوب، وقد أنكر بعضهم جواز ذلك إذ العصمة إنما هي للأنبياء والملائكة، قال: والجواب أنها في حق الأنبياء والملائكة واجبة، في حق غيرهم جائزة، وسؤال الجائز جائز إلا أن الأدب سال الحفظ ي حقنا لا العصمة، وقد يكون هذا هو المراد هنا.

مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 4/ 370. ومرشد ذوي الحجي والحاجة إلي سنن ابن ماجة 8/ 342 لمحمد الأمين الأرمي الأثيوبي. دار لمنهاج بجدة 1439هـ = 2018م

اعصمني من الشيطان }[613]، وروي الواحدىٰ في قوله: { واعتصموا بحبل الله جميعا } (آل عمران 103) عن ابن عباس قال: سلوا الله العصمة[614].

والحق أنه إن قصد بالعصمة: التوقي عن المعاصي والرذائل في جميع الحالات، فهذا يمتنع، لأنه سؤال مقام النبوة، وإن قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من أفعال الشر، فهذا لا بأس به [615].

ورأيت في كتاب وقف صاحبه المدرسة الشامية ألقابا لها من جملتها: (عصمة الدين، وزين الخوانتين) قال بعض مشايخنا: ولم أكن وقفت علي تلقيب المرأة بالدين إلا من هذا فاستحسنت هذا وصرت أكاتب به أهلي، وهو صحيح، لأنها تحصن الإنسان عن الوقوع في الفواحش.[616]

---

[613] هذا الحديث عن أبي هريرة ليس في سنن النسائي (المجتبي) ولا في الكبرىٰ للنسائي، وإنما أخرج النسائي في هذا الباب حديث عبد الملك بن سعيد عن أبي حميد وأبي أسيد مرفوعا { إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك } المجتبي للنسائي 2/ 53 (729) وأخرجه أيضا مسلم في صحيحة 1/ 494 (713) وأبو داود في سننه 1/ 126 (465) وابن حبان في صحيحة 5/ 397 (2048). وابن ماجة في سننه 1/ 254 (772). وأحمد في مسنده 39/ 21 (23607)

وأما لفظ { اللهم اعصمني من الشيطان } فقد جاء في رواية أبي هريرة عند ابن ماجة في سننه 1/ 254 (773) وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وعند الطبراني في الدعاء 1/ 151 (427)

[614] ذكر هذا الأثر عن ابن عباس الرازي في تفسيره 23/ 257 وجاء في اللباب في علوم الكتاب 14/ 160 وتفسير النيسابوري 5/ 103

[615] المنتقي من منهاج الاعتدال 1/ 429 لشمس الدين الذهبي (ت. 748هـ)

[616] جاء في مراح لبيد لكشف معني القرآن الحميد 2/ 82: " قوله تعالي { واعتصموا بالله } قال القفال: أي اجعلوا الله عصمة لكم مما تحذرون، وقال ابن عباس: أي سلوا الله العصمة عن كل

مسألة: هل يقسم علي الله بغيره كحرمة نبيه، ونور عرشه وكتبه وملائكته وسير رسله ؟

فيه تفصيل يرجع إلي صورة التعظيم، لأن القسم يستدعي تعظيم المقسم به، فما عظمه الله كان لنا تعظيمه، وما حقره فليس لنا تعظيمه.

وقد اختلف العلماء في القسم بغير الله من مخلوقاته، هل ينعقد بها اليمين أم لا ؟ وقد خرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضريرا أتي النبي صلي الله عليه وسلم، فقال: " ادع الله لي أن يعافيني " فقال صلي الله عليه وسلم: { إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك } قال: " ادعه " فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: { اللهم إني أسألك وأتوجه إلي نبيك محمد صلي الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلي الله في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم شفعه في }[617] وقال الترمذي: حسن صحيح غريب

المحرمات، أي ولا تطلبوا الإعانة في كل الأمور إلا منه تعالي، هو مولاكم أي حافظكم. فنعم المولي أي الحافظ، ونعم النصير بل فلا حافظ ولا ناصر في الحقيقة سواه تعالي "

[617] هكذا في الأصل ولكن الصواب ما أخرجه الترمذي في سننه 5/ 569 (3578) عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن يعافيني قال: { إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك } قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: { اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلي ربي في حاجاتي هذه لتقض لي، اللهم فشفعه في }

رواه الترمذي وقال: " هذا حديث حسن صيح غريب " وأخرجه النسائي في الكبرىٰ 9/ 245 (10421). وابن ماجة في سننه 1/ 441 (1385) وقال: "قال أبو إسحاق: " هذا حديث صحيح " وأخرجه أحمد في مسنده 28/ 478 (17240) وابن خزيمة في صحيحة 2/ 225 (1219). والحاكم في المستدرك 1/ 458 (1180) وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه " والبهقي في الدعوات الكبير 1/ 325 (235)

وعن عمر قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم: { لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه ؟ قال: يا رب لأنك خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، ورفعت رأسي فوجدت علي قائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقا الله تعالي: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، أما إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، وما خلقتك }[618] أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد[619]. وقد سئل الشيخ عز الدين ابن عبد السلام: هل يقسم علي الله بعظيم من خلقه في دعائه ؟

فأجاب: إن صح الحديث السابق، فينبغي أن يكون مقصورا عليه صلي الله عليه وسلم، لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم علي الله تعالي بغيره من الأنبياء والملائكة، والأولياء، لأنهم ليسوا في درجته، ويكون هذا من خصائص نبينا علي تعظيم قدره. انتهي

ومنع بعض المتآخرين هذا، وعداه إلي الاستغاثة، وقال لا يستغاث بمخلوق، لأن الاستغاثة بالله من خصائصه الخاصة، فلا تكون لغيره كالعبادة.

والظاهر الجواز، وقد صنف الشيخ أبو عبد الله بن النعمان كتابا سماه: " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام "

---

[618] حديث أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – أخرجه الحاكم في المستدرك 2/ 672 (4228). وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ب أسلم في هذا الكتاب " وقال الذهبي في التلخيص: " بل موضوع " وأخرجه الطبراني في الأوسط 6/ 313 (6502). والآجري في الشريفة 3/ 1415 (956). والبيهقي في دلائل لنبوة 5/ 488

[619] قال الحاكم في المستدرك 2/ 672: " صحيح الإسناد " وقال الذهبي: " بل موضوع "

وتلقاه الناس بالقبول، وعدم النكير، وقد احتج الشيخ شمس الدين الجزري علي جواز الاستغاثة بمخلوق بقوله تعالي: { فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه } (القصص 15)

قال فوجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسي عليه الصلاة والسلام واستنصره، واستصرخه، وهي استغاثة مخلوق بمخلوق، وقد أقر موسي عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة والسلام عليها الإسرائيلي، وأقر الله عز وجل موسي عليه السلام علي ذلك، ولم يذكر محمدا صلي الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية، فكان هذا إقرارا من الله تعالي علي استغاثة المخلوق بالمخلوق، وإذا جاز أن يستغاث بموسي عليه الصلاة والسلام، فبمحمد صلي الله عليه وسلم أولي لأنه أفضل بإجماع[620]

---

[620] ذكر هذا الكلام كله وغيره في حكم الاستغاثة بالمخلوق الصرصري في كتابه الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية 1/ 480 لنجم الدين أبو الربيع سليمان الطوفي الصرصري (ت. 716هـ) الناشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولي 1426هـ =2005م تحقيق محمد حسن إسماعيل.

وقال ابن الألوسي في كتابه الرائع المانع جلاء العينين في محاكمة الأحمدين 1/ 564، بعد أن استفاض في ذكر أدلة المجيزين والمانعين للتوسل: الخاتمة: { في التوسيط بين القولين، وهو عند المنصف قرة عين الفريقين }

فقد قال الوالد عليه الرحمة في تفسير قوله تعالىٰ { يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة } (المائدة 35) ما نصه:

واستدل بعض الناس بهذه الآية علىٰ مشروعية الاستغاثة بالصالحين،وجعلهم وسيلة بين الله تعالىٰ، وبين العباد، والقسم علىٰ الله بهم بأن يقال: اللهم إنا نقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا

ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالىٰ الصالحين: فلان أدع الله تعالىٰ ليرزقنىٰ كذا، ويزعمون ان ذلك من باب ابتغاء الوسيلة.

ويروون عن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – أنه قال: ((إذا أعيتكم الأمور، فعليكم باهل القبور، أو فاستغيثوا بأهل القبور. وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل.

وتحقيق الكلام في هذا المقام: أن الاستغاثة بمخلوق، وجعله وسيلة بمعنىٰ طلب الدعاء منه، ولا شك في جوازه إن كان المطلوب منه حيـًا، ولا يتوقف علىٰ أفضليته من الطالب، بل قد يطلب الفاضل من المفضول، فقد صح أنه – صلىٰ الله عليه وسلم – قال لعمر – رضي الله عنه – لما استأذنه في العمرة: ((لا تنسنا يا أخىٰ من دعائك وأمره أيضـًا أن يطلب من اويس القرني رحمه الله تعالىٰ عليه ان يستغفر له. وأمر أمته – صلىٰ الله عليه وسلم – بطلب الوسيلة له، وبأن يصلوا عليه.

وأما إذا كان المطلوب منه ميتـًا، أو غائبـًا فلا يسترتب عالم أنه غير جائز، وانه من البدع التىٰ لم يفعلها أحد من السلف.

نعم، السلام علىٰ أهل القبور مشروع، ومخاطبتهم جائزة، فقد صح أنه – صلىٰ الله عليه وسلم – كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: ((السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله تعالىٰ بكم لا حقون، يرحم الله تعالىٰ المستقدمين منكم، والمستأخرين، نسال الله تعالىٰ لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا اجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم.

ولم يرو عن أحد من الصحابة – رضي الله عنه – وهم احرص الخلق علىٰ كل خير – انه طلب من ميت شيئـًا، بل قد صح عن ابن عمر – رضي الله عنه – أنه كان يقول، إذا دخل الحجرة النبوية زائراً: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف ولا يزيد علىٰ ذلك.

ولا يطلب من سيد العالمين – صلىٰ الله عليه وسلم –، أو من ضجيعيه المكرمين – رضي الله عنه – شيئـًا، وهم أكرم من ضمته البسيطة، وأرفع قدراً من سائر من احاطت به الفلاك المحيطة. نعم الدعاء في هاتيك الحضرة المكرمة، والروضة المعظمة، أمر مشروع، فقد كانت الصحابة – رضي الله عنه – تدعو الله هناك، مستقبلين القبلة، ولم يرد عنهم أستقبال القبر الشريف عند الدعاء مع أنه أفضل من العرش.

واختلف الأئمة في استقباله عند السلام، ففي مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ أنه لا يستقبل، بل يستدبر، ويستقبل القبلة وقال بعضهم: يستقبل وقت السلام، ويستقبل القبلة، ويستدبر وقت

واحتج غيره بحديث هاجر أم إسماعيل حيث التمست الماء فسمعت.

هذا آخر ما وجدته والحمد لله حق حمده وصلي الله علي من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الدعاء، والصحيح المعول عليه: أنه يستقبل وقت السلام، وعند الدعاء يستقبل القبلة، ويجعل القبر عن اليمين أو اليسار.

فإذا كان هذا المشروع في زيارة سيد الخليقة، وعلة الإيجاد علىٰ الحقيقة - صلىٰ الله عليه وسلم -، فماذا تبلغ زيارة غيره بالنسبة إلىٰ زيارته عليه الصلاة والسلام ليزاد، أو يطلب من المزور بها ما ليس من وظيفة العباد.

الفصل التاسع في جوامع الدعاء

قال الإمام الغزالي: قال الشافعي رضي الله عنه: دهمني في هذه الأيام أمرٌّ أمرضني وآلمني، ولم يطلع عليه غير الله تعالي، فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال: يا ابن إدريس قل: اللهم إني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقي إلا ما وقيتني. اللهم فوفقني لما تحب وترضي من القول والعمل في عافية.

فلما أصبحت أعدت ذلك، فما انصرف النهار حتىٰ أعطاني الله طلبي، وسهل لي الخلاص مما كنت فيه.

ومما جربت إجابته تكرار هذه الأبيات، وهي:

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم الذكي

وكم يسر أتي من بعد عسر وفرج كربة القلب الشجي

إذا ضاقت بك الأحوال يوما فثق بالواحد الفرد الغني

وكم أمر تساء به صباحا وتأتيك المسرة بالعشي

ومما يرجي إجابته: (يا صاحب الاسم بالاسم الأعظم، بل تقدم علي القدم وهو أقدم. يا من ليس لأبديته حد يعلم وهو أعلم، أسألك يا الله أن تكفيني شر من يريدني بسوء تعلمه ولا أعلم [بحق] نبيك محمد صلي الله عليه وسلم.

ومما يرجي إجابته – أيضا –: (اللهم يا من أسمه محبوب، ووجهه محجوب وكرسيه منصوب، اكفني شر من قلبي منه مرعوب، إنك أنت الله غالب غير مغلوب، نعم الحافظ، نعم الناصر الله، نعم القادر الله { فقدرنا فنعم القادرون }

ومما جرب للإجابة: أن يعتكف ليلة الجمعة من غروب الشمس، إلي مغيب الشفق، ثم يقول في السجدة الأخيرة من الوتر مائة مرة: (يا الله، يا حي يا قيوم بك أستغيث يا الله) ويسمي حاجته

الفصل العاشر في الاسم الأعظم

قيل: لا تفضيل بين أسماء الله تعالي، فمعني أعظم: عظيم، وأكبر، كبير، وأهون: هين، فمن دعا بشيء استجاب الله له إن شاء، ومنعه إن شاء.

قال تعالي: { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسني }.

ولأنها كلام واحد من رب واحد، فيستحيل التفاضل فيها.

والجمهور علي أنها متفاضلة، وأن تفاضلها صحيح، لأنه إنما هو بالنسبة إلي تلاوة التي هي علمنا، لا إلي المتلو الذي هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة.

ولقوله صلي الله عليه وسلم لأبي: " أي آية معك في كتاب الله أعظم ؟ " فقال: { الله لا إله إلا هو الحي القيوم }[621] فقال " ليهنك العلم يا أبا المنذر "[622].

والاسم الأعظم ما قرب به الإجابة إذا دعي به، وعدم إجابته [ل] كثير ممن يدعو به إنما هو لفقد شرط من شروطه، أو لأن ما دعا به ظانا أنه الاسم الأعظم وليس به بتأكد، علي أنه غير متعين، أو لأن الدعاء لا يتعين إجابته بما دعي به، كما مر بيانه في الفصل الثامن

والاسم الأعظم في القرآن، لقوله تعالي { ما فرطنا في الكتاب من شيء }[623]، لكنه أخفي فيه عند جمع كما أخفيت ساعة الإجابة يوم الجمعة، وليلة القدر في رمضان، ليجتهد الناس ولا يتكلوا.

---

[621] سورة البقرة الآية 255

[622] أخرجه مسلم 1/ 556 من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

[623] سورة الأنعام الآية 38

وقيل: هو معين، واختلفوا فيه:

فقيل: هو يا حي يا قيوم

وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت.

وقيل: يا ذا الجلال والإكرام.

وقيل: هو في سورة الإخلاص.

وقيل: آية الكرسي.

وقيل: غير ذلك.

والمعتمد: أنه الله، كما نقله البندينجي عن الأكثرين، وصوبه غيره، لأن الأسماء كلها تضاف إليه، فتقول – مثلا –: اسم العزيز من أسماء الله تعالي ولا تقول الله اسم من أسماء العزيز.

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلي يوم الدين[624]

---

[624] وتمت مقابلة نسختي المكتوبة بصورة من أصلها المخطوط، في صحن الحرم المكي الشريف، تجاه الركن اليماني، بين العشاءين، ليلة الثاني والعشرين من رمضان المبارك 1425هـ الموافق 4/ 11/ 2004م، علي الشيخ الفاضل نظام يعقوبي حفظه الله، وحضور الإخوة: الدكتور عبد الله محارب، والأخ محمد سالم الظفيري، والأخ مهدي الحرازي حفظهم الله.

الدكتور عبد الرؤوف بن محمد بن أحمد الكمالي

المحتويات

الفصل الأول بين يدي هذا الكتاب 9
المبحث الأول التعريف بهذا الكتاب..... 9
المبحث الثاني نسخ هذا الكتاب 20
الفصل الثاني..... 23
مصنف الكتاب وعصره 23
1- اسمه ونسبه وكنيته ولقبه..... 24
2- ولادته ونشأته وطلبه للعلم 24
3- مؤلفات الزركشي 26
4- عصر الإمام الزركشي [745 – 794هـ=1344 -1392م] 29
أولا: أهم أحداث العالم الإسلامي في القرنين السابع والثامن..... 30
ثانيا: أحداث مصر والشام 35
وفاته: 45
لطيفة:..... 50
الفصل الأول: في حقيقته..... 53
الدعاء لغة وشرعا:-..... 53
الفصل الثاني..... 55
الفصل الثالث 78
في أنه الأفضل الدعاء أو السكوت والرضا ؟..... 78
الفصل الرابع في شروطه 99
الأول: 99

الثاني: 101
الثالث: 103
الرابع: 103
الخامس: 103
السادس: 104
السابع: 105
الثامن: 106
التاسع: 110
العاشر: 114
الحادي عشر: 117
الفصل الخامس في آدابه 119
أحدها: تقديم التوبة أمامه، 119
الثاني: أن يدعو وهو طاهر، 120
الثالث: أن يستقبل القبلة، 122
الرابع: أن يقدم عليه صلاة، 122
الخامس: أن يرفع يديه عند الدعاء، 123
السادس: الاستفتاح بالحمد لله رب العالمين، 135
السابع: أن يصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم 138
التاسع: أن يفتتح الدعاء باسم من اسمائه سبحانه وتعالي 159
العاشر: 169
ترتيب هذه الأداب: 185

وأما آدابه الظاهرة: 187
تكملة الفصل الخامس 189
الفصل السادس في أماكن وأزمته 192
وأحوال نص الشارع علي استحباب الدعاء بها 192
فأما الأماكن: 192
وأما الأوقات: 195
الفصل السابع في علامات الإجابة 231
الفصل الثامن في بيان حكمه التكليفي 248
مسألة: يجوز الدعاء للكافر بالهداية، 277
مسألة: هل يجوز لأحد أن يسأل الله تعالي العصمة في دعائه ؟ 280
مسألة: هل يقسم علي الله بغيره كحرمة نبيه، ونور عرشه وكتبه ؟ 283
الفصل التاسع في جوامع الدعاء 288
الفصل العاشر في الاسم الأعظم 290